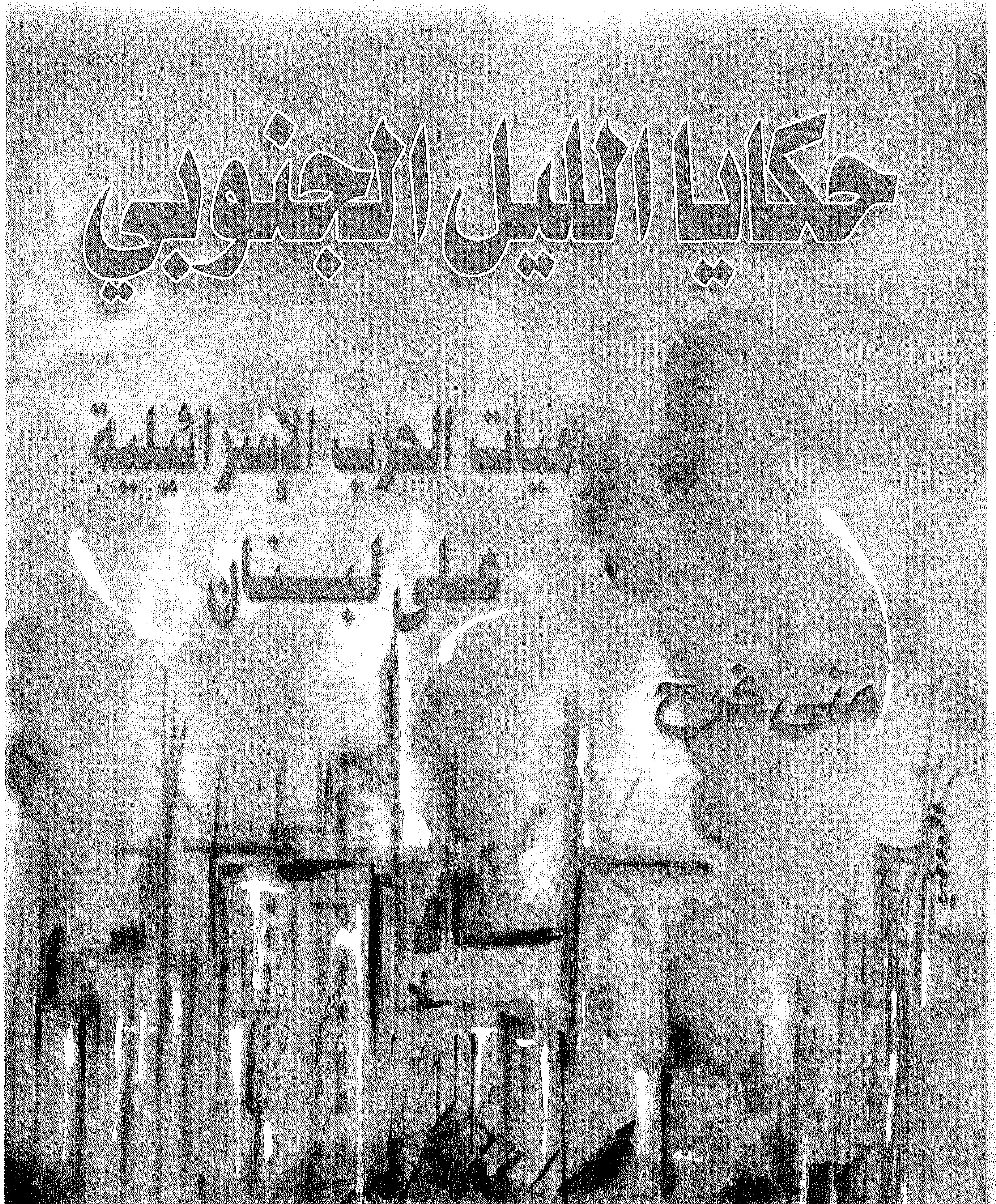
القبس

كتاب القبس
33





القبس

حكايا الليل الجنوبي

يوميات الحرب الإسرائيلية على لبنان

منى فرح

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

المقدمة

عندما شنت اسرائيل الحرب على لبنان بصورة مفاجئة، كان علينا ان نضع موضع التنفيذ قاعدة مهنية توافقنا عليها في «القبس»، وهي الحضور المباشر في موقع الحدث، وقد طبقنا هذه القاعدة بصورة مميزة خلال حرب تحرير العراق من النظام الصدامي، خصوصاً ان منافسة الاعلام المرئي لم تترك للصحافة الكثير من الخيارات كي تقدم للقارئ خدمة اضافية أولا، وحتى تصون مكانتها ثانياً.

خلال حرب العراق كان لدينا وقت كاف للاستعداد، فيما اخذنا العدوان الاسرائيلي على لبنان على حين غرة. ومع ذلك، فقد كان لا بد من تغطية الحرب بكل تفاصيلها وقسريتها وشجونها ووحشيتها، لانها شكلت صدمة وأسى للعديد منا، سواء على لبنان أم على ذكريات غالية على الكويتيين.

لقد ذهبنا مباشرة إلى الميدان اعترافاً منا بتقديم أفضل خدمة للقارئ من خلال التحقيق الميداني المباشر على الأرض من جهة، وانسجاماً مع خط «القبس» الوطني والقومي في الدفاع عن القضايا العربية من جهة أخرى.. فكيف اذا كان الامر يتعلق بلبنان الشقيق، الذي يحتل مكانة خاصة لدى

الكويتيين الذين تحولت مسألة إجلائهم منه الى قصة صحافية قائمة بذاتها؟!

لقد اتخذنا القرار السريع بالتغطية الميدانية، وتلاقت رغبتنا في ارسال مراسل الى الخطوط الأمامية في الجنوب مع حماس الزميلة منى فرح للتوجه الى هناك، وقد كان هاجسها ايجاد وسيلة لايصالها إلى لبنان غير آبهة باستكمال الموجبات الأخرى لهذه الرحلة الخطيرة، حيث تزداد احتمالات تعرض الصحافي لشتى أنواع مخاطر الحروب المعروفة.

لقد أمّنت هذه المهمة الشاقة، انطلاقاً من مدينة صور، في كل اتجاهات الجنوب اللبناني، تغطية مميّزة لـ «القبس». واستكملت سجّلا طويلا وحافلا للزميلة منى في التغطية الميدانية في العراق، مؤكدة في الوقت نفسه ان هذا النوع من المحررين الذين يعملون مباشرة في الميدان، وينقلون من مكان الحدث شهاداتهم الحية، هو مستقبل الصحافة المكتوبة.. فشكراً للزميلة منى على جهدها الذي أثمر سلسلة تحقيقات تنبض بالحياة والصدق، نقدّمها في هذا الكتاب لتكون شاهداً وتوثيقاً، ليس فقط على الجريمة الاسرائيلية، بل أيضاً على إرادة الصمود لدى لبنان وشعبه.

رئيس التحرير

وليد عبداللطيف النصف

لــماذا ؟

أفرحتني جداً فكرة تحويل مهمتي تغطية أحداث العدوان الإسرائيلي في لبنان إلى كتاب. فهذا أجمل ما يتمناه أي صحافي كتكريم لعمله من قبل إدارة التحرير.

لكن الفكرة أربكتني في الوقت نفسه من ناحية إجراء تقييم ذاتي لأداء المهمة وطرح السؤال على نفسي ما إذا كنت نجحت فعلا في إيصال الصورة، بكل تفاصيلها، إلى قرائنا الأعزاء بالمستوى المطلوب، أو على الأقل كما كنت أراها وأنا هناك. وما إذا كنت قدمت كل ما بوسعي لإتمام واجبي كما يجب.

في الإجابة عن الشق الأخير من السؤال، أقول إنني كنت حريصة كل الحرص على نقل مشاهداتي ومعايشتي اليومية للأحداث التي كانت تجري من حولي بكل صدق وشفافية، لأنني، ومنذ اللحظة الأولى التي توجهت فيها إلى لبنان، وضعت في أولوياتي أن أنقل للقارئ الحقيقة ولا شيء غيرها.

فبعدما انحصرت الأحداث في العاصمة والمناطق الأخرى على الغارات الجوية شبه الروتينية، بعد إفراغ الضاحية الجنوبية لبيروت من سكانها، قررت الانتقال بالسرعة الممكنة إلى الجنوب، قلب المعاناة المنبعثة من مجازر البشر والحجر، ومركز المواجهات، ومنبع النزوح البشري، وخاصرة الجرح الذي ظل ينزف حتى آخر دقيقة من أيام العدوان الثلاثة والثلاثين.

لم آبه بالمخاطر، وما اكترثت لتداعيات الحصار الذي ذهبت إليه بإرادتي. كان جل اهتمامي أن اصل إليهم، الشهداء والصامدين والنازحين. كانت أصواتهم وصورهم تجتذب كل صحافيي العالم. صار العالم جنوباً، وصار الجنوب وجوه أطفال تبكي من هول القصف ورعب أصوات الطائرات الحربية وانفجارات الصواريخ، وأشلاء عالقة بين الأنقاض، وعجائز أدماهم الدمع على الذكريات في أرض الحبور، ورجالا أخجلهم الشعور بالعجز، وأمهات تزغردن تارة لشعور باعتزاز، وتارة أخرى ينهار الدمع سخياً على خدودهن ألماً، أو حسرة.

وعندما لثمتني يد طفلة شهيدة انتشلت أمامي من بين أنقاض

مجزرة قانا صدمتني برودة الموت التي لا أزال اشعر بها ملتصقة بكتفي. ذلك كان احتكاكي الأول بالضحايا. وعندما غطت إحدى النازحات في المدارس وجهها حتى لا أرى دموعها أرعبتني فكرة أن أكون سبباً في إحراج هذه الانسانة المتعالية. وعندما شكرني ذاك الرجل الذي فقد زوجته وأبناءه الثلاثة تحت أنقاض مبرة الإمام علي في قرية معروب شرق صور، آمنت بأن النضال من أجل الإبقاء على رمق الإنسانية حياً متعافياً أجمل معركة يمكن أن يخوضها صحافي.

صار الشعب هو الحدث والمواجهة والقرار، لذلك لاحقت معاناة الناس، وتحرّيت مطالبهم، وسألت أكثر من مرة عن القرار الذي كانوا يريدون الوصول إليه. التصقت بهم. أصغيت إلى كل ما كانوا يقولونه أو يهمسون به. شعرت بأنفاسهم. جلست على مقاعدهم. أكلت من أطباقهم. حفظت أسماءهم ولون عيونهم وكلمات أغانيهم. عرفتهم وعرفوني. عرفت أنهم يريدون العيش بكرامة. لم اسمعهم يتحدثون عن الانتقام ولا عن حسابات، فقط عن تطهير الأرض من دنس أي محتل، كائناً من كان، وان يتركهم العالم يعيشون بسلام ليطلقوا العنان للألحان.

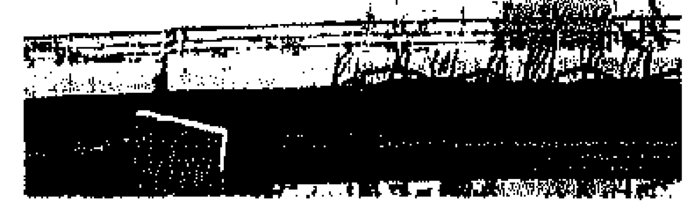
عرفت أن كل هذا هو الصدق بعينه، لكنني لست متأكدة ما إذا كنت وُفقت، في نظر القارئ، في ترجمة التفاصيل بدقتها. ليس من باب الدفاع عن هؤلاء الذين هم أيضا شعبي، بل لأثبت لنفسي نجاحي المهني أولا وأخيراً. فالفصل بين أن أكون مواطنة لبنانية من بلدة بنت جبيل الجنوبية، وبين أن أكون مندوبة «القبس» اختبار صعب كنت أُخضع نفسي له يومياً.

شكراً لكل القراء الذين كانوا يتابعون عملي. وشكراً لأسرة التحرير في جريدتي الغراء، فرداً فرداً، الذين لولاهم لما وفقت بما قمت به، بدءاً برئيس التحرير الأستاذ وليد النصف ومدير التحرير الدكتور أحمد طقشة، وسكرتير التحرير الزميل سهيل عبود، ولرئيسي المباشر الدكتور نبيل حاوي ولمسؤول الانتاج خضر دبوق.

منى فرح

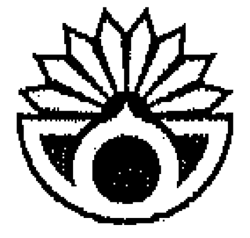
17/7/06

(بيـــروت)



من دمشق إلى بيروت
النكبـة والحزن والصمـود

■ دمـــوع مـــتـــجـــمـــدة وطـــرقـــات ومـــفـــاجـــآت في كل لحـــظـــة



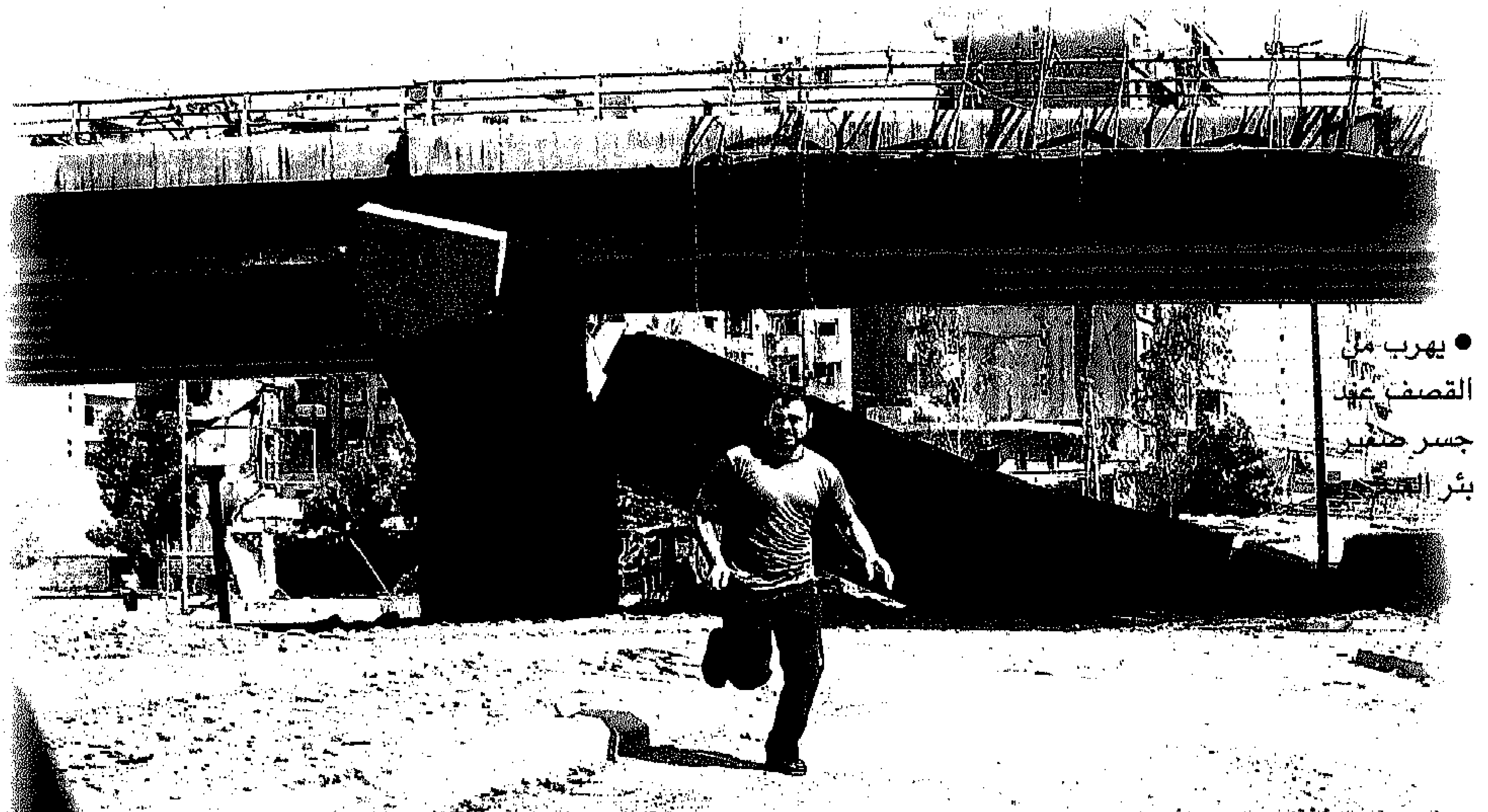
«آآآآآآآآآآآآآآآخ يـا بلدنـــا».

قـالتها أم علـي بصوت مبحـوح ورفعت يدهـا لتمسح دمعـة ساخنة نزلـت غصبا عنها، وأضافـت «راح البلـد».

أم علي (٤٨ عاما) واحـدة من مئـات العائلات اللبنانيـة التي التقيتها عند الحـدود اللبنانيـة السورية. فالطريق الوحيد إلى لبنان اليوم هو عبر مطـار دمشق الدولي، بعدما دمرت البوارج والطائرات والمدفعية الإسرائيلية مطار رفيق الحريري الدولي، وفرضت حصارا مشددا على البحر مستمرا منـذ أسبوع.

إلى أين؟ سألتها. «الله اعلم»! أجابتني بترقب وكأنها كانت تنتظر مني جوابا مسعفا. نظرت بدوري في عينيها علهما تساعدانني على انتقاء نوع الإجابة التي تريدها مني، فرأيت هالات سوداء تلمع فوقها دموع متجمدة لا تعرف سبيلها. هل تخرج من المقلتين أم تبقى محبوسة فربما الآتي أعظم.

كنت وعدد قليل جدا من المسافرين على متن الطائرة التي أقلتنا من الكويت إلى دمشق في طريقي إلى بيروت.



● يهرب من القصف عند جسر صغير بئر ال[illegible]

عكس السير!

«الناس رايحة وأنت جاية؟» سألني مدقق الجوازات في نقطة التفتيش اللبنانية عند الحدود، مستغربا وجهة سيري. قال لي، وهو يشير إلى آلاف العائلات النازحة من لبنان الذي يعاني الجحيم، «انظري.. هاربون بثيابهم.. لبنانيون وعرب وغربيون.. صار لنا ستة أيام على هذا الحال.. وينك رايحة؟! الوضع خطير جدا على الطريق وربما لن تستطيعي الوصول إلى بيروت.. أنا برأيي أن تعودي أدراجك».

لكن نظرتي إلى ذلك الموظف اللطيف والحريص، جعلته يفهم أن الأحداث تنادي كل صحافيي العالم ولا بد من أن يختم الجواز ويتركني وشأني».

كان أبو غارو، سائق التاكسي الذي اقلني من سوريا، حريصاً على أن أتحرك بسرعة حتى نصل بيروت قبل العتمة: «لا وقت لمحادثة الناس، هناك الكثيرون ستجدينهم في كل مكان غدا.. الآن يجب أن نتحرك فلا احد يعرف ماذا ينتظرنا على الطريق».

لا خيار لي في مناقشة أبو غارو. انصعت لأوامره وركبت السيارة فانطلق بنا محذراً «لا تعليقات.. ممنوع السؤال متى نصل، ولا في أي طريق اذهب.. ستصلين بيروت سالمة إن شاء الله، فقط اتكلي على الله وعليّ».

كلام أبو غارو أشعرني بالراحة، وحاولت أن أطلق لتفكيري العنان في أشياء بعيدة عن الطريق. لكن وبمجرد أن ابتعدنا بضعة أمتار عن نقطة «المصنع» الحدودية ودخلنا بلدة عنجر البقاعية، صدمتني الشوارع الخالية والمحال التجارية المقفلة والنوافذ المغلقة! كنت اعد نفسي لمفاجآت الطريق، لكنني لم أتوقع أن يبدأ الخطر من أول بلدة حدودية لبنانية.

«إنهم لا يوفرون منطقة في لبنان». قال أبو غارو عندما لاحظ شرودي في تفاصيل الأحياء. وأضاف «ليس الخوف والرعب اللذان يسيطران على كل اللبنانيين سبب شل الحركة هنا بل الحزن والاستياء من الذي يحصل.. في الحروب السابقة كنا نتحدث عن منازل تدمر، أما الآن فهناك مناطق بكاملها تتعرض للتدمير والتهجير.. إنها نكبة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى».

بلدة بر الياس وبعدها زحلة (عروس البقاع) لم تكونا أفضل حالا من عنجر.. كل شيء مقفل ويشعرك وكأن البيوت المحيطة لم يسكنها كائن في يوم من الأيام.

فها هي زحلة التي في العادة تعج بالمصطافين والسياح خالية تماما حتى من المتنزهين الذين كان مشهد «الغطيطة» يشدهم من كل صوب ويجمعهم عند التلال. وفي الأمس كانت الغطيطة وحدها: لا عشاق ولا متنزهين. لم ينافسها في المكان غير دخان قذائف البوارج الإسرائيلية التي أصابت رادارات محطات اتصالات وإرسال على تلال ترشيش المجاورة.

«لبنان يا قطعة سما»

مطلع أغنية للموسيقار اللبناني الكبير وديع الصافي استخدمت عنوانا لإعلان مصور عن السياحة الصيفية في لبنان مرت أمامه سيارتنا بسرعة. وهو الإعلان نفسه الذي

كانت محطات التلفزة اللبنانية والفضائيات العربية، وحتى شاشة الـ«سي ان ان»، تعرضه في شريط متلفز للترويج للسياحة في هذا البلد الجميل حتى ١٢ يوليو، والمنكوب ابتداءً من ذلك التاريخ.

دارت في مخيلتي، ولدقائق طويلة، الصور التي اختزنها الصافي عندما كان يكتب الأغنية. مياه نهر عذبة تشق طريقها برشاقة بين صخور الصوان، خريرها يتناغم مع حفيف أشجار حور وريحان امتزج لونها الأخضر مع زرقة السماء الصافية وانعكست بريقا على شطوط رملية دافئة تتراقص فوقها أحلام طفولة وضحكات صبية وسلام والدين جاءوا من هنا وهناك واللحن يتردد من فوق جبل ريحان «لبنننننننننان يا قطعة سما..».

«شو عدا ما بدا؟!»

صوت زقزقة العصافير الآتي من بين أغصان الأشجار المنتشرة على طول الطريق كاد يكون القاطع الوحيد للصمت المخيف الذي كان يغلف كل شيء ويصل إلى الجبال لولا هدير الطائرات فوق في السماء.

«هل علينا الاختباء اشعر وكأنهم يلاحقوننا؟!». قلت لأبو غارو الذي أجابني بهدوء: «لا تخافي لو أرادوا إيذاءنا لفعلوا، لن نفلت منهم.. إنهم لا يوفرون حتى الحجر.. امسكي أعصابك والله يمضّيها على خير».

لم أزد كلمة واحدة حتى لا اخرق الاتفاق الذي اشترطه أبو غارو عندما وافق على نقلي معه «لا أسئلة.. ودعي الطريق لي».

رائحة التراب المنبعثة من الأراضي الزراعية حملتها نسمات الهواء العليل الذي تشتهر به تلك المنطقة من لبنان، خصوصا في مثل هذه الأشهر من السنة.

كان سائقي يقود سيارته بحرفية مطلقة. يجتاز المنعطفات الخطيرة عند الوديان والجبال بمهارة عالية. يداه ممسكتان بالمقود بإحكام وعيناه على الطريق وانتباهه موزع على الجهات الأربع. «انظري.. قصفوا»، قال لي وهو يشير إلى بلدة تقع إلى يمين الطريق حيث اندلع دخان كثيف. لم أوفق بمعرفة ماذا كان الهدف، منزلا أو موقعاً عسكرياً أم مجرد تلة مقفرة، فأبو غارو كان يقود وكأنه في سباق مع الشمس التي لاحت لنا من بعيد جدا بينما كنا نجتاز المروج متجهين إلى بيروت.

«سنحاول أن لا نمر عبر أي جسر أو اوتوستراد عام.. سنحتاج وقتا أطول بقليل لو قصدنا الطرقات الداخلية بين الأحياء، ولكن سيكون هذا الخيار الأفضل».

أكتفى بهزة صغيرة من رأسي ليعرف موافقتي، وسار بي داخل المناطق الشرقية لبيروت حيث كان الحال مشابها تماما لكل البلدات التي اجتزناها منذ تركنا الحدود السورية، ما عدا صوت البارجات العسكرية الإسرائيلية التي ما إن تسمع صوت قذائفها وهي تنطلق من بحر بيروت حتى تشعر وكأن المنطقة بأكملها تتحرك من مكانها. والسؤال الوحيد الذي يتبادر إلى الذهن هو عن مصير المواطنين المستهدفين. «كراجنا هنا». قال لي أبو غارو بينما كان يركن

سيارته عند تقاطع طريق برج المر – شارع الحمراء. أنزلني هناك معتذرا «لا أستطيع أن اذهب ابعد من هنا.. عليّ العودة إلى عائلتي في برج حمود».

شكرته وبالي مشغول عن فرصي في الحصول على تاكسي جديد يقلني من ذاك التقاطع إلى أي مكان بعيد عن الجسر الرئيسي في المنطقة. فتجنُّب الجسور فوبيا تسيطر على كل الموجودين في لبنان اليوم لا سيما ان إسرائيل أثبتت منذ اللحظة الأولى لبدء اعتداءاتها الهمجية أنها تستهدف تلك المنشآت الحيوية مثلما تستهدف المواطنين الأبرياء والعزل.

أمضيت ليلتي الأولى في بيروت أشارك سكانها صوت البوارج وقذائفها وأنا أردد: الله يكون بعون الموجودين أمامي، واحيي فيهم هذه الشجاعة وقوة التحمل والصبر والصمود.

18/7/06

(بيروت)



٥٠٠ عائلة تفترش العشب وتتلحف السماء

حديقة الصنائع تختصر مأساة شعب



٥٠٠ عائلة هجرها العدوان الإسرائيلي يفترش أفرادها العشب ليلا ويلتحفون الفضاء هنا في حديقة الصنائع في غرب بيروت.

«جنينة الصنائع»، أو حديقة الرئيس الشهيد رينيه معوض، القريبة من منطقة الحمراء، فناء احتضن جزءا من المأساة الإنسانية التي تتسبب بها الاعتداءات الإسرائيلية على معظم المناطق اللبنانية خصوصا الجنوب والضاحية الجنوبية لبيروت.

هذه الحديقة التي ارتبطت ولا تزال بذكريات طفولة أجيال عديدة من اللبنانيين كانوا ولا يزالون يقصدونها لتمضية نهارات أيام العطل وسهراتها، وارتبط اسمها بالرئيس معوض الذي اغتيل أمامها عام ١٩٨٩، تحولت بين ليل وضحاه إلى غرفة طوارىء من دون سقف ولا جدران تختصر ما يسمى في كل حرب «الضريبة».

٥٠٠ عائلة (وربما أكثر) التجأت إلى هذا المكان. بعضهم جاء من الجنوب والعدد الأكبر من مناطق مختلفة من الضاحية الجنوبية. شردتهم الصواريخ وهدير الطائرات ورعد البوارج، فاحتموا بالمقاعد الخشبية تحميهم ظلال الأشجار نهارا وعتمة الليل مساء.

هؤلاء يجسدون المأساة بكل تفاصيلها. البعض منهم خسر فردا أو أكثر من عائلته، وجزء كبير منهم خسر منزلا بكامله.. لا بل حيّاً.. وماضياً بكل ما كان يحمله من تفاصيل الحياة اليومية: الأملاك والجيران والأحلام.. كل ذلك راح ولم يبقَ غير الذكريات في البال



• مآسي متداخلة ومتشابهة



● منكوبون .. وجرحى .. وتعاون أهلي

والحسرة في القلب وسور الحديقة – الملجأ.

ليس لديهم شيء

تخبّئ أم محمد وجهها بمنديلها الذي تغطي به رأسها. افهم منها أنها لا تريد الحديث إلى صحافيين، لا بل لا تريد الحديث إلى أي احد. وسرعان ما تغرق في البكاء وهي تتمتم من دون أن تنظر إلي «طلبت طعاما لطفلتي فاحضروا لي كوبا واحدا من الحليب».

أحسست بها وكأنها تختنق وطلبت منها أن تجلس، فأزاحت بوجهها عني وأومأت لي بيدها تطلب مني الانصراف. وقبل أن افعل بادرتني بالقول «لن أتحدث إليك.. من تكونين؟ صحافية أخرى؟ لا احد يهتم بحالنا ولا بمأساتنا.. أنا تعبت من الحروب وتعبت من التهجير والبهدلة.. كنت طفلة عندما حملني أبي على كتفه وصعد بي إلى شاحنة أقلتنا مع كل أقاربنا وجيراننا من الجنوب إلى الضاحية الجنوبية عام ١٩٨٢، وتكرر التهجير مرات عدة خلال السنوات اللاحقة، وها أنا أعيد الكرة مع أطفالي، حملتهم وسط القصف والخوف من بئر العبد إلى هنا.. يكفينا، والله حرام.. أنا خائفة ومرتبكة. زوجي ليس معي ووالدا زوجي مسنان لا أستطيع الاعتماد عليهما بشيء.. لم يبق لي شيء».

احترمت رغبتها بتركها وشأنها ونظرت في أرجاء الحديقة التي لا تتعدى مساحتها خمسة وستين ألف متر مربع.

لا فرش ولا أغطية ولا أي من مستلزمات الحياة اليومية وضروريات البقاء. لا يوجد

غير بشر من أعمار مختلفة. ورُضّع يلتصقون بأحضان أمهات غارقات في التفكير البعيد. أطفال هنا وهناك يبكون أو يلعبون من دون أي اكتراث، وبعضهم مرضى يحتاجون إلى رعاية طبية خاصة. صبايا وصبية استسلموا للنوم بعدما افترشوا العشب ليل نهار. رجال عقدوا حلقات خاصة بهم واستعانوا بورق اللعب للهروب من الهموم الضاغطة. عجائز استكانوا إلى جذع شجرة علها تمتص شيئا من حزن الشيخوخة المعذبة.

هؤلاء اللبنانيون، ورغم معاناتهم الظاهرة وصوت آلامهم المسموع حتى خارج سور الحديقة وما بعد فضائها، صامدون صابرون.

أم حسن (٦٣ عاما) عاجلتني بسؤال حتى قبل أن أحييها فقالت «من قبل من أنت». وعندما عرفت الجهة إنني من «القبس» قالت بفرح «احيي الكويت وأهل الكويت راعية فقراء العالم والمساكين».

من القلب إلى القلب

عدنان الحريري، موظف البلدية والمسؤول عن حراسة المكان قال لي «سأحدثك من قلب مواطن حريص إلى قلب صحافية مسؤولة.. هؤلاء الفقراء والمساكين والمظلومون جلبوا الكثير من الحزن والكآبة إلى المكان والى قلبي.. انني اتعذب وانا اراهم يعانون ولا ارى من يساعدهم.. (ما عم يهتموا بهم كما يجب) الناس ينامون على الشراشف الرقيقة والبعض على الحشائش. لم





● في العراء .. على الورق

يـزرنا أي مسـؤول حتى الآن. لا احد يهتم بهؤلاء البشر».

وقاطعته ام فضل: «نحن هنا معذبين جدا. الأطفال والأولاد يرتجفون مثل العصافير مع كل صوت قذيفة. صار لنا أكثر من أسبوع في العراء. المسؤولون لا يهمهم حالنا. البعض سيخسر صحته بسبب الفزع. تركنا منازلنا حفاة بدون أي أغراض.. ما فكرنا أن تفعل إسرائيل كل هذه المجازر. اعتقدنا أنها ستفك قيد أسرانا لذلك فرحنا عند سماعنا خبر اسر الجنديين الإسرائيليين».

وعندما سألتها ما إذا كان كلامها يعني إنها الآن ضد اسر الجنديين غضبت وقالت «السيد حسن (نصر الله) لا يحب الذل لأحد. يريد تحرير الأسرى.. الإنسان الشريف وحده من لا يقبل الذل، وهذا النوع من الناس قليل هذه الأيام... صحيح إننا في العراء.. العذابات التي نتكبدها كل ساعة لا توصف لكننا سنصمد.. سنصمد..».

الصمود والعزة

هذا الصمود المجبول بعزة النفس والمكابرة في آن واحد لا تستطيع أمامه إلا أن تبدي التقدير والمساندة. هؤلاء تركوا وراءهم أملاكا ومنازل فيها أسرة ومقاعد مريحة.. خسروا الأمان والاستقرار واللقمة الجيدة.. خسروا عناوينهم ولم يخسروا عزة النفس.. خسروا شقاء عمرهم ولم يخسروا الأمل.

للوهلة الأولى، عندما تستعرض المكان والزمان والظروف لا تستطيع أن تصدق أن ما تراه ليس مكابرة. ولكن عندما شممت



● كريم يجر دراجته فوق الرمل والبحص

رائحة القهوة من ركوة سيدة كانت تحرص على غليانها بهدوء وهي تنادي أختها لتجهز الفناجين، عرفت أن ما أشاهده هو شعب حي.. أعرفه جيداً.. فهو شعبي.. انه يقدر الحياة حق قدرها.. يصبر على الصعاب من اجل الغد.. يعطي ويعطي ويعطي ولا يطلب إلا العيش بسلام وشرف.

حسن نجيب يحيى (٥٤ عاما) ترك منزله في النبطية (جنوب لبنان) الخميس الماضي. «جئت إلى بيروت لإنجاز بعض المعاملات الحكومية وبعض الأعمال فانتهى بي الحال هنا. لا اعرف الكثير عن عائلتي.. الطرقات مقطوعة والاتصالات سيئة جدا».

أنا كريم

«أنا كريم» أجابني الطفل ذو السنوات الثلاث وأنا أسأله عن عمره وأحاول مساعدته في دفع دراجته الصغيرة العالقة في الماء والبحص.

وعندما سألته إذا كان سعيدا باللعب في الحديقة، قال «لا.. بدي روح عالبيت لأنو هون البيسكلات (الدراجة) مش عم تمشي. بدي روح عند عبدو رفيقي بيعرف يسوق بيسكلات».

اما أبو فضل السبيتي، سائق التاكسي العاطل عن العمل قسرا، قال لي: «كما ترين، الطرقات خالية من أي بشري وشغلي متوقف ولا معيل لنا.. انا هنا منذ خمسة ايام مع زوجتي وأطفالنا الثلاثة وأمي. هربنا أولا إلى مدرسة في مار الياس ولما ضاق المكان انطلقنا إلى هنا. قلة فرق هنا وهناك، كنا ولا نزال ننام على الأرض. عندما يخرج المرء من منزله يتبهدل. حاولنا

الصمود لكن كل البنايات حولنا دمرت بالكامل، اضطررنا للهرب. إسرائيل تدمر الضاحية لأنها تظن ان السيد نصر الله مختبئ تحت الارض وهي تريد ان تسد عليه المنافذ!».

لم أجد منزلي

هذا الصمود تقابله مطالب ونداء بالحاجات الكثيرة المفقودة. فها هو أبو رياض من حارة حريك يصرخ «ذهبت لأحضر بعض الأغراض فلم أجد منزلي.. ولا منزل جيراني.. لم أجد الحي كله.. نريد العودة لكن كيف والى أين.. أي مصير ينتظرنا.. أي واقع نعيشه.. من يرفع عنا شيئا من كل هذه المعاناة؟!..

يا ريت العالم كله يأتي ويصور ما حدث في الضاحية.. من اجل التاريخ فقط.. الضاحية اليوم تشبه ستالينغراد... هنا لم يساعدنا احد بشيء. ننام على الأرض ونتشارك حمامات عمومية لا تتوافر فيها أي من شروط النظافة والصحة».

19/7/06

الضاحية الجنوبية (بيروت)



الضاحيـة المنكوبـة والمهجـورة

ركام لا هيكل له ولا معالم

■ صـواريخ لم تـنـفـجـر وروائح سـامـة تـنـبـعـث من بـقـايـا قـذائف مـحـرمـة دولـيـا

هنا الضاحية المنكوبة.. هنا المدينة المعزولة.. هنا بئر العبد وحارة حريك وصفير والمريجة ورويس.. هنا كانت مجمعات سكنية تعج بالبشر والحياة والأحلام والطموحات.. هنا سكن مهجرو أول اجتياح إسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨، وتبعهم مهجرو الاجتياح الإسرائيلي الثاني والأكبر عام ١٩٨٢، والثالث عام ١٩٩٣، والرابع عام ١٩٩٦، وفي يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦ لم يبق من كل هؤلاء احد. لا الجد ولا الأب ولا الابن ولا الحفيد... نزحوا! أين ذهبوا!؟ وماذا ينتظرهم؟!

لحقت بهم إسرائيل إلى هنا، حيث غرسوا مع فقرهم وشقائهم وعذاباتهم التاريخية ليجبلوا منها منطقة تحضن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. إسرائيل وجهت طائراتها الحربية وصواريخ بوارجها لتحول ليل أهالي الضاحية المحرومة إلى جحيم. وعندما لم يستكينوا وصمدوا أرسل العدو مناشير الموت والرعب والوعيد «الصمود ممنوع.. والمكابرة لا نحبها.. والشجاعة لا نحن ولا مؤيدونا نعيرها أي تقدير أو اعتبار...».

بكى الأطفال وخافت الأمهات وارتبك الآباء. فالملاجئ غير متوافرة ولا مكان آمن.. إذن لا بد من الرحيل.

خرجوا بأقل ما يستر



● دمار في بئر العبد

أجسادهم. لم يحملوا غير الرضاعات والأدوية والبطاقات الثبوتية. هاموا على وجوههم وسط العتمة والظلام. نسوا وضع أحذيتهم في أقدامهم ونسوا حتى إغلاق أبوابهم بالمفاتيح.

إلى أين؟! إلى أرض الله الواسعة.. إلى المدارس الآمنة والمساجد المحايدة والكنائس الفارغة.. إلى عند الأقارب والأصحاب والمعارف هناك.. في بيروت والجبل والبقاع والشمال.. إلى سوريا والخليج والغرب والشرق.. فرقت بينهم السبل.. تركوا وراءهم الظل وآثار خطوات لم يمحها كل جبروت الصواريخ وأوراق المناشير.

الأطلال

تدخل أحياء الضاحية الجنوبية بعد تفكير طويل بحجم المخاطرة التي تقبل عليها، لا أحد ينصحك بالمجازفة «هناك صواريخ لم تنفجر».. «هناك روائح سامة تنبعث من مخلفات قذائف استخدمت ضد الأحياء السكنية وهي محرمة دوليا».. «الركام والدمار غيّرا خارطة المنطقة وقد تضيعين»...!

كانت هذه بعضا من النصائح التي أمطرني بها الأصدقاء والزملاء الصحافيون وقبلهم المسؤولون في دائرة الإعلام التابعة لحزب الله. فالدخول اليوم إلى مناطق الضاحية يحتاج إلى تصريح رسمي من الحزب.

«نحن نعرف المنطقة جيدا ومكامن المخاطر المحدقة بها.. الأفضل أن



● صحافية أجنبية تسير في حي الجامع في بئر العبد

تتقيدي بتعليماتنا وتأخذي بنصائحنا.. لا تجازفي بما لا ننصح به».

ورغم المعاملة اللطيفة والدافئة التي خصني بها عناصر الحزب الذين التقيتهم في حارة حريك، فإن الحصول على إذن التجول في الأحياء والشوارع والمناطق تطلب الانتظار ساعتين ونصف الساعة إلى أن اقتنع من يصدره بالموافقة لي.

فالليلة قبل الماضية كانت واحدة من الليالي الصعبة جدا التي تمر على لبنان منذ أكثر من أسبوع. والقصف الجوي والبحري الذي طال مناطق متعددة في الجنوب ووصل إلى البقاع الغربي وبعلبك وحتى الشمال، كان مكثفا بصورة استثنائية على الضاحية الجنوبية، بالإضافة إلى انه وخلال المناقشة الطويلة التي دارت بيني وبين عناصر الحزب بخصوص الجولة وأخذ صور فوتوغرافية، كانت طائرات الاستطلاع الإسرائيلية MK، أو «أم كامل» (كما يسميها

اللبنانيون) تحلق في الأجواء طوال الوقت، وهو إجراء تتبعه إسرائيل قبل كل جولة قصف تنفذها.

و«أم كامل» اسم شخصية تمثيلية كانت معروفة بكثرة الكلام الذي لا يتوقف. وقد أُطلقت التسمية على طائرة الاستطلاع تلك التي يمكن التعرف عليها من صوتها العميق كون الإسرائيليين كانوا لا يوقفون عمليات التجسس في الأجواء اللبنانية.

أخيرا، وافق مسؤول في الدائرة الإعلامية الشيخ حسن رمال «بس لأنك جاية من بلاد برا (الكويت).. لكن أرجوك تقيدي بما نصحناك به. لا تلمسي أي جسم مشبوه..لا تقتربي جدا من المباني المدمرة.. لا تتعدي مسافة ال٢٥ مترا من حدود المربع الأمني.. ضعي كمامة على انفك وفمك فالروائح المنبعثة من مخلفات الصواريخ مؤذية وسامة..الله يكون معك..».

تركني الشيخ رمال بعدما أصر على أن ارتدي الدرع الواقي من الرصاص والخوذة، لكن رقابة عناصر الحزب لم تنته عند هذا الحد. فبعدما أوقفت سيارتي إلى جانب الطريق بين بنايتين وتجهزت باللباس المطلوب وعدة التصوير، حضر عنصران من الحزب على دراجة نارية وسارا على الجانب الآخر من الطريق وبخط مواز لي.. عرفت أنهما العيون التي ستراقب مدى تقيدي بالتعليمات، لذلك قررت الانضباط لتجنب أي مشكلة الجميع في غنى عنها.

الصدمة

سرت بعيدة عن الحاج رمال ورفاقه مسافة نحو ٤٠ مترا..فجأة أحسست بالوحشة تتسرب إلى قلبي. فبعدما توقف الحديث وغابت الوجوه، بدأت الرؤية تتضح أكثر فأكثر وتصبح على تماس مع خطواتي المتعثرة والمرتبكة.



● جسر «هادي» مدمراً في صفير

ستالينغراد

حان وقت تشغيل الكاميرا.. ويا لهول ما انحشر داخل العدسة.. بنايات ضخمة صارت ركاما من دون أي معالم.. شوارع ردمها الخراب والأثاث المتناثر من هنا وهناك.. نوافذ مشرعة تتطاير منها الستائر.. أبواب مخلوعة وحرمات منازل مكشوفة للعيان..

بحثت عن عناوين أعرفها جيداً في المنطقة، فلم أجد شيئا غير أطلال لا هيكل لها ولا معالم..ضاعت البوصلة .. فقبل دقائق فقط كنت على يقين بأنني في منطقة حارة حريك أما الآن فلست واثقة..

التدمير الهمجي جعل المناطق المجاورة مكشوفة بعضها على بعض فاختلطت المعالم والحدود.. محا خطوطا عريضة من خارطة ما كان يعرف بأكبر تجمع سكني وتجاري وبشري في لبنان كله.. وصدق من شبه المنطقة بستالينغراد ثانية، (المدينة الروسية التي دمرها عن بكرة أبيها الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية).

وخوفا من أن يتملكني خوف لا اعرف التخلص منه وأضيع عن درب العودة، بحثت عن مرافقي (العيون المراقبة). رأيتهما يتبعانني على الجهة الثانية من الطريق. اقتربت منهما محاولة التودد عبر حديث عام لربما يخفف شيئا من وحشة المكان وقوة الصدمة التي سيطرت عليّ وجمدت أصابعي من الضغط على آلة التصوير.

«صباح الخير» قلت لهما فاكتفيا بالابتسام وردا التحية بإيماءة بسيطة بالرأس.



• دمار عند أطراف منطقة الحدث

• كيف باقين هون.. المنطقة خطرة جدا؟!

- الله كريم.

• بماذا تحتميان عندما تبدأ الغارات؟!

-الله الحامي.

• هل لوجودكما ضرورة؟! اقصد المنطقة خالية من كل شيء.. ماذا هناك لتفعلاه؟!

-الله معك يا حاجة!

اللصوص في المنطقة

انتهت المحادثة.. فالسؤال تخطى حدود المسموح به. ثم لماذا اطرح مثل هكذا أسئلة. العيون المراقبة أرادت حمايتي من الخطر كما فعلت وستفعل مع غيري وأمثالي خصوصا الحشريين من أمثال الصحافيين.

وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت طلقات نارية في الهواء من إحدى البنايات القريبة، كان هناك شخصان مدنيان يركضان ووراءهما عناصر من حزب الله يأمرونهما بالتوقف.. علمت بعد الاستفسار أن الشخصين لصان كانا يحاولان سرقة احد البيوت.. إذن العناصر الصامدة في بؤرة الموت جميعهم عيون تحمي الأملاك

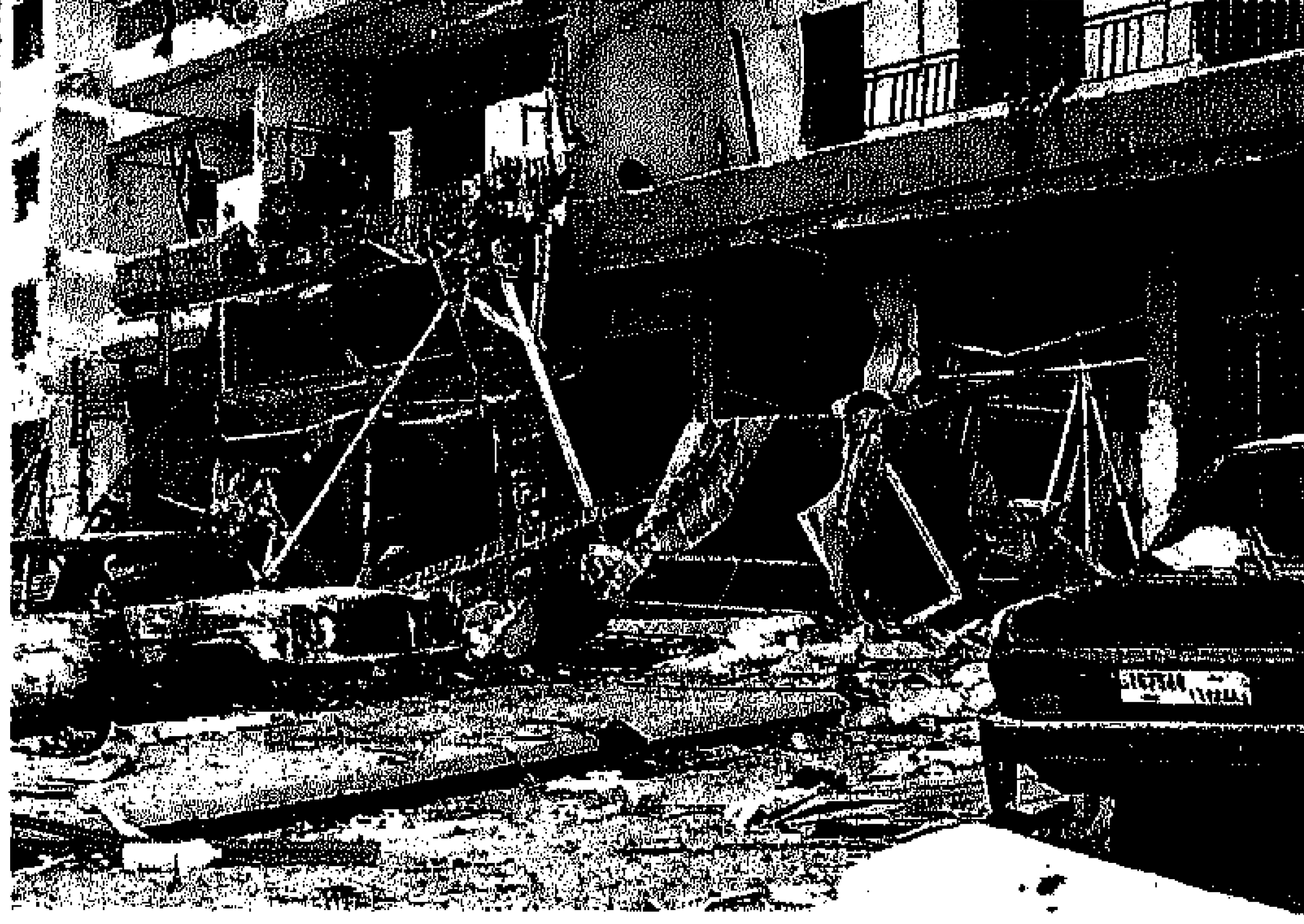
من عبث اللصوص وأصحاب النفوس الميتة كما تحمي البشر.

الحجر بيتعمر

عدت إلى الحاج رمال وقلت «دمار لا يمكن وصفه ولا يمكن احتواؤه بصورة»، فرد عليّ احد الحراس: «كل شيء يمكن تعويضه.. الحجر بيتعمر.. أهالي الجنوب والضاحية صاروا معمرجية (بنّائين) بالخبرة..».



● الغبيري كانت هنا


● محلات وشقق مدمرة في حارة حريك

من حارة حريك تقدمت باتجاه اعرف انه إلى منطقة الرويس، ومن هناك أكملت إلى المعمورة ثم حي السلم وأخذت المفرق الذي يؤدي إلى الكفاءات (أطراف الشويفات) ودخلت منطقة السان تيريز ثم حي الجاموس وصفير وبئر العبد والغبيري والشياح.

لم التق بساكن واحد ولم أر أي محل تجاري مفتوح، فقط بضعة أشخاص يتحركون على عجلة من أمرهم يلملمون بعض المستلزمات الضرورية من البيوت ليهرعوا بعد ذلك إلى حيث كان الملاذ القسري.. البعض إلى قاعات المدارس في المناطق التي تعرف بالمحايدة (لم يطلها القصف) والبعض الآخر إلى المساجد أو الكنائس. ومن يصنف في خانة المحظوظين فهم هؤلاء الذين لديهم أهل أو أقارب أو أصحاب يملكون منزلا هنا أو هناك في بيروت أو الجبل أو الشمال أو... من يدري!

يسكن علي عيسى وحيدا في البناية في الشياح «الخوف من ضياع أملاكنا اجبرني على البقاء. بالطبع هربت عائلتي إلى رأس النبع، لكن الجيران كلهم متكلون عليّ لذلك أبقى».

وعن كيف يقضي الوقت عندما تبدأ الغارات يقول عيسى «أحتمي بما تيسّر. أنزل إلى الطوابق السفلية، وأحيانا ازور معارف في البناية المجاورة، بقي منهم كم شخص للهدف نفسه».

أوامر الحزب

أما الشيخ سامر الحسيني الذي التقيته عند ما كان يسمى جسر بئر العبد - صفير قبل التدمير الهمجي، فأخبرني أنه جاء

«لأخذ بعض الأغراض الضرورية لأطفالي وزوجتي وأتفقد المنزل، وجدت باب الشقة مخلوعا من شدة القصف، وكذلك كل أبواب الشقق في بنايتنا وفي البنايات المجاورة».

وبعد نقاش مقتضب حول ما يحدث وحرصه على معرفة ما يقوله الصحافيون فيما بينهم وبعيدا عن شاشات التلفزيونات وأوراق الصحف، قال لي الشيخ الحسيني «احلف بالله العظيم وبأولادي أن لا طائرات العدو ولا مناشير التهديد من اجبرني على الخروج من بيتي، إنما أوامر حزب الله الذي نصحنا بذلك بعدما افهمونا أننا سنكون عالة على تحركهم».

وفي طريق العودة استوقفني قاسم عباس في شارع بئر العبد، وطلب مني نقله بسيارتي لأنه لا يستطيع إيجاد أي وسيلة نقل، وافقت بالطبع فصعد ومعه كيسان معبآن بثياب أطفال وبعض الاحتياجات اليومية.

إلى أين؟ سألته. فأجاب «إلى مدرسة الإيمان التابعة لجمعية التربية الإسلامية» حيث لجأ مع عشرات العائلات.

20/7/06

الشويفات (بيروت)



هكذا دمر العدوان الإسرائيلي معامل الشويفات ومصانعها

بيروت الحزينة أبوابها من نار ومخارجها من حمم



بيروت الحزينة أبوابها من نار ومخارجها من حمم.

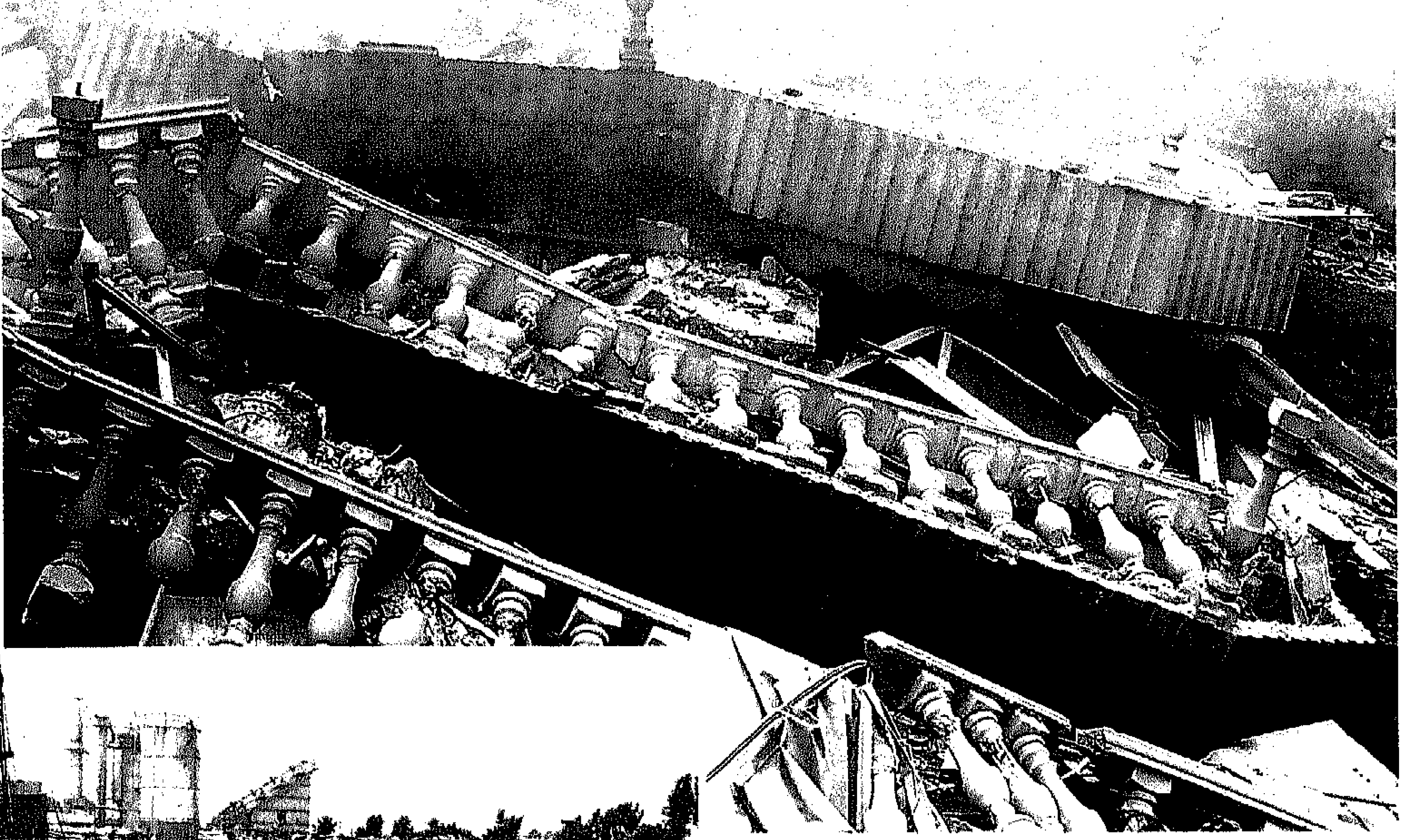
هذه هي حال العاصمة اللبنانية اليوم، خصوصا الضاحية الجنوبية ومحيطها الممتد جنوبا.

فالعدوان الإسرائيلي، المستمر بدون هوادة منذ أكثر من أسبوع، عزل لبنان جوا وبحرا عن العالم الخارجي. وجعل الأراضي اللبنانية مقطعة الأوصال محاطة بخطوط من نار تزداد لهبا يوما بعد يوم.

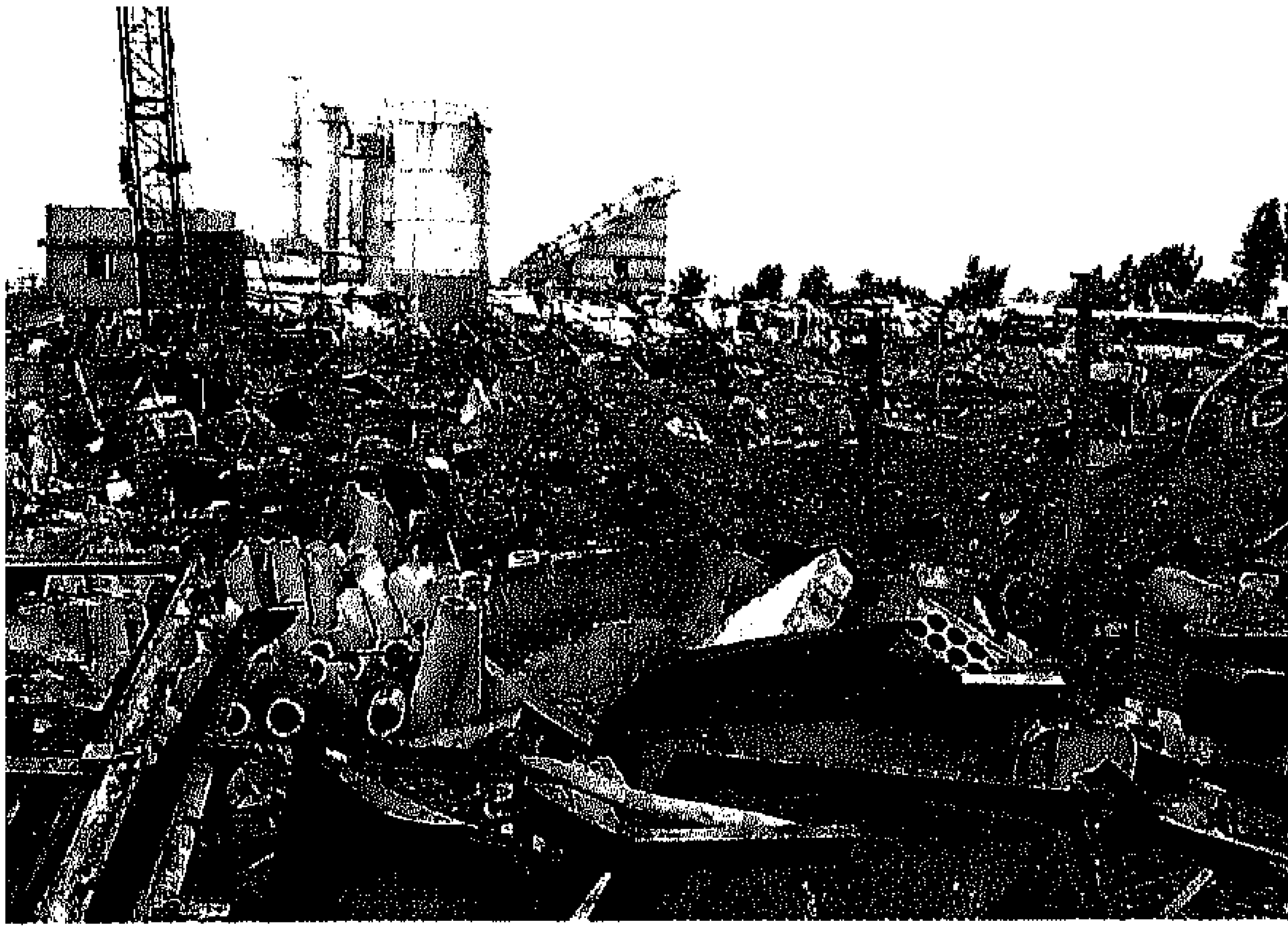
في الأمس أردت التوجه إلى منطقة باتر-جزين في محاولة للوصول من هناك إلى الجنوب، لا بد من الوصول أولا إلى اوتستراد خلدة، البلدة الساحلية، جنوب بيروت، الذي يؤدي بدوره إلى طريق الناعمة الذي منه يتفرع مفرق الدامور - ملتقى النهرين، ومن هناك إلى الشوف للنفاذ منها إلى باتر ثم جزين.

أخذ مرافقي طريق الحدث - الشويفات (المنفذ الوحيد المتوفر للخروج من بيروت) وهو الطريق الوحيد الآمن نسبيا أو يمكن القول «حتى الآن».

• آثار القصف على الشويفات



• ما بقي من مجمع طبارة



• مصنع مدمر في الليلكي

والشويفات، أو ما يعرف بأطراف بيروت الجنوبية، مناطق كانت حتى وقت قريب أراضي زراعية تزود بيروت كلها بالخضار على أنواعها وبعض أنواع الفاكهة.

بعد انتهاء الحرب الأهلية عام ١٩٩٠ تحول جزء كبير من المنطقة إلى مجمعات سكنية امتصت بعضا من الكثافة السكانية التي كانت تخنق الضاحية الجنوبية، والهاربين من زحمة العاصمة. أما ما تبقى من المساحة فقد أنشئت فوقه معامل للصناعات الخفيفة مثل الكرتون والورق وأكياس النايلون والبرادات الخاصة بوسائل النقل والخشب وقطع السيارات السكراب والدواليب وغير ذلك.

وما إن وصلنا إلى بلدة الشويفات (أطراف الضاحية الجنوبية) حتى قطع الطيران الإسرائيلي الطريق علينا، غارة مفاجئة لم يسبقها أي إنذار أو مؤشرات تذكر، اختبأنا في مدخل إحدى البنايات. كان أول ما استهدفته الغارة مجمع طبارة السكني في حي القبة. ثلاثة صواريخ ألقت بها الطائرة خلال ثوان فقط ليتحول المجمع وما يحيط به إلى ركام ودخان وحرائق قضت على الأخضر واليابس. يضم المجمع ثلاثة أبنية، كل مبنى يتكون من خمسة طوابق، وواحد من هذه المباني يضم مستودع عيتاني لقطع السيارات.

الغارة استمرت وحلقت الطائرة فوق منطقتي التيرو والليلكي المجاورتين والمحاذيتين لمطار رفيق الحريري الدولي. فقصفت أولا مجمعاً صناعياً يضم عدداً من المعامل الصغيرة التي تعنى بالصناعات



● حرائق في مستودع حلواني



● .. ومصنع سنو للأخشاب

الخفيفة، وأيضا عددا من المستودعات والمخازن الكبيرة التي تمد مناطق العاصمة بالمستلزمات الغذائية والخدماتية. فقصفت أولا مستودع حلواني لخدمات التبريد. بعدها معمل ومستودع سنو للأخشاب. وطالت الغارات كذلك مصنع ومستودع شحرور للورق ومعمل الباطون ومباني أخرى.

كان لا بد من العودة إلى الوراء على أمل أن تسنح الفرصة لمحاولة أخرى في وقت آخر، فالطريق إلى الأمام غير واضحة المعالم ولا المصير.

أثناء العودة الإجبارية سلكنا طريقا خلفية لبلدة الشويفات كانت تعرضت للقصف من البوارج ليل الأربعاء الخميس. كان هناك مواطنون ينقلون ما يمكن حمله وإنقاذه. وما يزيد مشهد الدمار والنزوح قسوة شكاوى هؤلاء الضحايا ممَّن أسموهم «عديمي الضمير».

كثير من المستودعات كانت وبعد ساعات فقط من العدوان الجوي والبحري عرضة للسرقة والنهب.

عندما رآنا محمد حلواني صاحب مستودع حلواني لخدمات التبريد صاح بصوت مملوء بالحرقة وقال: «يقولون إسرائيل شر مطلق؟! لا والله ضعفاء النفوس وعديمو الضمير هم الشر بعينه.. نقبل بقدرنا ولكن صعب علينا تحمل أن يسرقنا واحد منا».

تركنا حلواني وابنه الذي كان يعاونه في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من جنى العمر وقلت في نفسي الله يسترنا من المخبأ. فالحروب كارثة كيفما كانت ومهما اختلفت أهدافها، لكن مضاعفاتها لا شك تبقى هي الأصعب.

21/7/06
(بيروت)



خط سير اللبنانيين اليوم..

تجنب الجسور والأنفاق والشاحنات والسيارات الكبيرة

■ الهدوء النسبي فرصة للتخلص من الملل وإنجاز الأعمال المهمة



«كل شيء لحالو»

قالت سعاد مع بعض الإحراج عندما رأتني أدخل محلا تجاريا في شارع الحمراء في بيروت حيث كانت تشتري طلاء للأظافر وأقلام أحمر شفاه.

وأضافت «الله جميل ويحب الجمال.. وأنا بصراحة بحب كون حلوة عندما أقابل وجه ربي».

سعاد واحدة من اللبنانيين الكثر الذين أغراهم الهدوء الأمني غير المتوقع أمس، وطوال الليلة قبل الماضية، فخرجوا ينشدون متنفسا وتسلية وحركة، بعيدا عن جدران البيوت ومحطات الأخبار المتلفزة والمسموعة. «فشم الهواء» باللهجة اللبنانية، ضروري ولو كان ملوثا بروائح البارود والحرائق والدموع المجمدة، كما بالخوف والحذر. البعض قرر التنقل أو الخروج هربا من الزهق، أو متوجها إلى العمل، أو طلبا لقضاء حاجة أو لزيارة، أو حتى لمشاركة في نشاط ومساعدة.

كان شارع الحمرا، على غير عادته منذ اندلاع الحرب قبل تسعة أيام، يعج بالمشاة والمركبات الآتية من المناطق والأحياء المجاورة.

معظم المحال التجارية فتحت أبوابها، وكذلك عدد لا بأس به من المقاهي والمطاعم وفروع المصارف ومحال الصيرفة.

رجال أعمال يتنقلون بين المصارف والشركات



● الأهل والأطفال والنظرات الحائرة

لإتمام أعمال طارئة أو مؤجلة أو مجمدة.. بائعون يجردون حسابات مضى عليها أكثر من أسبوع.. متسوقون يطالعون واجهات المحال التجارية التي امتلأت بإعلانات عن تنزيلات في غير وقتها.. عائلات تهيم على وجهها عند الأرصفة، تعرف من ملامحهم أنهم محتارون بانتقاء الاولويات، إنهم سكان جدد في منطقة الحمرا هجروا إليها قسرا من الضاحية الجنوبية وقرى الجنوب المنكوبة، ولجأوا إما إلى منزل احد الأقارب أو الأصحاب، بينما توزع العدد الأكبر منهم بين المدارس وكلية الحقوق والعلوم السياسية وبعض قاعات السينما.

اليوم الأسود

أم مهدي (٤٢عاما) كانت تقف أمام محل «ألدورادو» تمسك بيدها اليسرى كف ولدها مهدي (خمس سنوات) وتقفل باليمنى فمها بحركة عفوية، وكأنها لا تريد أن تخرج الأفكار التي تثقل رأسها كلمات يسمعها المارة فيعرفون حالها.

كانت تقف إلى جانب أم مهدي ابنتاها، سهى (١٥ عاما) وزينب (١٣ عاما)، وكلتاهما تنظران إلى والدتهما بترقب وأمل في أن تقرر الأم دخول المحل.

العائلة كانت تبحث عن بعض الحاجيات الضرورية من ملبس وغيره، فهي واحدة من أفراد مئات الآلاف من العائلات الذين تركوا منازلهم في الضاحية الجنوبية قسرا. هربوا من حارة حريك بثيابهم، قبل أن يتسنى لهم حمل أي من أغراضهم الخاصة



● التسوق في شارع الحمراء

أو حاجاتهم اليومية الضرورية. وسكنوا مع العشرات في إحدى قاعات كلية الحقوق اللبنانية.

«البنات بدهن ثياب..أنا وهذا الولد ووالدهم عم ندبر حالنا بس هن وضعهن غير. بتعرفي شو قصدي..بس العين بصيرة واليد قصيرة ونحن في ظرف علينا أن نخبئ القرش الأبيض لليوم الأسود.»

وهل هناك يوم أكثر سوادا من هذا!؟

أزحت وجهي خجلا من هذا الكبرياء الذي أمامي. فأم مهدي من سكان البنايات التي دمرها الطيران الإسرائيلي خلال الغارة على المربع الأمني التابع لحزب الله. التفت إلى سهى أسألها عما تحتاج. وقبل أن تجيب نظرت نحو أمها ثم نحو شقيقتها وشقيقها، والتفتت إليّ تقول بصوت طفولي خجول: «لا شيء».

بدت لي سهى وكأنها تذكرت من جديد أن أكثر ما يهمها الآن هو البقاء معا فنسيت حاجتها إلى الثياب، وقررت أن لا تحرج والدتها بعد اليوم.

كان هناك الكثير من أمثال عائلة أم مهدي في المنطقة جاءوا من مساكنهم القسرية المؤقتة

للتنفيس عن حصر إجباري فُرض عليهم. بعضهم اشترى، وبعضهم الآخر اكتفى بالمشاهدة والاستفسار، لكنهم بالتأكيد أضافوا إلى المكان حياة وحركة ولو مشروطة مع هدوء حركة الطيران الحربي ومدافع البوارج. كذلك كان هناك آخرون جاءوا من هنا وهناك كل لغايته.

أزمة الدولار بدأت

السيد عدنان أراد تحويل مبلغ من المال من الليرة اللبنانية إلى الدولار الأميركي. «العملة الأميركية لا يهزها ريح... ولا أمان اجتماعيا أو اقتصاديا مع الليرة... الحذر في مثل هذه الظروف ضروري جدا فلا احد يعلم بالمفاجآت التي تنتظرنا بعد».

تشبه حال عدنان (أب لأربعة أطفال) حال العديد من اللبنانيين إن لم يكن جميع اللبنانيين. فسعر صرف الدولار الأميركي ارتفع إلى 1650 ليرة لبنانية من 1500، أي بزيادة 150 ليرة، ويتخوفون أن تصل الزيادة إلى أضعاف هذا الرقم، خصوصا ان تطور الأحداث اليومية (الميدانية والسياسية) لا تبشر أحدا بالخير ولا تبعث على التفاؤل.

والقلق على القرش يأتي دائما في الدرجة الثانية من حيث الاولويات بعد الخوف على الحياة. وهذا الموضوع وان كان من المسلمات فإنه بالنسبة للبنانيين يعني الكثير.

فالحروب المتعددة والمتكررة والأزمات السياسية والأمنية التي مرت على لبنان منذ منتصف السبعينات من القرن الماضي حتى اليوم، أعطت اللبنانيين دروسا وتجارب مريرة. وأحداث عام ١٩٨٦ لا تزال



● ازدحام في الأسواق

في متناول الذاكرة عندما ارتفع سعر صرف الدولار بين ليلة وضحاها ألف مرة (كل ٣٠٠٠ ليرة لبنانية كانت تساوي دولارا واحدا).

صناعة الفرح

وهذا ليس المثال الوحيد على الانهيار الاقتصادي الذي يترافق مع كل انتكاسة أمنية أو سياسية في لبنان ويتحمل وزره المواطن اللبناني الفقير قبل غيره، وأكثر من غيره.

وإذا كانت الضروريات هي من شجعت اللبنانيين على الخروج، فإنها لم تكن السبب بالنسبة لسعاد التي كانت تشتري أدوات التجميل وأيضا بالنسبة الى طارق ومحمد وعماد الذين كانوا يتناولون القهوة عند الويمبي. وغيرهم ممن أرادوا التنزه في الحمرا للترويح عن النفس وتضييع بعض الوقت بعيدا عن الزهق.

وتوظيف الوقت الذي تهدأ فيه آلة الحرب في الترفيه والفرح ليس بعادة

جديدة عند اللبنانيين. فطوال فترة حرب السنتين(١٩٧٥ - ١٩٧٧) وبعدها الاجتياحان الإسرائيليان (١٩٧٨ و١٩٨٢) ثم عملية تصفية الحساب عام ١٩٩٣ التي شنتها إسرائيل ضد الجنوب، وبعدها عملية عناقيد الغضب عام ١٩٩٦.. وغيرها من الأحداث والأزمات الدامية والاعتداءات، كان اللبنانيون يفاجئون العالم بأسره بقدرتهم على استعادة الحياة، وبث الحيوية والروح في الحجر قبل البشر بعد كل أزمة مهما كانت شديدة. كان وقت وقف إطلاق النار في كثير من المرات لا يتعدى الساعات القليلة، ومع هذا كان اللبنانيون يستغلون تلك الساعات في إقامة الأفراح والأعراس والحفلات.. وحتى أثناء الاقتتال الداخلي بين اللبنانيين كان هناك عناصر ينتمون لجهتين متقاتلين يتشاركون في وقت الهدنة الأفراح والاتراح، وما إن تنتهي الهدنة حتى يعود كل منهما إلى خلف متراسه.. وهكذا.

خطوط سير جديدة

وعلى الرغم من كل هذا وذاك، فإن التنقل بين المناطق اللبنانية في أوقات الحرب لم يكن يوما مريحا ولا سهلا أو آمنا، خصوصا في هذه الأيام. فالانتقال إلى الغرب والشمال مجازفة، والتوجه إلى الجنوب مستحيل، وكذلك الحال بالنسبة إلى الضاحية الجنوبية.

أما في بيروت، ورغم الهدوء النسبي وغياب زحمة السير الخانقة ووجود دروب عدة توصل إلى المكان المقصود، فإن التنقل داخل العاصمة ليس كالمعتاد. الحذر والتخوف



● شوارع بيروت التجارية بين الهدوء والترقب

يجعلان المتنقل يفكر مليا في خريطة الطريق التي سيسلكها.

اللبنانيون يلحون في تبادل الدعوات كعادتهم «تعا لعنا» لكن في الظروف الراهنة يتبعون الدعوة بأسئلة واستفسارات ونصائح.. «أي طريق جايي؟!... انتبه كتير.. ما تقطع عن الجسور.. ما تمشي ورا كميون أو سيارة كبيرة.. ما تنزل تحت نفق.. ما تقرب على المناطق المستهدفة وخطوط النار».

والخوف من الجسور سببه إصرار العدوان الإسرائيلي على تقطيع أوصال المناطق اللبنانية من خلال تدمير كل الجسور مهما كانت أهميتها ومواقعها. أما الخوف من الكميونات (الشاحنات) والسيارات الكبيرة فسببه حادثة قرية مروحين وقصف حفارات الآبار الارتوازية في الاشرفية قبل أيام واستهداف قوافل النازحين والمساعدات وسيارات الإسعاف.. يعني بالعربي صار اللبناني أسير ظله.

23/7/06

الضاحية الجنوبية (بيروت)



مندوب الأمم المتحدة جال بين الأحياء يريد التأكد أنها مناطق سكنية!

■ مبانٍ مدمرة بالكامل وأخرى آيلة للسقوط والشوارع مقطعة الأوصال



في الصباح الحادي عشر من صباحات العدوان الإسرائيلي الهمجي على لبنان، اصطحب حزب الله مجموعة كبيرة من الصحافيين والإعلاميين العرب والأجانب في جولة نادرة إلى مناطق الضاحية الجنوبية لبيروت المنكوبة.

«لا تقلقوا.. إن شاء الله ما بيصير إلا الخير».

قال لنا مرشدنا الذي كان يتحدث الإنكليزية بطلاقة ثم أضاف وهو يبتسم «معنا واسطة اليوم»، مشيرا إلى مندوب الأمم المتحدة يان إغلاند الذي كان معنا والذي على «شرفه» نظم القسم الإعلامي للحزب هذه الجولة.

«أراد إغلاند أن يتأكد بنفسه من أن المناطق التي يطالها القصف الجوي والبحري في الضاحية الجنوبية ليل نهار ومن دون هوادة هي مناطق سكنية»! قال المرشد. وتابع: «ساعدونا نفرجيه كيف يعني سكنية»، ثم طلب منا أن نتبعه برجاء التقيّد بالتعليمات والمحاذير.



● محيط مجمع الشهداء

رافقتنا الأناشيد الوطنية والحماسية، التي كانت تنبعث عبر مكبرات للصوت تم تثبيتها على سيارة تابعة لحزب الله، طوال الوقت. ورغم إن السير بجانب سيارة كبيرة في هذه الظروف هو من المحظورات، خصوصا في الضاحية، وبالأخص أن

كل ما في السيارة يدل على أنها تابعة للحزب. لكن الصحافيين والإعلاميين ساروا من دون أي تعليق، وكل الاتكال على «المرافق المهم جدا». كما أن الأغاني التي تمجد المقاومة الإسلامية والأرض والشهادة (أريد منها حث من بقي على الصمود والصبر والتعالي فوق الجراح والمكابرة ضد الأحزان والأوجاع) ملأت قلوبنا بالحماسة ومدتنا بالشجاعة المطلوبة.

أطلال جديدة

سبقت جولة أمس جولة أولى يوم الجمعة الماضي. فاصطحاب الإعلاميين عادة يحرص عليها الحزب لاستقطاب الناس والراغبين في التعرف إلى تجربته السياسية والجهادية أيام السلم، ولكي يطلعهم على وقائع وحقائق الإرهاب الإسرائيلي أيام الحرب، وفقاً لأعضائه الذين انتدبهم لمرافقتنا. أراد منا الحزب (نحن الصحافيين والإعلاميين) أن «ننقل بالصورة الحية ما صنعته طائرات العدو الإسرائيلي وبارجاته وأدواته الفتاكة، بعدما كان الحديث والوصف يأتي من خارج العين المجردة». وهو أراد من هذه الجولة أن يؤكد انه «باق وموجود ولم يترك الساحة ولن يفعل».

وقد سمحت لنا عناصر الحزب بتصوير المباني المدمرة تدميرا كاملا لكنهم تحفظوا على بعض الأماكن الحساسة، حيث سويت بالأرض وصارت أثرا بعد عين، كما تحفظوا على الإجابة عن بعض الاستفسارات مثل تسمية المواقع أو شرح بعض الإحداثيات، كذلك التصريح بأسماء بعض العناصر وملاك الأماكن التي مررنا بها.



● عائدون لتفقد منازلهم في بئر العبد

ماذا بقي من الضاحية ليأخذونا في جولة ثانية؟!»

قال احد الصحافيين وهو يحرك رأسه يمينا ويسارا بثقل تحت الخوذة المضادة للرصاص. وأضاف «ماذا سنرى؟!». أجابه صحافي آخر: «سترى أطلالا جديدة اليوم. ففي الليلة الماضية شنت الطائرات الإسرائيلية خمس غارات شديدة على حارة حريك ورويس وصفير وبئر العبد».

مستشفى بهمن مهدد

دخلنا الضاحية الجنوبية من بوابتها الغربية المجاورة لطريق مطار رفيق الحريري الدولي. كان مستشفى بهمن في حارة حريك محطتنا الأولى. هذا المستشفى الذي شيد بأموال تبرعات معظمها من محسنين كويتيين كان في احد الأيام ملجأ لمعالجة جراح الفقراء وأمراضهم، لكنه اليوم خالٍ ومهجور ومهدد. فقد عمد المعنيون إلى إخلاء المرضى والجرحى إلى مستشفيات أخرى بعيدا عن الخطر، بعدما أصبحت

الضاحية هدفا للتدمير والإبادة.

كانت الجولة مؤلمة بكل أبعادها. رائحة الموت والنزوح والخراب تلتصق بك وتقيد حركتك. ومع كل خطوة تخطوها إلى الأمام أو الخلف، إلى اليسار أو اليمين تبرز معالم أكثر غرابة وهولا.

الضاحية التي زرتها قبل أيام وأعرفها لسنوات طويلة طويلة تغيرت كليا وارتدت حلة لا تقربها إلا البلدان المنكوبة بفعل الزلازل والأعاصير والحروب الخيالية. وكيف لا وهي التي لا تزال تتلقى أطنانا من الصواريخ والقذائف الإسرائيلية بشكل يومي ومنذ احد عشر يوما.

في كل يوم تزور الضاحية تفاجئك الصورة من جديد، وتظن نفسك في مكان آخر تطؤه قدماك للمرة الأولى وتدهش به. أبنية بحالها أبيدت. مؤسسات ومتاجر صرف أصحابها جنى العمر في تشييدها أو شرائها غابت عن الساحة. نبض حياة كان يدب في المكان ليلا ونهارا صمت كليا.

ذهول وصدمة

«ذهول وصدمة».. هذا كان حال الوفد الإعلامي وكذلك حال من جاء يتفقد منزلا أو محلا أو أقارب أو من دفعته «الحشرية». تجهد الذاكرة لكي تستعيد مشاهدتها عن أحياء كانت مشبعة بالفقر والرقي في آن معا وعن عمارات جديدة شيدت هنا وهناك، عن أزقة تعايش معها نصف مليون لبناني فلا تجد أمامك إلا مدينة أشباح وسراب.

هذه ليست الضاحية بل مدينة من التاريخ



● خطر القذائف غير المتفجرة في حارة حريك

القديم ربما هيروشيما وربما ستالينغراد وربما بلد لم يعد في البال. فالمعالم المحفوظة عن ظهر قلب لا يمكنك تمييزها، وما هو موجود اليوم يصيب العين بالغشاوة والدموع ويتكسر القلب حسرة وأسفا.

لطالما تذمر السكان من إهمال الدولة لهم.. فماذا نقول في محاصرتها بالنار والدماء وفي عبثية الصورة؟

لطالما تضايقوا من الحفر والجور فماذا يمكن القول الآن عن الحفريات العميقة التي أحدثتها الصواريخ الثقيلة؟!

أوصال مقطوعة

تقطعت الأوصال بين هذا الشارع وذاك وانفصلت الجسور عن متمماتها وتهدمت متاجر ومخازن وتعاونيات ومستودعات كانت تعج بزبائنها ولم يعد شيء يطابق مخزون الذاكرة.

بات التنقل بين هذه المنطقة وتلك صعبا كما بات الوصول إلى مواقع تحن نفسك إليها مستحيلا.

أين سوق معوض وحارة حريك وبئر العبد؟ وأين شارع القسيس وشارع العريض وشارع السيد عباس الموسوي وشارع النور؟ أين

المنار ومجمع الشهداء الذي كان يضيق بالمواطنين والمؤمنين؟ أين وأين وأين..؟؟!!!

المربع الأمني

أثير حول المربع الأمني، أو معقل حزب الله في الضاحية الجنوبية، الكثير من التكهنات والأسرار والهواجس وأيضا الاتهامات والخبريات، وحيكت عنه الحكايات والأوهام إلى حد وصفه بـ«قلعة الموت».

البعض قال انه كان يضم خنادق تحت الأرض تشبه تلك التي قيل انها كانت موجودة في افغانستان أيام حكم طالبان، والتي كان صدام يخبئ ترسانته فيها قبل الغزو الأميركي للعراق. والبعض قال إن المربع ما هو إلا مدينة فوق مدينة تعلوها مدينة!

لكن، وخلال الجولة أمس رأينا أن معقل الحزب، وقبل أن يصبح ركاما، ما هو إلا مساحات سكنية على شكل مربعات تفصلها عن بعضها البعض شوارع ومبانٍ ومتاجر وأسواق.

وقد عرف بالمربع الأمني الخاضع لحراسة مشددة لوجود منازل الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله ومنزل العلامة السيد محمد حسن فضل الله ومنازل المسؤولين والقياديين فيه وبيوت بعض النواب ومكاتبهم. وكانت توجد أيضا اغلب المراكز الرئيسية لجمعيات الحزب ومؤسساته التي تشكل المصادر المادية والإعلامية والتعليمية والدعاوية والتنظيمية. مثل جمعية التعليم الديني التي يتخرج في معاهدها مدرسو مادة التربية الإسلامية في المدارس الرسمية وفي المدارس التابعة للحزب.

وفي المربع الأمني أيضا كان هناك مبنى تلفزيون المنار وإذاعة النور ومجلس شورى حزب الله.

ومن الروايات التي كانت تروى حول المربع انه إذا أراد احد السكان التنقل أو الخروج والدخول أكثر من مرة، فإنه كان يخضع لتحقيق دقيق ويوضع تحت المراقبة.

الناظر إلى المربع الأمني اليوم يحسب أن زلزالا أصاب المنطقة. وحال المنطقة تذكر بأهوال الحرب العالمية الثانية وتفضح الطرق الانتقامية التي يمارسها العدوان الإسرائيلي ضد لبنان.

24/7/06

صور (جنوب لبنان)



من بيروت إلى الجنوب صور مشبعة بالمآسي والمخاطر

■ المواطنون يرفعون شارات بيضاء إعلانا للسلم لا للاستسلام



الرحلة بين بيروت وجنوب لبنان (ذهابا وإيابا) بقدر ما هي مليئة بالمخاطر في هذه الأيام فإنها مشبعة بالبؤس، مصبوغة بالجراح التي قد لا تندمل، غزيرة بالصور المأساوية، طافحة بالقصص المبكية، مثقلة بالهموم والمصاعب، تنزف عرقا ودما وقهرا ولوعة ونقمة، تصرخ بآهات لا تتسع لها أصداء الكون كله. أما من يرتاد هذه الرحلة اليوم ففرسان يجمحون بعنفوان يفوق استيعاب الإنسانية.



● كوثر صُبح (٣ سنوات) لاجئة في احدى المدارس

إنها رحلة عذاب وموت وولادة.

النازحون قسرا ومجازفة لا تكفيهم الراية البيضاء فوق سياراتهم حتى يضمنوا الوصول إلى بر أمان بعيد عن الجحيم.. فإسرائيل، وبعد أن طالبت المواطنين عبر مكبرات الصوت ومن خلال المناشير أكثر من مرة بوجوب ترك منازلهم وإخلاء قراهم، طلبت منهم أيضا رفع رايات بيضاء باليد أو تعليقها فوق وسيلة النقل التي تقلهم كشرط أساسي لتحييدهم عن فوهات المدافع.

ورغم التقيد بكل هذه الشروط فإن الطائرات الإسرائيلية ومدافع البارجات تترصد بالموت كل من وما يتحرك (البشر والمواشي والحيوانات). والغارات، التي كانت تتركز على المنازل في الأيام الأولى للعدوان، تتركز على سيارات النازحين لتخط يوميا مجزرة جديدة في سيارة أو شاحنة وحتى سيارة إسعاف دون أن يستطيع احد الاقتراب لتقديم المساعدة.

وحدهم الصحافيون والإعلاميون (العرب والأجانب) من يتوجه جنوبا هذه الأيام، بالطبع إلى جانب فرق الدفاع المدني والصليب الأحمر اللبناني والدولي وفرق الإغاثة والمتطوعين لإجلاء العائلات المنكوبة والتائهة.

طريق الموت

تركت بيروت عند الساعة الواحدة من بعد الظهر. كان لا بد من المرور عبر الطرقات الفرعية على الأطراف الجنوبية للعاصمة لتجنب الاوتستراد العام. الخط الرئيسي الذي يؤدي إلى خارج بيروت لم يعد صالحا أبدا للاستخدام بسبب كثافة القصف

الجوي والبحري الذي يستهدفه منذ نحو أسبوعين.
المرفق الوحيد الذي لا يزال قائما في هذه المنطقة هو نفق اوتستراد مطار رفيق الحريري الذي يوصل إلى مشارف بلدة خلدة. ورحلة الطريق إلى الجنوب في الظروف العادية تختصرها الجبال على الجانب الأيسر، والبحر على الجانب الأيمن. لكن العدوان الإسرائيلي الهمجي اختصر المشهد، ووضع حدا له في منطقة الاوزاعي.
السير على الطريق الساحلية ضرب من الجنون، فالبوارج الحربية المنتشرة على طول الشواطئ تزرع الأرض قتلا ودمارا وخرابا، والطائرات التي تملأ السماء جيئة وذهابا تقصف كل ما يتحرك.
لا بد من الانعطاف والدخول في حارة الناعمة. «الآن كلنا واحد» قال أبو يوسف (سائق السيارة) التي أقلتني إلى صور ومعنا مساعدنا بلال. «شدوا الأحزمة قد نضطر لأن نزيد السرعة، لكن انتبهوا إذا أصبحت سيارتنا تحت النار فاحرصوا على أن تكونوا في الخارج بأقصى سرعة ممكنة».

الفرسان

اتفقنا على التصرف وفق مبدأ الفرسان (الفرد من اجل الجميع والجميع من اجل الفرد). ودّعنا بيروت وسرنا في المجهول الذي ينتظرنا على الطريق.
المدخل الوحيد السالك إلى الناعمة هو الطريق القديم بعدما دمر الطيران الجسر وزرع الطريق حفرا، وكذلك هو حال جسر الدامور. يستقبلك الجيش اللبناني عند مدخل البلدة وعبارة «الله معكم» هي أحوج ما تريد أن تسمعه. من الناعمة تصل إلى الدامور ومن هناك إلى منطقة ملتقى النهرين.
ولولا انشدادنا إلى صوت المذياع وحاجتنا لسماع نشرات الأخبار بشكل متواصل حتى نؤمن طريقنا، لكادت المناظر الطبيعية الخلابة، التي تحيط بالمرء، ما إن تطأ قدماه منطقة جبل لبنان، تنسينا صوت الطائرات وانفجار القذائف والصواريخ.
ورغم أن مناطق الجبل مستقرة إلى حد ما لبعدها عن خط النار، فإنه لا يمكن القول إن الحياة فيها طبيعية تماما.
ففي العادة تشكل مناطق الجبل (خصوصا في فصل الصيف) مزارا ومنتزها لا غنى عنه بالنسبة للسياح كما هي الحال بالنسبة لجميع اللبنانيين، خصوصا أبناء بيروت. فها هي المنتزهات والمطاعم خالية، ومياه النهر تجري بعيدا عن لهو الأطفال وهمسات العشاق وصخب المتنزهين.

السلام وليس الاستسلام

المشهد الجنوبي يبدأ من الشوف. قوافل من السيارات المحملة بعشرات العائلات الهاربة من الجحيم تسير في الاتجاه المعاكس (نحو بيروت) أو باتجاه البقاع وسوريا، وتشكل امتدادا للوضع الأمني السيئ الذي تتركه وراءك في بيروت وتتهيأ لملاقاته في الجنوب، فلا تعود الجبال ولا الوديان قادرة

على استيعاب المشهد.
أطفال وشيوخ ونساء نسوا أن يخفضوا الشارات البيضاء لهول ما عانوه في الطريق.
«إنها علامة السلام وليس الاستسلام» يقول أبو عصام وهو يقود سيارته المحملة بأطفاله الأربعة وزوجته وأمه المسنة وابن الجيران اليتيم بعد مقتل والديه وأشقائه تحت ركام منزلهم في مارون الراس.
«قلت لأولادي خلص يا بابا نزلوا الشرشف الأبيض صرنا في بعقلين والخطر صار وراءنا»، فجاوبني ولدي: «لأ بابا، في إسرائيل ببيروت كمان»!
من بعقلين أخذنا مفرق إقليم الخروب ومنها إلى الساحل مجددا. وما يخفف من مأساوية الصورة انتشار عدد لا بأس به من شبان المنطقة على جانبي الطريق يحاولون إرشاد النازحين الى الاتجاه الصحيح أو مدهم بالماء وبعض المواد الغذائية.

الرميلة مقفرة

من بلدة البرجين - المريجات إلى برجا ثم الجية حيث كانت النيران لا تزال تلتهم ما بقي من معمل توليد الكهرباء بعد تعرضه لغارة ليلية شديدة. لا مجال لعبور طريق الجية الساحلي. المنفذ هو بلدة وادي الزيني ثم بلدة جدرا ومن هناك إلى طريق الرميلة القديم (الجسر والطريق الجديدان مدمران). والرميلة، لمن لايعرفها، بلدة زراعية فيها شواطئ رملية جميلة جدا شيدت عليها المسابح الفخمة يقصدها اللبنانيون والسياح من مختلف بقاع لبنان.
أما اليوم فهي مقفرة لا يوجد فيها ناشد واحد لشمس الصيف ودفء الرمال البيضاء.
فالمنطقة، كحال المناطق اللبنانية الأخرى المتاخمة للجنوب والساحل، تتعرض لقصف مشدد بين الحين والآخر دفع السكان إلى النزوح. وفي الليلة قبل الماضية أصاب صاروخ من البحر محطة داغر للوقود في البلدة فحولها إلى كتلة من النار والرماد.

الحياة تتوقف في صيدا

نترك الرميلة ونتابع جنوبا على أمل أن ندخل صيدا من بوابتها الرئيسية عند جسر الأولي، لكن الجسرين الأول والثاني مدمران كليا فأخذنا المفرق إلى داخل بلدة الأولي لننفذ من هناك إلى ساحة صيدا وجامع الحريري.
من هنا يبدأ الطيران في مرافقتك على طول الطريق. يحلق على ارتفاع عال تارة وارتفاع منخفض تارة أخرى. تسمع صواريخه تنفجر هنا وهناك ولسان حالك يسأل: «هل أكون الهدف التالي؟!».
من صيدا تتوقف الحياة رغم انتشار بساتين الموز والحمضيات وحظائر المواشي على طول الطريق المؤدي من عاصمة الجنوب إلى الغازية والصرفند وعدلون وغيرها من البلدات والقرى الساحلية.
لا طريق إلى جسر الأولي الذي صمد طوال فترة الحروب الماضية ليتفجر تحت ثقل صواريخ الطائرات والبوارج في العدوان

الحالي قاطعا الطريق أمام أهالي الجنوب الذين طالما رأوا في الجسر متنفسا حيويا لهم.

إذاً، لا طريق إلا على ضفاف نهر الليطاني. وهي فرصة لزيارة استراحة أبو ديب المشهورة. وبدل روائح الشواء وصراخ لهو الأطفال وضحكات الصبايا وغيرها من الدلائل والإشارات التي كانت ترشد كل زائر إلى تلك الاستراحة الجميلة التي يقصدها البيروتيون قبل الجنوبيين، علقنا وسط وحول المياه المتدفقة من أنابيب أو عيون فجرتها الصواريخ فاختلطت مع الأتربة والردم والدمار. وأضافت عائقا جديدا للطريق المزدحمة ببقايا وآثار النزوح الكبير الذي شهدته الطريق في الأيام الأولى للعدوان.

عائلة أبو عصام نموذج لآلاف سبقوه على الطريق نفسها بعدما سدت جميع السبل الأخرى أمامهم. خارطة طريق جديدة ينشد العابرون من خلالها النجاة من جحيم القصف الإسرائيلي. ولكن ما إن تلتفت على الجانبين حتى تستدرك أن الموت كان يتربص بهؤلاء المساكين في أكثر من مكان وصورة.

على الجانبين، بقايا سيارات اصطدمت بعضها مع بعض، وأخرى اصطدمت بشجرة أو ضلت دربها، ووقعت في وادٍ أو جورة أو تعطلت لسبب ما أو نفد البنزين منها. تتساءل عن مصير أصحابها وتحاول تخيل كم كان حجم الخوف والصدمة اللذين تكبدوهما ليسلموا بحياتهم.

من الليطاني إلى صور.. لا حياة ولا حركة. بلدات مهجورة وبيوت مشرعة وطرقات منكوبة.

تدخل صور على صوت القصف المتواصل. مرة على القرى حول المدينة، ومرة أخرى إلى احد أحياء المدينة نفسها.

استراحة صور، وبفضل قربها من مركز القوات الدولية (تم إخلاؤه أخيرا) ووجود مركز ميداني للصليب الأحمر الدولي والصليب الأحمر اللبناني، تحولت إلى غرفة عمليات لصحافيين وإعلاميين جاءوا من مختلف بقاع الأرض. فنصبوا أجهزتهم وركزوا عدسات كاميراتهم وبرمجوا آلات تسجيلهم لرصد الأحداث اليومية والمتوقعة عند الحدود غير البعيدة جدا.

ماهر (احد المسؤولين في الاستراحة) سعيد جدا لوجود مراسلي شبكة الـ«سي ان ان» وشبكة تلفزيون «فوكس نيوز» الأميركيتين. «إنهما وديعة قيمة للغاية نستطيع بها أن نضمن سلامتنا جميعا وأمن كل الموجودين هنا، لذلك سأفعل ما بوسعي حتى أقدم لهم كل الخدمات المريحة ليبقوا أطول فترة ممكنة».

25/7/06

صور (جنوب لبنان)



نازحون يحملون ما تبقى من ملامحهم
ويسيرون نحو المجهول

عندما يبكي الحجر!

■ طفلة تسأل أمها: «هلق بدنا نموت؟»
وشيخ لأولاده «اتركوني أموت هنا»

أطفال فقدوا القدرة على الكلام، وآخرون فقدوا القدرة على الوقوف والسير. نساء أصبن بالهستيريا، ورجال انهارت أعصابهم كليا، وعجائز غابوا عن الوعي بعدما فقدوا الأمل بشيخوخة هانئة.

جرحى يئنون تحت الأنقاض. وجثث بدأت تنهشها الكلاب والقطط والحيوانات الضالة.

سيارات تسير على ثلاث عجلات فقط وأخرى من دون سقف أو أبواب أو زجاج.

عائلات تموت على الطريق وأخرى تقضي أكثر من عشر ساعات لقطع مسافة لا تزيد على ٢٠ كيلومتراً هربا من الجحيم.

وقائع مأساوية.. مزرية.. موجعة ومبكية. تلامسها حينا، وتسمعها من أفواه أصحابها حينا آخر، أو يرويها لك من سمعها قبلك، وجميعها حوادث تخجل من عدم قدرتك على تصديقها خصوصا إذا كنت من خارج الأحداث.

لا مجال للتساؤل لماذا ولا كيف بل إلى متى؟!.. وماذا بعد؟!!.

العدوان الإسرائيلي الهمجي المستمر على لبنان منذ نحو أسبوعين هو حرب ابادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. الجنوب، كما ضاحية بيروت الجنوبية، ينزف الجراح تلو الجراح، والآلام تلو الآهات والويلات تلو الكوارث.



● دموع من التهجير والتعب والألم

استراحة المحارب

«إن بقينا في بيوتنا سنموت وان خرجنا سيقتلوننا»! هذا كان لسان حال عباس

نجار الذي وصل أمس إلى استراحة صور (المحطة الأولى للنازحين من القرى والبلدات المجاورة).

صور، في الاستراحة تحديداً، نقطة الالتقاء الوحيدة المتاحة مع أهالي قرى وبلدات القطاع الأوسط والغربي من الجنوب اللبناني بعدما قطعت إسرائيل أوصال المناطق بعضها عن بعض، ومنعت أي شخص من الوصول إليهم حتى لو كان من فرق الدفاع المدني او الصليب الأحمر الدولي واللبناني.

فالعدو الإسرائيلي بالكاد يسمح للمنكوبين هناك بالخروج. وبالكاد جدا يمنحهم فرصة للنجاة والوصول إلى بر الأمان سالمين، اما من يحاول السير في الاتجاه المعاكس- نحو الداخل- فمصيره الموت لا محالة.

إذا، استراحة صور صارت اليوم استراحة المحاربين من الصحافيين والإعلاميين العرب والأجانب، بعدما اجبروا هم أيضا على ترك مواقعهم في الخطوط الأمامية، وهي أيضا استراحة النازحين والهاربين الذين يقضون الأيام والساعات الطويلة على طريق الهروب، فيتوقفون لفترة قصيرة في صور ثم يتابعون رحلة المجهول نحو بيروت. ربما إلى مدرسة ما أو مسجد أو قاعة سينما ... أو من يعلم؟!

يقتلون كل شيء

عباس ترك بلدته يارون الحدودية هو وعائلته المؤلفة من زوجة وخمسة أطفال ومعهم أمه وزوجة شقيقه وأولادها الثلاثة، بالإضافة إلى شقيقته ووالديها وشقيقة



● نظرة إلى المجهول

أخرى. وكانت نيران الدبابات الإسرائيلية وصواريخ الطائرات قد حاصرتهم داخل المنزل سبعة أيام متتالية من دون أن يجرؤ أي منهم على الخروج أو التنقل حتى بين غرف المنزل.

«خرجنا بثيابنا فقط..»، قال عباس ثم أضاف: «أول ما سنحت لنا الفرصة حملنا قلوبنا على أيدينا وسلمنا امرنا لله.. كنت حائرا بما افعل فلو أبقيت العائلة والأهل في المنزل لكان دمر فوق رؤوسنا عاجلا أم آجلا. فإسرائيل تدمر البلدة منزلا تلو المنزل وتكاد تمحو كل اثر للأهالي هناك.. كان لا بد أن اخرج بهم إلى مكان أكثر أمانا، لكن الطريق أيضا مستهدف وهم (الإسرائيليون) لا يسمحون حتى للبقرة بالحركة».

ماما هلق بدنا نموت؟!

وتقاطعه نبيهة عربيد (جارته في يارون ومن العائلات التي خرجت مع عائلة عباس) وتقول: «أردنا الخروج منذ اليوم الأول للعدوان.. لكن إسرائيل لم تسمح لنا.. هم

طلبوا منا ترك البلدة لكن الطائرات كانت تقصف المواطنين داخل سياراتهم، وبعد كل هذا لا تسمح لأي كان بالاقتراب لإجلاء الجرحى والقتلى..».

وتصمت نبيهة لتجهش في البكاء، ويبدأ جسدها كله يرتجف وكأن الويلات التي عايشتها وسط جحيم العدوان لم تفارقها بعد. وبعد دقائق نظرت إليّ بعيون تملأها الحسرة وتحشرها الدموع لتضيف «كنت خائفة جدا. ابني حسين (٨ سنوات) فقد وعيه بين يدي خمس مرات من شدة ما شعر بالخوف، وطوال الوقت يسألني ماما هلق بدنا نموت؟ وابني الثاني حسن (سنتان) لا ينام أبدا وإذا نام يصحو وهو يصرخ طيارة بوووم..».

تابعت الأم: «نحن نعيش في استراليا. سبقت زوجي وجئت بأولادي حتى يتعرفوا على بيت جدهم بعدما كنت أمضيت شهورا وأياما وأنا أخبرهم عن لبنان والجنوب وأؤكد لهم أننا سنمضي اوقاتا حلوة في بلدنا».

بينما كانت نبيهة تغطي وجهها بيديها، كان الطفل حسين الذي أحزنه بكاء أمه يحاول أن يحضنها بيديه الصغيرتين ويمرر وجهه على خديها تحببا محاولا مواساتها. ولما لم يجد لمحاولاته نفعا قال لها «ماما بدي ارجع عالبنان بس تخلص الحرب».

وتروي نبيهة كيف سقط البيتان المجاوران لمنزلها في يارون، وكيف سقط صاروخ في حديقة منزلها ولم ينفجر. وتضيف «لم يعد لدينا ما نحتمي به ولا ما نطعمه لأطفالنا.. انضممنا إلى الجيران لنكون معا في المحنة



● نبيهة عربيد مع ولديها حسين وحسن وبعض الجيران النازحين معا من يارون الى استراحة صور

ونتشارك لقمة الأكل وشربة الماء من اجل التوفير».

ويتدخل حسين نجار ليقول «يقصفون كل شيء، حتى الكلاب والقطط والمواشي، ولو أرادوا لأبادوا حتى الذباب والحشرات.. إنهم يبيدون اللبنانيين في الجنوب.. لم يقدروا على مقاتلي حزب الله فقتلوا الشعب.. ما ذنبنا نحن وما ذنب الأطفال؟؟».

يصعب جدا تصديق أو تقبل ماذا يعني أن شعبا بأكمله متروك وحده ليجابه واحدة من أشرس القوى العسكرية في العالم بأجساد عارية وأفواه فارغة.

تنظر إليهم، هؤلاء الناجين من حمم الطائرات والمدفعيات، فيصعب عليك تصديق أنهم أمامك أحياء.

تسألهم، من ساعدهم، فيردون بابتسامة ساخرة وهزة من رؤوسهم المثقلة بالهموم والمصائب والمسؤوليات بصوت مجروح: «الله ما بينسى عباده».

الإجابة محترمة بالطبع لكنها بالتأكيد لا تشفي الغليل. فتلك القرى والبلدات التي

تراها من صور موزعة على الجبال الجميلة وبيوتها المكسوة بالقرميد الأحمر محاطة بالمزروعات والأشجار المثمرة، مساحات سكانية تحتضن مئات الآلاف المؤلفة من العائلات معظمهم من المغتربين الذين جاءوا مع بداية الصيف وملأوا البيوت والسطوح والأحياء والأزقة. وتسأل ماذا حل بالذي نجح في النزوح وما مصير من لا يستطيع إلى ذلك المصير سبيلا؟ ومن سيدفن الجثث المحتجزة بين الركام؟!

موتى وأيتام

اما الحوادث الأكثر إيلاما فرواها لنا محسن عريبد: «الطائرات الإسرائيلية تستهدف المنازل واحدا بعد الآخر، ولا تكتفي بقصف المنزل مرة واحدة بل ترمي الصاروخ الأول ثم، وبعد اقل من خمس دقائق، تغير مرة أخرى على المنزل نفسه، ثم مرة ثالثة بعد اقل من عشر دقائق».

وتابع محسن «عندما خرجت بعائلتي وأهلي من يارون صادفت على الطريق عائلات مؤلفة من أطفال ونساء وشيوخ يسيرون على أقدامهم من بلدة مارون الراس إلى صور (نحو ٣٠ كلم).. واحدة من تلك العائلات فقدت شيخا أتعبه السير وأصابته نوبة قلبية فاضطر ذووه لدفنه على جانب طريق والمتابعة.. وصادفت أيضا طفلة عمرها ثلاث سنوات وحدها على حافة طريق، ولما سألتها عن أهلها قالت ماتوا في السيارة.. كانت الناجية الوحيدة فاضطررت لضمها إلى أولادي وبسببها لن أستطيع أن أغادر على متن السفينة التي جاءت لتجلي



● يتهافون على النزوح من الجنوب

حاملي الجوازات البريطانية.. سأبقى من اجلها حتى الله يهونها علينا ونشوف شو بدنا نعمل».

عندما تتساوى الروح مع الحجر

هذه النكبة الحقيقية التي يعيشها أهالي الجنوب اللبناني لم تمنع من بروز أبطال حقيقيين رغم كل المصاعب والتعقيدات والمخاطر التي تتهدد كل حياة.

من هؤلاء الأبطال مواطنون تطوعوا لإجلاء أهلهم وناسهم وأبناء شعبهم، وعتادهم الوحيد إيمانهم بالإنسانية وحقهم في الحياة.

يخاطرون بأرواحهم وممتلكاتهم التي لا تتعدى السيارة المتواضعة. يقتحمون ارض المعارك بقلوب من حديد، ويصلون حيث عجزت سيارات ومركبات الأمم المتحدة عن الوصول.

مفيد زبد (٥٨ سنة) وصل إلى مدخل الاستراحة وسيارته البيك آب محملة بأكثر من ٢٥ شخصا معظمهم أطفال ونساء وشيوخ. كان يساعدهم على النزول من

السيارة وهو يكرر بتوتر شديد « الحمد لله على السلامة.. الحمد لله على السلامة.. الله يهدك يا إسرائيل.. الله لا يخليك.. الله يفرجيك الويل والعذاب اللي عم تفرجينا إياه..» ثم يتوجه بالكلام إلى من رافقه من بلدة عيترون ويقول «يلا يا بيي يلا يا حبيبي ما معي وقت، الله يعطيني عمر واقدر جيب عائلة أبو رفيق بكرا الصبح».

تقدمت من مفيد أساله متى سينجو هو بحياته من الجحيم الذي تعيش تحته بلدة عيترون ومئات البلدات الأخرى فأجاب: «أنا بدي ظلني في ارضي لن اترك بيتي أنا من هون ورح ابقى إذا الله أراد.. مثل ما ماتت أمي وأبي في أرضنا بدنا أنا وزوجتي ومن بقي من أولادنا نموت هون. لعند مين بدنا نروح؟ فيك تقولي لي لعند مين؟ لعند أميركا اللي عم تبعت أحدث القنابل والأسلحة إلى إسرائيل لتقتلنا فيها؟! نشتكي امرنا لله فقط والله لا بد ان يهونها علينا.. يا رب..».

وسألته ثانية من أين يجلي العائلات وكيف يستطيع التحرك وأي طريق يسلك، فقال: «شي من شيحين والقليلة، شي من هنا، وشي من هناك وشي من المنصورة، جبت عشرات الأشخاص من مختلف المناطق والأماكن... بس ما تسأليني كيف الله اللي بدبر».

فيتنام ثانية

تركني مفيد والدموع تنهمر على خديه. كان منفعلا وغاضبا إلى أقصى الحدود، حاولت أن ألحق به لكن استوقفني صوت حسن سويد الذي كان وصل للتو من بلدة يارون يشتم ويولول ويصرخ.

تقدمت منه فقال «شو بدي خبرك عن يارون؟! بلد دمر فوق رؤوس أهاليه. هذه هي يارون اليوم. ما في أكل ولا شرب ولا إسعاف لمداواة الجرحى. الوضع محزن إلى أقصى الدرجات يدمرون القرية منزلا منزلا.. جثث وجرحى تحت الردم والأنقاض لا يجدون من يسمعهم.. موقف مبك.. اطلعوا يا صحافيين شوفوا بعيونكم.. اطلعوا صوروا الوضع وخلوا العالم يشوف بعيونو انو اللي عم يموتوا أطفال وعجائز وأمهات مرضعات وحوامل وشباب جاءوا من بقاع الأرض ليقضوا الصيف بين ربوع الوطن.. إسرائيل تبيد الشعب اللبناني الجنوبي ولا تريد مقاتلة المقاومة».

ورد عليه احد الصحافيين «إذا طلعنا وقصفونا»؟!

لكن حسن سويد لم يكترث لهذه المقاطعة وتابع بانفعال: «قضينا عشر ساعات على الطريق ولولا التنسيق مع السفارة الأميركية لما استطعنا أن نصل سالمين. مش كل البلدة مقاومة. الأكثرية مغتربين. كنا نقتسم الخبز حتى لا نموت من الجوع. أصيبت عائلة أميركية ونحن داويناهم بأنفسنا. إنها فيتنام ثانية. ما حدا سائل عن بيوت ولا أملاك ولا أرزاق بس يتركوا المدنيين يخرجوا ثم يصطفلوا مع المقاومة».

وانضم إليه مواطن آخر قائلا «كل المجازر سببها الطوارئ. إنهم اكبر عملاء إسرائيل».

وداع المكان والأشخاص

اما نياز شاهين المواطنة الأميركية من اصل لبناني فقالت «جئنا من أميركا بعد غياب ١٣ سنة للم شمل العائلة فصار يلي صار. مات أبي بين أيدينا وأمي لم تترك البيت. وها نحن ننتظر أي مركب يرجعنا إلى الغربة وهذه المرة مع المزيد من الأحزان والآهات والويلات».

بعد رحلة المخاطر التي تكبدتها هذه العائلات هربا من الموت المحتم في القرى المتاخمة للحدود تنتظرهم رحلة أخرى قد لا تكون أكثر أمانا أو استقرارا.

باصات وسيارات كبيرة خصصتها مؤسسة الحريري لنقل النازحين إلى بيروت تغادر صور يوميا محملة بعشرات العائلات المنكوبة وتسير بهم على طريق محفوفة بالمخاطر تنتهي بمصير لا يعرفه إلا الله.

ولكن لا بد من التعلق بأي خيط قد يوصل إلى النجاة. فها هم من ذاقوا الويلات وعاشوا أقصى تجارب الرعب والموت، ينحشرون مرة أخرى داخل وسيلة نقل لا يعرفون أصحابها ولا خط سيرها ولا المحطة التي سينزلون فيها. المهم الابتعاد عن حمم الطائرات.

تفتح أبواب الباصات فتتعالى الصيحات «أين ابني سامر..» «وينك غنوة ماما..»، «بيي تعا معنا هون في محل خلينا نظل مع بعض..»، «ديروا بالكم عالحج..»، «ديروا بالكم عاحالكم..»، «الله معكم».

تسير الباصات وتخرج من شبابيكها أياد تلوح بالوداع لا تعرف لمن، للناس أم للمكان؟.. لكن عدسات المصورين الصحافيين لا تتوقف.. وتطاردهم إلى ابعد نقطة تلتقط فيها ما تبقى من ملامحهم.

26/7/06

صور (جنوب لبنان)



كل لبناني مشروع جريح أو شهيد أو مشرد أو منكوب

■ حتى الأطفال.. يطلبون حبوب النوم والمهدئات!
■ مدينة صور محملة بالأحزان والنكبات الاجتماعية والصحية لكنها صامدة مع اللبنانيين ■ بماذا تقتل إسرائيل اللبنانيين؟



كل جريح هو مشروع شهيد. كل نازح هو مشروع مشرد. وكل لبناني هو مشروع منكوب.

هكذا يمكن اختصار الصورة الجنوبية من مدينة صور التي نزح أكثر من نصف سكانها البالغ عددهم ١٢٠ ألف نسمة لتستقبل مكانهم أكثر من ٥ آلاف مهجر من مختلف القرى والبلدات المجاورة وفي الأقضية، عدا الذين يمرون فيها كمحطة أولى للترحال القسري الذي يفرضه العدوان الإسرائيلي الهمجي منذ أكثر من أسبوعين.

من صور يمكنك مراقبة تفاصيل العدوان على القرى والبلدات الجنوبية بالصوت والصورة. ترى القذيفة وهي تنطلق من البارجة الحربية وتعرف أي منازل قد دمرت. تسمع هدير الطائرات وتتابع خط سيرها وترى متى وأين أفرغت وابل صواريخها.

ثم وبعد هذا وذاك، يمكنك سماع بكاء الأمهات وهن ينتحبن فلذات أكبادهن، أو أنين الجرحى وهم يستغيثون من دون أن يكون هناك من هو قادر على انتشالهم من تحت الركام أو من هو قادر على الوصول إليهم أو حتى إحصاء عددهم أو حمايتهم.



كما أن النازحين من جحيم العدوان اليومي

على القرى والبلدات الحدودية يصلون المدينة على آخر أنفاسهم. وأول من يمتص جزءا من أوجاعهم هم أبناء صور والقاطنون فيها.

صور، عروس الجنوب اللبناني التي تتمدد على أجمل شواطئ العالم، حالها اليوم كحال معظم المناطق اللبنانية، خصوصا الجنوب وضاحية بيروت الجنوبية.

هي مدينة محملة بالأحزان والمآسي والنكبات الإنسانية والاجتماعية والصحية، لكنها صامدة مع كل اللبنانيين.

سماء صور لا تستريح من هدير الطائرات، وبحرها مثقل بالبوارج الحربية الجاثمة فوق مياهه عنوة واغتصابا، ومنازلها لا ترى الشمس من غشاوة الدموع والأوجاع.

لم تسلم من العدوان، بل تعرضت لأقسى الضربات، عندما أغارت الطائرات بثلاثة صواريخ في وقت واحد على المقر الرئيسي لمديرية الدفاع المدني لتشل مصدر الإنقاذ الأساسي في المدينة وقرى القضاء. كذلك كانت مستشفيات المدينة هدفا غير مباشر للعدوان عندما دمر مبنى ملاصقا لمستشفى نجم، وثانيا ملاصقا لمستشفى جبل عامل، ولا يزال الضحايا تحت الأنقاض لتعذر انتشالهم، بينما يئن المستشفى الحكومي من عدد الجثث المتراكمة في برادات الموتى ومن روائح القبور الجماعية التي حفرت عند أطرافه.



«أذن الجمل»

«القبس» استغلت الهدوء الأمني النسبي الذي ساد صور صباح أمس وجالت في الأحياء والأزقة تستطلع أحوال المرافق الصحية والخدماتية، واطلعت على حجم المساعدات التي تصل لدعم صمود الموجودين فيها، والتي وصفها مدير اتحاد بلديات قضاء صور السيد عبد المحسن الحسيني بأنها «أذن الجمل»، مشيرا إلى أن المساعدات الوحيدة التي تصل تكون عن طريق الصليب الأحمر الدولي والتي يخصص معظمها للأهالي الذين لا يزالون صامدين في القرى والبلدات المجاورة والذين يمكن الوصول إليهم.

ويضيف الحسيني ان هناك

مناطق لا يصلها شيء بتاتا وهي البلدات التي تبدأ حدودها من الناقورة إلى رميش وبنت جبيل وضواحيها مرورا بالخيام ومرجعيون والضواحي.

فظائع العدوان

فظائع العدوان الإسرائيلي يرويها الكادر الطبي العامل في مستشفيات الجنوب الجراحون الذين بدأت تردهم جثث الضحايا، لا سيما أولئك الذين قتلتهم الطائرات الإسرائيلية على الطرقات.

فالأطباء تصلهم جثث هي عبارة عن أطراف مقطعة، وأجساد منتفخة تفوح منها رائحة فظيعة وتحمل لون الحروق من دون ان تكون محروقة، وأشخاص أصابهم موت خاطف سريع يبدو انه نتج عن توقف عمل الجهاز العصبي مع تخثر الدم مما منع أي نزيف. البعض طرح فرضية أن إسرائيل تستخدم أنواعا من الغازات السامة أو المواد الكيماوية في القذائف التي تقصف بها المدنيين، غير ان شكوكهم هذه لا يمكن تأكيدها بعد.

يقول الدكتور مصطفى جرادة، جراح عظام في مستشفى صور الحكومي، «تصلني جثث مصابة بحروق تسببت في إذابة حتى عظام الجمجمة تصبح بحجم حبة الرمان. إنها لا شك ناتجة عن قنابل عنقودية ومسمارية.. في الحروب السابقة كنا نستقبل ٥٠٠ جريح مقابل ٥٠ قتيلا اما في هذه الحرب فان عدد القتلى يكاد يكون متساويا مع عدد الجرحى وأحيانا يفوقه.. ما يعني أن القتل يتم بطريقة مباشرة.. انه اغتيال لا بل إعدام».

ويشرح الدكتور أديب ويزاني، جراح عظام في المستشفى ذاته، «ان حالات التشنج التي تكون عليها الجثث سببها محتويات في الصواريخ تصيب الجهاز العصبي فتشل الضحية قبل ان تميتها، بالإضافة إلى ان المواطنين يقتلون وهم في حالة خوف شديد ورعب فيموتون وهم يصرخون وفي الوقت نفسه يعلمون ان لا احد سينجدهم.. ما يصلنا أشلاء وبالكاد تصلنا جثة كاملة.. ما يصلنا جثث غير واضحة الأوصاف نهائيا.. جثة الصحافية ليال نجيب وجدنا جلدة الوجه وجمجمة ذائبة ولم نجد المخ ومحتويات الرأس.. ولم نجد قدمها اليمنى كانت مدمرة كليا وكذلك منطقة الحوض» .

ويتدخل الدكتور حسن حجازي، جراحة عامة، ليضيف بدوره «أكثر ما نواجهه حالات موت بفعل الاختناق، فالجثث تصلنا متفحمة. اما الأمراض المنتشرة بين الأحياء النازحين والموجودين في المدينة فهي حالات أمراض في الأعصاب والضغط والسكري لان عامل الخوف يفاقم كل الأمراض المزمنة وجميع أدوية هذه الأمراض مفقودة. وهناك مشكلة كبيرة في نقل الجرحى. فنحن نعالج الجرحى في غرفة العمليات من الإصابات المباشرة، لكن لا نضمن عدم تعرضهم للموت على الطريق بعد إجلائهم إلى بيروت أو صيدا. فنحن نجليهم لنتيح الفرصة لاستقبال حالات جديدة» (مسعف

كان ينقل جريحا إلى بيروت أصيبت سيارة الإسعاف وبترت قدم المسعف وتفاقمت حالة الجريح).

كل جريح مشروع شهيد

في مستشفى جبل عامل، حيث عدد الجرحى ٣٤٠ وعدد الشهداء الذين استقبلهم حتى اليوم ٢٧، التقيت مدير المستشفى الدكتور احمد مروة يؤكد ان عدد الشهداء الذين لا يزالون تحت الأنقاض كبير جدا. ويضيف «يوم مجزرة السيارات استقبلنا نحو ٧١ جريحا ليس بينهم أي عسكري أو عنصر من حزب الله وهذا لا يعني انه لا يوجد غيرهم.. وإحصائية المستشفى تشير إلى ان الضحايا ٣٢٪ نساء و١٩٪ أطفال والباقون رجال من مختلف الأعمار.. إنها حرب على المدنيين بشكل خاص.. يقصفون المدنيين ثم يستهدفون سيارات الإسعاف والإغاثة.. كل الجرحى مشروع شهيد لأنه يتم نقلهم من سيارة إلى سيارة ومن حضن إلى آخر في ظروف سيئة للغاية مما يساهم في تفاقم وضعهم الصحي.. والطريق التي تحتاج في العادة إلى ساعة أو ساعتين تأخذ اليوم عشر ساعات تحت الشمس ووسط الردم والقصف..»

ويضيف الدكتور مروة «الجرحى يصلون إلينا متأخرين.. الصليب الأحمر في قانا استهدف وأصيب، وبالتالي عملية الإغاثة صارت شبه مستحيلة..إنها مجزرة متنقلة من شارع إلى شارع ومن سيارة إلى أخرى ومن قرية إلى ثانية. إنها حرب تدار تحت شعار اقتل ثم اقتل المدنيين.. إنها حرب لا يتحملها إلا أهلها.. لا نريد مساعدات فإمكاناتنا الذاتية على أتم ما يجب والمستشفى باق طالما لم يتعرض للقصف. ما نريده هو كلمة حق وموقف إنساني وضمير صاح.. رفضت مساعدات من الولايات المتحدة لأنني لا أستطيع استخدامها وأنا أداوي مواطنين أصيبوا بأسلحة اميركية.. فالمستشفى هو أيضا ملجأ، وفي بداية العدوان استقبلنا أكثر من ٢٠٠ لاجئ.. الوضع الطبي في المستشفى مجهز والكادر الطبي محصن بتجارب اقلها أربع حروب ماضية. حتى اليوم لم نسجل إلا حالة وفاة واحدة في غرفة العمليات. نفرغ ٢٠ سريرا كل يوم ليس بسبب العجز بل لإبقاء أماكن شاغرة لاستقبال المزيد، بلا شك هذه هي الحرب الأصعب».

ويتابع «كل جريح مشروع شهيد. في بداية العدوان كنا نستقبل ٦٠ - ٧٠ جريحا في اليوم، اما الآن فالعدد لا يتعدى الثمانية جرحى وهذا لا يعني انه لا توجد إصابات بل يتعذر وصولهم إلينا».

مخلفات مصانع

الدكتور جواد نجم، جراحة عامة في مستشفى نجم، قال « أنا جراح جمعت كمية من الشظايا من مخلفات المصانع يحشونها داخل القذائف ويقصفوننا بها. لاحظت أيضا حالات عصبية وغيبوبة مثل تلك التي سمعنا عنها في غزة أخيرا. ما يعني أن سموما تؤثر في الدماغ مستخدمة فيها،

الحروق أنواع مثل التي رأيناها مع الطفل محمود سرور الذي أصيب في سيارة بلدة المنصورة قبل يومين، لكن لا أستطيع الحسم ما إذا كانت قذائف فوسفورية أو قذائف أخرى أكثر خطورة. جثث متشنجة. ضربات لئيمة». وقال د. نجم «حاولت مرة ان اجمع عينات من سيدة ضحية لتحديد الذي ان ايه فلم أجد أسنانا، وجدت فقط لسانا وجلدة الرأس».

الدفاع المدني «مشردا»

يعيش فريق مديرية الدفاع المدني التابعة لوزارة الداخلية في صور اليوم حالة من التشرد وعدم الاستقرار بعد تدمير مركزهم الرئيسي الذي كان يتولى عمليات الاسعاف والانقاذ وإطفاء الحرائق في المدينة وفي كل قرى وبلدات القضاء.

فالمركز دمر بالكامل وأصيب عشرة عناصر من الفريق الذي كان مؤلفا من ٣٠ شخصا إصابة ستة منهم بين خطيرة ومتوسطة، كما خسروا عددا من سياراتهم ومعدات الإنقاذ. لكن كل هذا لم يحبط معنوياتهم العالية جدا ولم يُثنِ اندفاعهم البطولي ولم يمنعهم من المثابرة في تنفيذ الواجب بالإمكانات المتوافرة إن على الصعيد البشري أو المادي. فالباقون في العمل اليوم ستة عناصر فقط لان أدوات العمل (سيارتا إسعاف وسيارتا إطفاء وآلية «سيتي فاير» المجهزة بمعدات إسعاف وإنقاذ وجيب لنقل المعدات) لا تستوعب وجود الآخرين.

«المهم النوعية وليس الكمية» يقول رئيس الفريق سلام ضاهر (٤٣ عاما). ويضيف «شعارنا هو: لا تعرف التضحية حدودا حتى لو كانت أرواحنا الثمن».

سلام ورفاقه، فادي كيال (٢٣ عاما) وبشير السلمان (٢٧ عاما)، يقيّمون يوم أمس «بالجيد نسبيا»، وهذا يعني في قاموسهم أنهم استطاعوا إنجاز بعض المهام التي تأجلت غصبا عنهم. فقد تمكنوا، وبعد محاولات جاهدة طوال عشرة أيام، من انتشال بعض الجثث من تحت ركام مبنى القدسي الذي انهار فوق سكانه في اليوم الرابع من العدوان الإسرائيلي. كذلك تمكن الفريق، وبفضل الهدوء النسبي الذي ساد المناطق المجاورة لصور في الفترة الصباحية، من إجلاء بعض الجرحى ودفن جثث كانت لا تزال تحت الأنقاض أو على الطرقات.

«ليتني أستطيع وصف الحزن الذي يعتصر قلبي هذه الأيام»، يقول سلام. «المشكلة إنني اعرف بوجود شهداء تحت ركام منزل هنا أو سيارة هناك ولا أقوى على الوصول إليهم ودفنهم بطريقة تليق بهم.. وما يزيدني حزنا أكثر وأكثر ان هؤلاء الشهداء لربما أضعت فرصة إنقاذهم وهم جرحى.. لكن ليس بيدي أي حيلة ولا وسيلة، فسياراتنا مستهدفة وحياة عناصرنا مهددة بالخطر.. الإسرائيليون يخرقون كل بنود اتفاقية جنيف لإنقاذ الجرحى والنازحين».

ويروي سلام حقائق تقشعر لها الأجساد، وقصصا عن مواطنين ماتوا بالرصاص أو بالصواريخ أو بقصف البوارج أو بقصف

المقاتلات الحربية دون ان يجدوا من يبكيهم. ويتحدث بحزن كبير عن آخرين ماتوا في العراء عندما كانوا فارين فاصطادتهم الطائرات على الطرقات فسقطوا قبل ان يسمح لهم حتى بالصراخ.

ويتابع سلام قائلا «هناك جثث بدأت الكلاب والقطط والحيوانات الضالة تنهش فيها.. وهناك أطفال ماتوا جوعا تحت الركام.. وعجائز لفظوا أنفاسهم الأخيرة تحت شجرة هنا أو هناك بعدما اضطروا إلى الهرب سيرا على الأقدام مسافات طويلة ولم يتمكنوا من الوصول إلى بر الآمان.. في الحروب المتكافئة يكون هؤلاء جميعا مسؤوليتنا.. أحزن لأنه كان في امكاننا ان نكون وسيلة نجاة لهم.. والعدو يقيد واجباتنا..».

ويروي سلام أصعب المواقف التي واجهت فريقه خلال الأيام الأخيرة وكانت يوم أغارت الطائرات على مبنى القدسي المحاذي لمستشفى نجم. «كان هناك أطفال تحت الركام كانوا لا يزالون جرحى عندما وصلنا أول مرة، لكن بعد دقائق وقعت غارة ثانية كانت تستهدفنا مباشرة وأصابت سيارتنا وأحد عناصرنا فمنعتنا من انتشال الأحياء. وعندما عدنا كانوا جميعهم قد فارقوا الحياة وغاروا تحت الركام كما الأموات، ومن بينهم ضابط في قوات الطوارئ الدولية وزوجته. وأكثر ما يؤلمنا في هذا الموضوع ان جنود الطوارئ كانوا على علم بالغارة الثانية ولم يحاولوا منعها أو تحذيرنا منها بل انسحبوا بمفردهم ولم يعلمونا بالخطر».

«اخرجوا يا خونة»

أهالي يارين الحدودية استفاقوا أمس على صوت العدو من خلال مكبرات الصوت يطالبهم بمغادرة البلد من دون ان يأخذوا أي شيء تحت طائلة التعرض للموت لأن المنازل ستدمر بوجودهم أو عدم وجودهم. وكان الصوت يقول «اخرجوا يا خونة»!!

أسلحة محرمة

استبعد عدد من الأطباء الذين التقتهم «القبس» ان تكون إسرائيل قد استخدمت أسلحة كيماوية أو فوسفورية في عدوانها على لبنان، لكن مصادر الجيش اللبناني تتحدث عن قذائف ذات حشوات خاصة منها ما هو محرم دوليا، في حين تتحدث مصادر طبية عن احتمال ان تكون إسرائيل تستخدم ما يسمى بالقنابل الفراغية التي تفرغ الجسد من الهواء وتوقف التنفس وبالتالي توقف عمل القلب.

وشرح لنا عقيد في الجيش ان الغازات التي تستخدم عادة في الأسلحة لها مفعول مبيدات الحشرات.

وأضاف «لا يمكن الجزم بعد، ما إذا كانت إسرائيل تستخدم أسلحة كيماوية أو بيولوجية (بكتيريا أو فيروسات)، وهذه المواد تصنف كالآتي: مادة تسبب تنفطا (فقاقيع على الجلد) مادة تشل الأعصاب، مادة تحدث نزيفا داخليا، مادة خانقة، مادة مسببة لاهتراء الجلد والرئتين والأمعاء ومادة تسبب أمراضا عدة لم تصنف بعد.

28/7/06

يارون (جنوب لبنان)



المحاصرون في الجنوب

عندما يسأل الطفل إذا كانت يده ستُقطع!





«ثلاثة ناقص ثلاثة يعني لا يبقى معي شيء» أجابني مهدي حسن رضا (٦ سنوات) عندما كنت أحاول تسليته بأي شيء لإبقائه واعيا بعدما أصيب بقذيفة دبابة إسرائيلية على طريق علما الشعب الناقورة في جنوب لبنان.

كان مهدي في حضني يسألني إذا كان سيخسر كتفه ويده (مكان إصابته)، ثم أغمض عينيه محاولا عبثا حشر دموع الألم والنقمة والحظ العاثر. وقال لي وهو يجهش بالبكاء «بدي أمي».

مهدي كان من بين عشرات العائلات (اكبر قافلة) التي لحقت بقافلة الوفد الصحفي أمس من بلدة رميش عند الحدود الجنوبية للبنان هربا من الحصار الناري والاقتصادي الذي تفرضه إسرائيل على الجنوب منذ أكثر من أسبوعين خصوصا في قرى وبلدات الشريط الحدودي.

وكان الوفد الصحفي قد رافق فريقا من الدفاع المدني التابع لوزارة الداخلية اللبنانية في مهمة لتوزيع المعونات الغذائية والإنسانية على بلدات رميش ودبل حيث يتجمع آلاف المهجرين من القرى المجاورة، خصوصا يارون وبنت جبيل وعيتا الشعب.

ضم الوفد الإعلامي أكثر من ٣٠ وسيلة إعلامية (مرئية ومسموعة من مختلف أنحاء العالم)، كانت «القبس» الصحيفة العربية الوحيدة بينهم. وقد استطعنا تنفيذ هذه المهمة بعد اتصالات



...بكي اعتراضا
على النزوح من عيتا الشعب

مضنية وتنسيق دقيق مع السفارتين الأميركية والاسترالية لتأمين الطريق.
لكن عندما وصلنا إلى بلدة رميش وجدنا أن الناس لا يريدون معونات غذائية بقدر ما يريدون الأمن والسلام أولا، رغم أن ما سجلته عدسات الكاميرات وآلات التسجيل من أفواه الأطفال قبل الكبار رسم لنا صورة قاسية جدا مملوءة بالمآسي والبؤس.
فالمحاصرون في منازلهم، أو خارجها، يحتاجون إلى كل شيء من الرغيف إلى كوب الماء وحبة الدواء وحليب الأطفال، وكل ما له صلة بأبسط مقومات الحياة والصمود.

الأمن أولا

ورغم شاحنات المساعدات التي حمل فيها الدفاع المدني كل ما يمكن نقله من مدينة صور المحاصرة أيضا والمقطوعة الأوصال عن باقي المدن اللبنانية، فإن قسما كبيرا من الأهالي، خصوصا المهجرين من القرى المجاورة، أرادوا الأمن أولا بعدما انعدمت إمكانية البقاء حيث هم.
عائلة الطفل مهدي رأت في سيارات الدفاع المدني وإشارات «صحافة» و«تي في»، التي احتمينا بها نحن الصحافيين والإعلاميين داخل سياراتنا، بصيص أمل لحقوا به بسيارتهم ووراءهم نحو ١٥٠ عائلة، مؤملين أن يوصلهم هذا البصيص إلى بر أكثر أمانا واستقرارا وأكثر رحمة لأطفالهم.
لكن الدبابات الإسرائيلية التي لا تزال تقلق أمن وسلامة هؤلاء المنكوبين منذ بدء العدوان لم تمهلهم ورصدت طريق سلامتهم


● خديجة خليل من بلدة يارون

لتطلق واحدا من إنذاراتها المتكررة «سنقتلكم».
ورمت الدبابة صاروخا مباشرا على الوفد غير عابئة بطلبات السفارتين الأميركية والاسترالية بعدم التعرض للدفاع المدني وللصحافيين. فأصيب بشظاياها محمد حسن رضا (١١ سنة) شقيق مهدي بيده اليسرى ومهدي وابنة الجيران روان ناصر (١٥ سنة) في صدرها وخاصرتها، فيما أصيب مراسل القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي بشظايا الزجاج والحصى.
«ساعدونا». توقفنا عندما سمعنا صراخ المصابين والأهل «ساعدونا.. ساعدونا.. لدينا جرحى..».
أسرعت إلى السيارة المصابة أتفقد من بقي فيها ورأيت مهدي يمد يده إليّ: «احمليني».. وحملته إلى سيارة الإسعاف حيث كان بشير (متطوع في الدفاع المدني) قد احضر محمد، وقال لي «ابقي معهما لدينا إصابة ثالثة.. والأب (السائق) في حالة صدمة والأم غائبة عن الوعي».

سيارة الدفاع المدني التي كانت تتقدم خط سير القافلة كانت محملة بأشخاص جرحى وآخرين مرضى تم إجلاؤهم من رميش، بالإضافة إلى ثلاث عائلات مؤلفة من ستة أطفال وخمس نساء وثلاثة شبان.

لم يبق مكان لوضع الجرحى في الحمالات المخصصة لهم، إذا لا بد أن يبقى محمد في حضن بشير ومهدي في حضني بعد تضميد جراحهما. اما روان فنقلت إلى سيارة الإسعاف الثانية لخطورة حالتها.

تسببت القذيفة أيضا في انقلاب سيارتين مدنيتين كانتا تقلان أكثر من ٥ عائلات على جانبي الطريق بسبب الصدمة والرعب. كذلك تسببت في عرقلة سير القافلة وانقسامها في طريق العودة إلى صور بعدما كانت تتبع تنظيما مدروسا في طريق الذهاب. سيارة المنسقين مع السفارتين أولا ثم الدفاع المدني وخلفهم سيارات الصحافيين والإعلاميين في خط واحد وعلى مسافة خمسة أمتار بين سيارة وأخرى. السرعة لا تزيد عن ٤٠ كلم في الساعة. والتوقف كل ٣٠ دقيقة لتحديد وضعنا مع راعي المهمة.

الأرض المحروقة

تركنا صور عند الساعة الحادية عشرة صباحا وسلكنا طريق المنصورة الذي ينتهي عند نقطة الحدود في الناقورة. كانت تلك الطريق بمنزلة الأرض المحروقة.. أشجار بساتين الموز والحمضيات وأشجار سرو محروقة. بيوت وفيلل على جانبي الطريق مهدمة ومدمرة كليا وبعضها لا تزال جثث أصحابها تحت أنقاضها. سيارات محترقة أو مدمرة ومنها لا تزال جثث ركابها في داخلها. حُفر بحجم حديقة منزل حفرتها صواريخ الطائرات الحربية والبوارج الإسرائيلية... موت أينما نقلت نظرك.. دمار، وخراب حجب زرقة البحر ونشر على جانبي الطريق فتات صخر وقطع الحجارة، وأغصان الأشجار فجعلت السير عليها صعباً.

تقف عند آخر لافتة على الخط البحري «الناقورة- فلسطين» وتختار الاتجاه الأول، على أمل أن يأتي يوم تختار فيه الاتجاهين. من بلدة الناقورة اتجهنا إلى علما الشعب ومررنا في الضهيرة ويارين والبستان ومروحين وطربيخا وراميا وعيتا الشعب، ولاحت لنا من بعيد القوزح وحاريص وحداثا وبرعشيت، حتى وصلنا رميش.

على طول الطريق كنا نسمع زمجرة الدبابات عند الخط الأزرق الحدودي المحاذي لسيرنا وضجيج مدافعها وهي تطلق القذائف من فوق رؤوسنا ثم نسمع صوت الانفجارت على تلال حاريص وحداثا ويارون تسد آذاننا، لكننا بقينا متماسكين وتابعنا السير بإصرار على الوصول إلى هؤلاء المنسيين الذين، منذ أكثر من عشرة أيام، لا نعرف عنهم شيئا ولا نسمع سوى استغاثات عبر أثير الراديوات والفضائيات والتلفزيونات المحلية «فلتأتِ هيئات الإغاثة وتر حالنا.. ولتأتِ الإعلام وينقل ما يصيبنا.. أين المسؤولون منا اليوم.. أين محبو لبنان واللبنانيين؟».

قطار الحياة

في رميش رأينا أول وجه لبناني جنوبي بعدما فقدنا أمل اللقاء بأحياء لكثرة ما كانت القرى والبلدات مقفرة من كل حي.

بدأت الأيادي من خلف النوافذ والأبواب ومن على الأسطح والسطيحات تلوح لنا «مرحبا، أهلا وسهلا». وما أن انتشر الخبر حتى تجمع في ساحة البلدة نحو خمسة آلاف شخص في خلال عشر دقائق. خرجوا إلينا بأكياس يلمون في داخلها ما تيسر حمله من أوراق ثبوتية وملابس للأطفال، وكأنهم على موعد مع قطار الحياة.

«هنا.. هنا.. توقف هنا..»

راح الجميع يصرخ ويلوح.. في البداية لم يكترثوا للصحافيين الذين جاءوا لنقل معاناتهم والإطلاع على أحوالهم. ولم يكترثوا لشاحنات المساعدات بل سارعوا للسؤال «كيف ستأخذوننا من هنا..؟!» وآخرون جهزوا سياراتهم يريدون اللحاق بنا: «لم نجرؤ على الذهاب وحدنا.. الإسرائيليون يقصفون المدنيين». والى جانب هذا وذاك كانت هناك أصوات بكاء وتمرد من أشخاص لا يريدون الرحيل «إلى أين ستأخذوننا ؟! إلى الشارع؟! ما بدنا نترك أرضنا بدنا نموت هون..أعطونا السلام واتركونا نعيش في بيوتنا.. لا نريد تهجيرا آخر.. هون أرضنا والبلد بلدنا..».

وبعدما أصبحت الصورة أكثر وضوحا، عجت عدسات الكاميرات وميكروفونات المسجلات بشكاوى وباعتراضات لا حصر



● مهدي حسن رضا (٦ سنوات) مستسلما لآلامه

لها ضد العدوان الهمجي الذي تمارسه إسرائيل بحقهم دون رادع ولا هوادة، وضد حظهم العاثر الذي وضعهم في بؤرة الخوف والمعاناة والتهجير على مدى أجيال لم تتوقف بعد... ضد وضد وضد.

كل هذا لم يمنعهم من أن يقولوا كلمتهم «نريد وقفا فوريا للنار والعودة إلى منازلنا لكن مرفوعي الرأس.. لن نسلم أرضنا لإسرائيل ولا لأي احد».

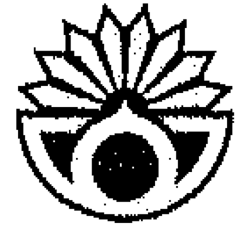
مهدي ومحمد وروان يرقدون اليوم في مستشفى نجم في صور، بينما قضى أهاليهم ليلتهم أمس في باحة استراحة المدينة بانتظار أن يطلع عليهم صباح جديد وأمل آخر، ويركبون الناقلات التي ترسلها مؤسسة بهية الحريري لإجلاء النازحين إلى صيدا. ناموا أحبابي ناموا.. نوم الهنا نومتكم.. والى مهدي أقول: لن تخسر كتفك.. وليبق راسك مرفوعا، ويدك ستسلم إن شاء الله لتعمر بها وتكتب ما أصابك وأنت تبحث عن السلام.

29/7/06

رميش (جنوب لبنان)



«شبعا لبنانية.. ليست لبنانية» «عملية الجنديين مناسبة.. غير مناسبة»







في بلدة رميش، على الحدود الجنوبية اللبنانية، تلمس أبعادا غير مرئية بعد لما يخلفه العدوان الإسرائيلي الهمجي المستمر على لبنان منذ أكثر من عشرين يوما تنذر بمضاعفات قد تكون أكثر خطورة على السلم الأمني والاجتماعي في البلاد إذا لم يسكت صوت المدفع قريبا.

وبقدر ما يجسده الشهداء والجرحى والدمار والخراب من صور تصيب العين بالغشاوة والدمع وتأسر النفس في مآس وأحزان تزداد أوجاعها عمقا يوما بعد يوم، إلا أن الانقسامات الطائفية والمذهبية والاجتماعية التي بدأت تلوح في الأفق بسبب هذا العدوان ربما تتهدد مستقبل لبنان واللبنانيين وتنذر بخطر إضافي لا يحتاجه اللبنانيون أبداً.

بلدة رميش، التي زارتها «القبس» الجمعة ضمن وفد إعلامي كبير بعد التنسيق مع السفارتين الأميركية والاسترالية، ما هي إلا نموذج للاختلافات في الرأي والمواقف بين اللبنانيين مما يجري اليوم في لبنان.

«مقاومة.. ليست مقاومة..». «شبعا لبنانية.. ليست لبنانية...». «عملية اسر الجنديين الإسرائيليين مناسبة.. غير مناسبة..». «باقون على الصمود والتضحية والفداء.. لم نعد قادرين على التحمل..». «لا نحتاج إلى أحد إلا الله.. وين العالم العربي والغربي ليساعدنا على الخلاص مما نحن عليه..».



هذه بعض النماذج من التصريحات العفوية وغير العفوية التي سجلتها «القبس» مع أهالي البلدة والنازحين من القرى والبلدات المجاورة هربا من همجية العدوان الذي خلف حتى الآن أكثر من ٧٠٠ قتيل وآلافا من الجرحى وترك البنية التحتية في مئات المناطق مدمرة كليا.

انقسامات

كانت زيارة الصامدين، أو المنسيين، في تلك البقعة من جنوب لبنان المحفوفة بالمخاطر مهمة جدا. فما نعرفه عن أخبارهم ومعاناتهم لا يتعدى بعض الخبريات المتكررة على لسان من تصطادهم وسائل الإعلام المحلية والعربية والأجنبية، والتي نكتفي منها بالصوت والوجوه والأسماء، بينما الواقع يرزح تحت نيران الدبابات ومدافع البوارج والطائرات الحربية ومقيد بسياج من فولاذ وبارود ونار.

عندما وصلنا ساحة البلدة (تعداد سكانها عشرة آلاف نسمة ويقيم فيها حاليا أكثر من ٣٠ ألف نسمة)، واستقبلنا الأهالي بالنحيب والآهات وتلاوة المعاناة والأشجان كانت الكلمات المعبرة عن الصمود والتحدي والمكابرة على الجراح والوحدة الوطنية والأخوة الإنسانية سيدة الموقف. لكن ما إن تعمقت أسئلة الصحافيين والإعلاميين أكثر عن الحد الأقصى الذي بامكان هؤلاء المنكوبين الذهاب إليه انقسم الحشد بين مؤيد للمقاومة وآخر رافض للثمن الذي يدفعه لبنان واللبنانيون «من اجل عملية لم يكن لها أي ضرورة» بحسب رأي البعض.



● نازحات الى رميش من عيترون

والانقسام في الرأي والمواقف ليس بهذا الوضوح فقط ولا ينحصر بين فريقين محددين. فمستوى التعبير يتفاوت بين هذا وذاك بحسب مستوى الوعي السياسي والفكري والثقافي وبحسب التعبئة الإيديولوجية الواضحة عند الأكثرية.

وعن التأكيد على أن جميع الموجودين اليوم في بلدة رميش (مقيمون ومصطافون وزوار ومهجرون) هم أخوة يتقاسمون الرغيف وشربة الماء، وصل النقاش إلى حد تبادل العتاب بسبب ما تمارسه إسرائيل من قتل وتدمير يحصد عشرات الأرواح يوميا ويحول مئات المنازل إلى ركام. وعندما كان البعض، خصوصا النازحين، يؤكدون على استعدادهم للصمود أكثر وأكثر «حتى دحر العدوان وإبقاء رأس المقاومة مرفوعا» راح آخرون، خصوصا أهالي البلدة ينادون بضرورة انتشار الجيش اللبناني على طول الحدود اللبنانية الجنوبية وسحب كل

الميليشيات، «ومن يريد أن يصمد فليفعل ذلك في منزله وبلدته ولا يعرض الآخرين للخطر».

مخاوف

أبعاد العدوان ومخلفات هذه الحرب غير المتكافئة في القوة والمسببات تترك كل يوم أبعادا تتعدى بخطورتها الموت المتنقل وترسم صورا تتخطى نكبة التشريد وخسارة الأرض.



● سعاد حنا اضناها التهجير والخوف والجوع

الإنسان اللبناني اليوم مهدد بحياته وأمنه وسلمه على مدار الساعة. يخاف الجوع الذي بدأ يزحف إلى أمعاء الأطفال. يخشى المرض بعدما بدأت الأوبئة تتفشى هنا وهناك بسبب سوء التغذية وفقدان المياه والأدوية وانعدام الخدمات الصحية. يقاوم ويصمد قدر ما يستطيع لأنه إذا استسلم سيكون مصيره الهجرة والتشرد في إحدى زوايا المباني العامة بعيدا عن ارض فيها رائحة الآباء والأجداد. وقد يخسر كرامته المصانة بجدران منزل عمرته أيادي أجيال من عائلته. وسيفتقد زرعا وشجرا وأزهارا سقاها من عرق جبينه.

الحجر مفتت ومنثور على بقايا عشب يبس من فقدان الري وحرائق القذائف ولهيب الصواريخ بعدما كان عامرا بهامات أصحابه وصور أبنائه على الجدران.

الأبقار والأغنام والماعز تركها مربوها، غصبا عنهم، تشرد في الحقول والوديان وعلى التلال لتعلف نفسها بنفسها. والكلاب التي كانت تحرس البيوت وتحمي الصيادين جلست على العتبة تنتظر من غاب على عجل دون وداع أو وعد بالرجوع.

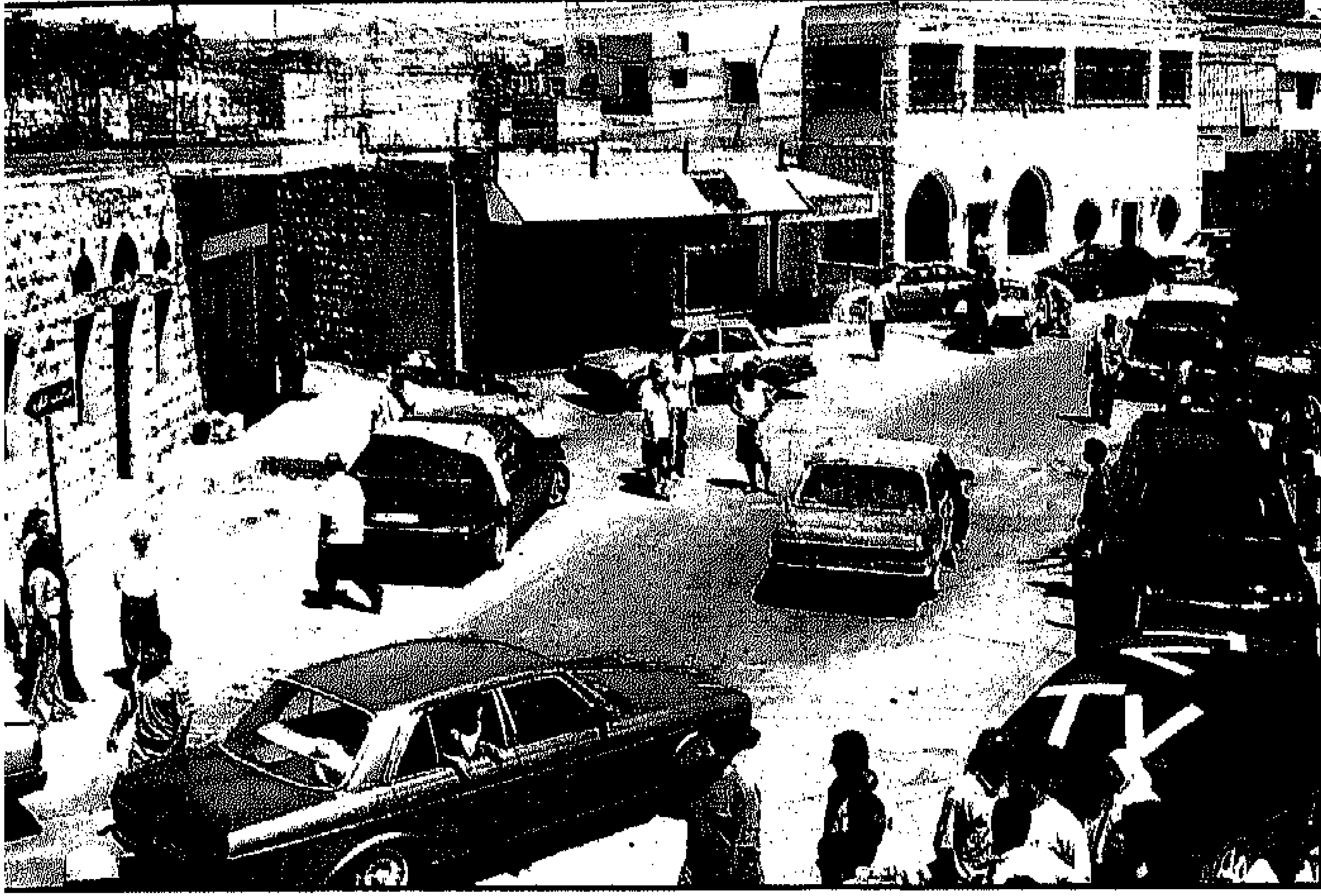
هذه المشاهد رافقتنا طوال الطريق من مخارج مدينة صور وصولا إلى بلدة الناقورة ومرورا بعلما الشعب والضهيرة ويارين والبستان ومروحين وطربيخا وراميا وعيتا الشعب وصولا إلى رميش. والحال في باقي قرى وبلدات القطاعين الغربي والأوسط من جنوب لبنان مشابها إن لم يكن أكثر ضراوة كما هو الحال في القطاع الشرقي وضاحية بيروت الجنوبية وبعض المناطق في البقاع الغربي.

أين هم؟!

كنا نقود سياراتنا على وقع القصف الجوي والبري والخوف لم يفارقنا رغم ما أسميناه «الضوء الأخضر» الذي منحتنا إياه السفارة الأميركية بدلاً من الجيش الإسرائيلي.

كانت الطرقات والشوارع والمنازل والأسطح كما التلال والجبال والوديان مقفرة تماما. ولولا المراجيح المعلقة بأغصان الأشجار

ولعب الأطفال المنسية عند عتبات الأبواب والغسيل المنشور فوق السطوح لتراءى لك أن الحياة لم تمر يوما من هنا.



● بلدة رميش لحظة وصول الصحافيين من بعد غياب طويل للزوار

ففي العادة يكون الجنوب اللبناني خلال موسم الصيف يعج بالمصطافين الوافدين من مختلف أنحاء العالم لما تتمتع به المناطق من طقس معتدل في النهار مائل للبرودة في الليل. كما أن الأشجار المثمرة المتعددة عامل جذب، والخيرات المتنوعة التي تنمو في ربوعه تساعد الأهالي في إعداد جزء كبير من المؤن الضرورية التي تكفل العوائل طوال أيام السنة.

أما والوضع الأمني على ما هو عليه فقد يبس ما يبس في أرضه وعلى أغصان الشجر، وضاعت الخوابي بغلاتها تحت الركام.. ومات من مات وذهب من ذهب إلى مصائر مجهولة.

بيت الأجداد

عند أطراف عيتا الشعب وقبل الوصول إلى رميش بمسافة قصيرة لاحت لنا من بعيد أول يد بشرية. إنها أم عبد الله سرور (٨٦ عاما). كانت واقفة خلف سياج منزلها المبني من حجر اصفر قالت إن والد زوجها المرحوم الحاج عبد الله عمل على اقتلاع الصخر بيديه العاريتين وشيد المنزل حجرا فوق حجر.

«هذا البيت صمد في حرب ٤٨ وفي وجه ستة اجتياحات إسرائيلية وبقي واقفا، والله يحميه لأولاد أولادنا» قالت أم عبد الله وهي تغطي جزءا من وجهها بطرف منديلها الأبيض لأنه «ما بيسوى نكشف وجوهنا على الأجانب»، تقصد الصحافيين.

كان حديث أم عبد الله عن منزل حميها الذي أصبح فيما بعد لزوجها مبرراً لصمودها وعدم نزوحها مع الآخرين إلى هنا وهناك.

«وين روح واترك كل هذا لمن». قالت وهي تشير إلى كرم التين والعنب الذي يحيط بالمنزل، والى بقايا حصاد القمح وشتلات التبغ. ثم أضافت: «ما تعودت أن أعيش يوما خارج داري.. هون رزقنا وأرضنا وكرامتنا وذكريات أطفالنا وتعب أجدادنا».

كان التوقف لمثل هذا الحديث من المحاذير التي نبهنا عليها المسؤولون في السفارة الأميركية. «لا توقف على الطريق مهما كان السبب». لكن يد الحاجة وهي تلوح «أهلا وسهلا» جذبتنا جميعا خصوصا أنها كانت اليد الأولى التي رأيناها بعد وقت طويل قضيناه على طريق فيه الكثير من السيارات والبيوت المدمرة والجثث.

يعيشون في الكنيسة

تابعنا السير إلى رميش، حيث نزح أكثر من ٢٠ ألف لبناني من قرى بنت جبيل وعيترون ومارون الراس ويارون وعيتا الشعب وغيرها لاعتقادهم أنها أكثر أمانا كونها بلدة مسيحية لا يطاولها العدوان الإسرائيلي «الذي يستهدف الشيعة» بحسب قناعة معظم اللبنانيين، رغم أن بلدتي عين ابل ودبل المجاورتين وهما أيضا مسيحيتان تتعرضان للقصف ومعظم أهاليهما نزحوا بدورهم إلى صيدا أو بيروت.

وجزء كبير من المهجرين الذين يسكنون اليوم في كنيسة «النجاة» وسط البلدة وفي دير الراهبات والمدارس ومبنى البلدية، أو ينزلون ضيوفا عند بعض الأهالي، اختاروا رميش اما لقربها من ضيعهم وأراضيهم وهو يعني أن بامكانهم العودة في أسرع وقت ممكن لمجرد انتهاء الحرب، وإما لانعدام السبل إلى أي مكان آخر. والأهالي بدورهم فتحوا بيوتهم ومتاجرهم وعياداتهم ومستوصفاتهم واقتسموا الرغيف مع إخوانهم ووزعوا المياه بالتساوي فيما بينهم، إلا أن الحصار وانقطاع الكهرباء والماء وخطورة الوضع الأمني أمور جعلت البلدة تئن بمن فيها من القلة والأخطار والأمراض.

انتشر خبر وصولنا بسرعة البرق. وفي غضون دقائق احتشد المئات في الساحة رغم أن زيارتنا لم يعلن عنها سابقا. كانوا جميعهم لطفاء معنا. لكن شكاويهم التي لا تعد ولا تحصى والتي جئنا لتدوينها ونقلها إلى العالم أضافت كما جديدا من البؤس والشقاء اللذين يرزح الأهالي تحتهما من دون أن يقاسمهم احد شيئا.

«هربنا من تحت القصف ومن تهديدات العدو الإسرائيلي من هدم منازلنا فوق رؤوسنا إذا لم نرحل، فاستقبلنا أهالي رميش بالترحاب وفرشوا لنا الأرض وشاركونا الأكل والشرب».

هذا ما أكده أبو عماد حراجلي النازح من بلدته بنت جبيل حيث تدور منذ أيام معارك طاحنة بين عناصر حزب الله والجنود الإسرائيليين.

وأضاف أبو عماد «لا احد يشعر بالراحة وهو بعيد عن بيته، لكن إخواننا في رميش منحونا الراحة والآمان وسنبقى ممنونين لهم طول الحياة».

وقال سامي خوري الذي يستضيف أبو عماد وعائلته المؤلفة من زوجة و٣ أطفال في منزله «الي بيصير علينا بيصير عليهم.. وما لدينا لهم ولنا وسنواجه الأزمة كتفا إلى كتف..».

معاناة لا حصر لها

لكن الإقامة القسرية بعيدا عن الأرض والدار وفي مثل هذه الظروف لا يمكن أن تكون إيجابية مهما كانت التسهيلات والخدمات. فها هي الحاجة منيرة سرور (٨٠ سنة) من بلدة عيتا الشعب تحمل أدوية الضغط والسكري في كيس بلاستيكي أسود صغير وتسير بصعوبة بالغة وهي تتعكز على عصاها. اقتربت مني تسألني إذا كان بامكاني توفير أي وسيلة توصلها إلى بيت ابنها في النبطية.

«حرام.. حرام.. حرام..» صرخت الحاجة سرور. وأضافت «متنا يا أختي متنا.. ما عاد فينا.. لا أكل ولا ماء.. ثيابنا لم نستطع تبديلها منذ عشرين يوما. أولادي لا يستطيعون الوصول إلي. وأنا لا اعرف عنهم شيئا. لا كهرباء ولا ماء ولا نفط. الصليب الأحمر رفض السماح لنا بمرافقته بواسطة البيك اب بحجة أن الإسرائيليين لا يسمحون لمركبات كبيرة بالمرور. ونحن لا نملك سيارات ولم نعد نقوى على البقاء هنا».

تعيش الحاجة سرور داخل كنيسة النجاة منذ عشرين يوما. تنام على الأرض ولا يحمي كهولتها من برد الليل سوى غطاء خفيف قدمه لها احد أبناء البلدة. تأكل وجبة واحدة في اليوم وهي عبارة عن خبز حاف ومعه اما أرز مطبوخ بالماء والزيت فقط وإما البرغل أو الفريك (قمح مشوي) أو الزعتر.

والكنيسة التي لا تزيد مساحتها عن ألف متر مربع وتتسع في العادة لـ٢٠٠ شخص، تضم اليوم أكثر من ٨٠٠ مهجر. ينام الأطفال والنساء في الداخل بينما يفترش الرجال الفضاء أو أوراق الشجر المتساقط.

شادي سرور من عيتا الشعب قال لي «أهالي البلدة تهجروا كلهم ولم يبق احد. لا يوجد مياه للشرب ولا للاستخدام، فنضطر لاستخدام مياه البركة التي لا تصلح للاستخدام الآدمي. نطحن القمح يدويا ونعجن الطحين بالماء والملح فقط ثم نخبزه على الحطب أو نقليه بالزيت. هذه وجبتنا اليومية إلى جانب القليل جدا مما يمكن توفيره مثل البرغل والزعتر».

وقالت خديجة خليل من يارون (٢٤ سنة) «أنا حامل لا أجد ما آكله لأغذي الجنين. أقضي اليوم أفتش عن من يطعمني. أنا تعبة جدا وأشعر بالدوار دائما. أزور الطبيب كل يوم لأنني خائفة من أن أفقد طفلي».

وبينما راحت خديجة تجهش بالبكاء وهي تضع كلتا يديها على بطنها تحمي بهما جنينها من الغضب والحزن، تقدمت دلال سرور تواسيها «بكرا الله بيجمع شملك بزوجك وبيعوض عليك ما عانيته».

وأضافت دلال وهي تنظر إليّ «العالم قاعد عم يتفرج علينا. شو ذنب الأطفال الذين يموتون من الأمراض؟!».

والأمراض التي تحدثت عنها دلال لا تنحصر بحالات الجرب التي بدأت تظهر بين الناس بسبب عدم توفر المياه ومستلزمات النظافة الشخصية والعامة، وكذلك لاضطرار هؤلاء للنوم والأكل والجلوس واللعب أحيانا في مكان واحد لا تصله الشمس وليس فيه التهوية اللازمة.

كما أن هناك أكثر من ٥٤ طفلا مصابين بمرض الصفيرة، وخطر انتشار العدوى وارد لانعدام وسائل الوقاية والمعالجة.

والمياه المعدمة التي قال السكان إنهم يضطرون لشربها والاغتسال بها واستخدامها في الطبخ هي مياه مشبعة بالميكروبات والجراثيم والفيروسات التي تحمل إلى الإنسان أمراض لا حصر لها، بعضها تبرز معالمه

آنيا وكثير منها تبقى غامضة إلى حين. وأمراض سوء التغذية التي تعاني منها خديجة وأمثالها من النساء الحوامل ومعهن معظم سكان البلدات المحاصرة لا تقل خطورة، ومضاعفاتها لا تعرف عقباها خصوصا ان الأطفال وصغار السن يشكلون النسبة الأكبر من هؤلاء المحاصرين المنكوبين.

لن نترك أرضنا

على الجانب الآخر كان صراخ زينب خليل (١٧ سنة) يملأ الساحة غضبا وانفعالا وتمردا على كل ما يجري وما سيجري لها لو سمعت كلمة والدها ورافقته إلى بيروت. «القصف في كل لبنان ليش بدنا نهرب؟! هون بيتنا ما بدي روح إلى أي مكان. بدهم يأخذونا يشردونا في الشوارع والمدارس.. ما بدي اترك أرضنا..».

كانت زينب ترد على تصريح والدها لإحدى المحطات الأجنبية قال فيه انه يريد أن يقله احد إلى بيروت للهروب بعائلته من جحيم القصف الإسرائيلي اليومي الذي «لم يترك بيتا على بيت» في بلدته يارون الملاصقة لمارون الراس حيث وقعت اشتباكات طاحنة.

سألتُ زينب إذا كانت تفضل البقاء تحت الخطر، وكيف تعلم أنها ذاهبة للعيش في شارع أو مدرسة في بيروت؟ فردّت: «رأينا من سبقونا وتركوا أرضهم كيف تشردوا في العراء تحت الشجر أو في المدارس والمساجد. التلفزيونات نقل كل شيء.. بيصوروهم كيف عم يعانوا وكيف عم يتبهدلوا وما حدا عم يسأل فيهم.. ما بدي حدا يصورني بثياب النوم وأنا في غرفة لا باب فيها ولا حدود».

قلت لها لكنك تعيشين في قاعة كنيسة تبعد عن بيتك ثلاث بلدات! فقالت «بس بعدني في الجنوب.. أنا ابنة الجنوب بس روح إلى بيروت رح يقولوا مهجرة من الجنوب.. لن ينادي احد باسمي ولا باسم بلدتي».

كانت زينب تبكي بحرقة شديدة ودموعها تغطي أطراف غطاء رأسها.. وكان صوتها بدأ يرتجف عندما عانقتها رفيقة الصف والمدرسة زهرة بيضون (من بنت جبيل) التي ساندت رفيقتها بالقول «خسئ كل من يحاول أن يسلبنا أرضنا مرة أخرى.. اسألوا أميركا هل ترضى أن تعطينا ولاية من ولاياتها؟! اسألوا إسرائيل الغاصبة هل تفرط بمستوطنة من الأرض التي اغتصبتها في فلسطين؟! هل ترضى أي دولة بان يجري لشعبها ما جرى ويجري لنا؟! لبنان لنا والأرض لنا».

اما فطومة (٨ سنوات) شقيقة زينب فكانت نجمة شاشات الأخبار العربية والأجنبية فقالت «ما بدنا نروح على محل هون أرضنا وبيوتنا.. خلي إسرائيل تحل عنا.. نحن الله بيحمينا.. ونحن منحمي نفسنا.. بحب روح على بيروت بس مش هيك. بحب كون ببلدي وروح من هونيك عابيروت».

لماذا؟

وتدخل موسى علي سرور من عيتا الشعب ليقول للنساء «لا تتحدثوا للصحافة لن يكتبوا شيئا وسيعرضون على التلفزيونات

ما يناسبهم فقط.. لا تشتكوا همكم إلا لله وبس.. وين العالم إللي بحب لبنان.. وين هيئات الإغاثة كلها.. ليش ما حدا بيسأل عنا؟ هل اتفقوا جميعهم علينا.. دمروا بيتي وشقا عمري ورزقي كله. ابنتي مريضة بالربو في مستشفى بيروت ولا اعرف عنها شيئا منذ بداية العدوان!».

لكن سعاد حنا، من بلدة يارون، أسكتته قائلة «للصحافة دور كبير.. هؤلاء قطعوا مسافة طويلة تحت الخطر حتى يشوفوا حالنا.. بدنا نحكي للعالم شو عم يصير معنا ونقول لهم شو بدنا.. بدنا الأمن والسلام.. ما عاد بدنا حرب.. شبعنا حرب.. شبعنا تهجير.. ما عاد فينا نتحمل.. أولادي أربعة ماتوا في الحروب وين بعد بدي روح؟! حطينا دم قلبنا حتى عمرنا بيوتنا بعد التحرير وهلق ليش عم نخسرها؟! ليش عم نموت كل يوم عشرين موته؟! من اجل سمير قنطار أولادنا عم يشوفوا الويلات في بلاد الغربة لتحصيل لقمة العيش. لبنان بلد سلم مش حرب.. إذا بدنا نحارب وين الملاجئ للأطفال؟! وين المستشفيات للعجائز؟! وين التموين للصمود؟! وين البارودة اللي بتصد الدبابات من حرق حقولنا وأرزاقنا؟!» .

حديث سعاد أشعل التوتر بين الموجودين. وأضاع الإعلاميون القدرة على الإمساك بزمام الأمور. راح الجميع يتحدث إلى الجميع. نسوا الخبز والماء والأدوية التي يطالبون بها أمام شاشات التلفزيونات وعلى أثير الإذاعات طوال ساعتين متتاليتين، وراحوا يتناقشون في السياسة.

«نحن نستشهد فداء للكرامة ومن اجل الحق والعيش بحرية ولا يجوز القول إننا نموت ببلاش» قال احد الموجودين بغضب، ثم راح يهتف مع من معه «صامدون.. صامدون.. النصر للمقاومة.. الموت لإسرائيل».

فتدخل احد أبناء القرية قائلا «لا يحق لك أن تقرر عن الآخرين.. إذا أردت الصمود اذهب إلى بلدتك واصمد هناك.. نحن نريد لأطفالنا أن يناموا من دون خوف.. النصر الذي تتحدث عنه لا يأتي عبر صواريخ تطلق من بين بيوت المدنيين الآمنين».

بدنا الجيش اللبناني

وتدخل جون جريس (١٨ عاما) قائلا «كل واحد له رأيه.. نحن المسيحيين هنا في الجنوب لا رأي لنا لان الشيعة هم الأكثرية والأحزاب المسيحية لا تنظر إلينا. بس لا بد أن يأتي يوم الفرج».

وأضاف: «بالتأكيد لن تقع حرب أهلية مثل التي وقعت عام ١٩٧٥ بس. مش ضروري نفرط بأرضنا، لكن مثل ما صار مع القوات اللبنانية يجب حل ميليشيات حزب الله ويتولى الجيش اللبناني وحده السلطة على الأرض».

وراح رفاقه من ورائه يهتفون «بدنا الدولة تحكم في الجنوب وفي كل لبنان.. ما بدنا أي طرف آخر لا من خارج لبنان ولا من داخله..».

وقال عيد أبو أرزة (٢٥ عاما) «صامدون في رميش رغم انو معي الجنسية الفرنسية

بدي ظل مع أصحابي».
وأضاف «لولا العماد ميشال عون لجاء مقاتلو حزب الله وسيطروا على البلدة وقصفوا صواريخ من بين البيوت».

انقسامات تلوح في الأفق

هذه الآراء المتطرفة حينا والشفافة حينا آخر والتي أدلى بها مواطنون لبنانيون من مختلف الأعمار والاتجاهات والانتماءات كشفت عن جو مشحون بالغضب بسبب هول ما يعانون منه، والنقمة على كل من كان السبب في تطور الأوضاع إلى ما هي عليه. إن كان من حيث وجود أسرى ومعتقلين في السجون والمعتقلات الإسرائيلية أو الإشكالية الموجودة حول مزارع شبعا. أو الأسلوب الذي اختاره حزب الله لحل كل تلك المسائل، في وقت يعاني فيه لبنان من غياب برنامج وطني يوحد بين كل اللبنانيين.

اعتـــدال

مـاري عميل (٤٧ سنة) لم تترك بلدتها رميش منذ ولادتها قالت «وعيت على الحرب وقضيت عمري أعاني ويلات حرب بعد الأخرى.. رميش وباقي القرى بدون ماء ولا طعام ولا دواء ولا نفط. أعيش حال المهجرين من منازلهم. أخاف الذهاب إلى بيتي عند أطراف البلدة لإحضار بعض الطعام، وبيضات الدجاجات حتى لا أموت بقذيفة على الطريق ولا أجد من ينتشل جثتي.. القصف يستهدف كل القرى بل كل لبنان ولا يرحم أحدا. يكفي.. يكفي.. يكفي.. بدنا السلام والأمان. بدنا السلام لكل لبنان ولكل العالم. كان كل العالم هنا شو صار؟ ما حدا بدو يترك بيتو. بدنا وقف إطلاق النار».

شكـراً كويـت

■ قال الخوري نجيب العميل كاهن الرعية في بلدة رميش للقبس «اشكر الكويت أول بلد تساعد لبنان وأتمنى على اللبنانيين التجاوب مع الكويت. البلدة استقبلت الأهالي من كل الجوار. إسرائيل كل يوم تهددنا وتطلب منا الرحيل لكننا لن نذهب».

المرشحون ناكرو الجميل

■ سيدة عجوز قالت «وقت الانتخابات كل المسؤولين بيسألوا عنا، ووقت المحنة بيتنكروا لنا».

لا عزاء للصحافيات

● زميلة أجنبية تعمل مع وكالة رويترز للأنباء كانت مستاءة جدا وهي تتحضر لارتداء الدرع الواقي من الرصاص والخوذة استعدادا لعبور طريق الموت. قالت «حتى في ثياب السلامة لا يعيرون للمرأة اهتماما. المقاسات كبيرة تناسب الرجال بينما لا عزاء للصحافيات النساء».

30/7/06

قانا (جنوب لبنان)



مجزرة قانا (٢)







مجزرة؟! لا. أكثر من ذلك. إنها قانا مرة أخرى وفي الذكرى العاشرة لمجزرة عناقيد الغضب.

مقاتلون؟! لا. إنهم أطفال وأمهات وفتيات في عمر الورود وشيوخ خائفين وشبان بقوا مع الآباء لحماية النساء.

جبهة قتال؟! لا. إنه موقف سيارات جعلوه ملجأ لينام الأطفال بعيدا، ولو قليلا فقط، عن هدير الطائرات.

إذن إنها مذبحة بحق. هذا ما حدث في بلدة قانا (جنوب لبنان) ليل السبت الأحد. طائرات حربية إسرائيلية، ربما هي ذاتها التي أغارت على البلدة عام ١٩٩٦، اقتحمت سكون الليل الحالك وراحت تبحث عن رائحة طفل يرضع من صدر أمه،



● أطفال ومسنون استشهدوا معاً بعدما احتموا ببعضهم البعض



● شهيد أم المجازر (قانا -٢)

وعن عيني صبي ما عرفتا للنوم سبيلا منذ ٣ أسابيع، وعن أنامل صبية كانت تمسّد شعر أختها لتنام وتهمس للملائكة - إذا كان أطفال الجنوب يسمحون لأنفسهم بهذا الترف هذه الأيام - أن تروي على مسمع الصغيرة قصة تبعد عنها الرهبة والخوف.

بالطبع لم تكن سهرة سمر ولا جمعة شاي ولا لقاء عائليا عاديا. كان احتماء بسيطا جدا. اختاروا المكان لأنه يتسع لـلم شمل العوائل بعضها مع بعض. لم يعرفوا أن الموت المتنقل يتربص لهم من فوق. لم يعرفوا أن إسرائيل لا تريد صامدين في الجنوب، ولا فقراء لا يستطيعون النزوح، ولا منكوبين لا يدرون كيف يتصرفون!

صاروخان في دقائق قليلة

صاروخان، يزن كل منهما مئات الكيلوغرامات، تبع أحدهما الآخر في غضون دقائق قليلة، استهدفا عمداً أناساً نائمين. إذن، لا مجال لأحد بالنجاة. وكان هذا هو الهدف الحقيقي. انفجر الصاروخ الأول فانهار سقف المبنى وانتشرت الغازات السامة وتعبأت الشظايا في الأجساد الغضة والكهلة دون تفرقة. ثم جاء الصاروخ الثاني ليمنع أي جريح من الحركة.

على الجنوبيين أن يموتوا كما يشاء العدو الإسرائيلي. بالرصاص، بالصواريخ، بقصف البوارج أو بقصف المقاتلات، من الجوع، في الملاجئ، في العراء، في الأسرة، في مواقف السيارات، في السيارات على الطريق، بسلاح مسموح، بسلاح ممنوع... كل هذا لا يهم. المهم أن يموتوا. والمهم أكثر أن يموت الأب والأم والأبناء بعضهم مع بعض حتى لا يبكي أحدهم الآخر.

البكاء ممنوع مثل الصمود والمقاومة.



● عناصر الدفاع المدني وصحافيون وأهالي.. وهول المجزرة

والصمت مسموح في الموت، كما في الحصار، كما في الاغتصاب. المهم أن يموتوا بدون صراخ ولا اعتراض. ولكي يبقوا حيث يموتون لا بد من هدم منزل بحاله كي يموتوا موتا أخيرا. ولسد الطريق على من سيبحث عنهم، لا بد من قصف كل المنازل المحيطة ونبش الطرق بالقذائف الثقيلة، فلا يجدهم احد لينتشلهم، أو ليعرف أسماءهم، أو ليحصي عددهم الحقيقي، أو حتى لينعاهم!

إلى قانا

في الصباح الثامن عشر من صباحات العدوان الإسرائيلي الهمجي على لبنان، استيقظنا، نحن الصحافيين والإعلاميين المرابطين عند أطراف صور، على وقع ضربات قوية تنقر أبواب غرفنا وترافقها أصوات ثائرة تحثنا على حمل كاميراتنا وأقلامنا وآلات التسجيل، وكل ما يمكن أن يُخزّن فيه اسم أو وجه أو حجر.

«مجزرة في قانا.. أكثر من مئة قتيل..انهضوا.. اذهبوا إلى هناك واحضروا العالم معكم ليرى كيف تشققت الأطفال والنساء الحوامل!!».

نبأ مشؤوم نقلته إلينا حناجر مكلومة عند الساعة السادسة والنصف صباحا. كان بعض أهالي قانا يوصلون ثلاثة جرحى نجوا بأعجوبة من المجزرة مع سبعة آخرين إلى مستشفى جبل عامل.

تحرّكنا على عجل ومن دون أن يهتم أحد منا بأمر الاتصالات الضرورية لتأمين الطريق إلى قانا. فالمهم الوصول إلى هناك. كنا مثل العسكر في حالة استنفار شديد. وبسرعة استثنائية كنا جميعاً في الخارج ينتظر بعضنا بعضاً للسير ضمن قافلة



● نامت .. ولم تستفق

واحدة وكأننا على اتفاق مسبق بان يحمي احدنا الآخر.

لم نأبه للطائرات الحربية وهي تحلق فوق رؤوسنا، ولا لدخان الانفجارات على أطراف القرى والبلدات التي مررنا بها في طريقنا. رأينا سيارات الدفاع المدني التابعة لوزارة الداخلية اللبنانية وسيارات الصليب الأحمر اللبناني قد سبقتنا لتلبية الواجب وهي تنقل عددا من الجرحى وسيارات أخرى تسير ضمن القافلة.

استنفار إنساني وإعلامي ضخم. والسرعة التي أرادها سائقو السيارات بضغطهم على دواسة البنزين لم تفلح في ايصالنا إلى حيث يرقد الشهداء الـ٥٤ بالسرعة التي أردناها. فالطريق من صور إلى قانا (١٥ كلم) مقطعة الأوصال بسبب الحفر الضخمة التي خلفها القصف الهمجي. وركام المنازل المدمرة على الجانبين تعيق مرور المركبات إلا بصعوبة بالغة.

كانت مخاطر أن يتسبب احدنا بحوادث سير واردة في كل لحظة. فحتى مفارق القرى والبلدات لم تعد واضحة ولا سالكة ولا سبيل للجوء إلى أي طريق فرعية.

وصلنا قانا وقرأنا لافتة الترحيب الممضية باسم وزارة البلديات، وشاهدنا اللافتة التي تدل على موقع الأجران الأثرية والنصب التذكاري لشهداء مجزرة عناقيد الغضب التي ارتكبها الاسرائيليون عام ٩٦، ويكررونها الآن بالدم البارد نفسه، والوحشية المتمادية نفسها.

«من هنا.. لا. لا .. من هنا.. الطريق مقطوعة من هناك تعال من هنا.. المجزرة فوق.. لا على يمينك.. المجزرة صارت وراءك.. ارجع وخذ المفرق إلى اليمين..».

كان الأهالي يبكون ويولولون على جيرانهم



● الشهيدة الطفلة بين زراعي عنصر من الصليب الأحمر بعدما مات والديها

الضحايا وأحزانهم وحظهم العاثر.. وجوه صفراء من الصدمة وقلة النوم وسوء التغذية.. اجسادهم المرهقة ترتجف من الغضب والسخط.. وأيديهم محفورة بخطوط الشقاء، والعمل المضني في زراعة الأرض والبناء.

رأينا من سلم أمره لله أخيرا وحزم حقيبة متواضعة حشر فيها أشياءه الضرورية فقط، وأعطى لقدميه عنان السير إلى اقرب مكان بحثاً عن سيارة إلى بيروت أو صور أو إلى أي جحيم قد يكون سعيره أقل مما هنا. وكان هناك آخرون يتكئون على عتبات منازلهم وإبهامهم مع سبابتهم والوسطى تعصر صدغي جبينهم وكأنهم يئسوا من الحياة أو سئموا من الإهمال لكن قرار الصمود باق.

بصعوبة شديدة وصلنا إلى المذبح حيث نحرت إسرائيل ٣٧ طفلا بينهم عشرة لا تتعدى أعمارهم السنة الواحدة. الدمار كامل وشامل وبالكاد، بالكاد تجد منزلا واقفا على أساساته.. لا احد في البلدة ليدلك على الطريق.. لم يبق لهم مكان ليحيوا فيه.. منهم من استشهد ومنهم من نزح، وقليلون جدا من بقوا في أقبية منازلهم.

أوقفنا سياراتنا بعيدا وسرنا على أقدامنا من فوق ركام إلى آخر.. كانوا لا يزالون هناك تحت سقف منزل عباس هاشم شلهوب الذي لا يزال قيد الإنشاء في حي الخريبة ويتألف من طابقين تحتهما موقف خاص للسيارات.

٦٣ شخصا بين رضيع وطفل وامرأة ورجل وعجوز، ينتمون إلى عائلتي شلهوب وهاشم، ضاقت بهم الدنيا بعدما دمرت منازلهم أو فرغت جيوبهم من المال ولم يستطيعوا النزوح فاختاروا موقف السيارات ملجأ



● معاً في الملجأ وفي الموت

ومرقدا آنيا لتعبهم. حملوا أشياء بسيطة: فرشاً وشراشف خفيفة وجهاز راديو صغيرا لمتابعة الأخبار، وأواني من الألمنيوم فيها ما تيسر من الطعام، وألعاباً من ورق للأطفال حتى يهدأوا في نومهم، وسجادات للصلاة ونسخاً من القرآن الكريم، وكتب الأدعية للاستنجاد بالله بعدما تركهم العالم كله يكابدون الخوف والعوز والبؤس والشقاء.

يا الله!. يا عالم!. يا صحافة

أسقف المنزل على الأرض ولم يبق إلا مدخل ضيق جدا للوصول إلى الشهداء.

«احضروا الإسعاف».. «السيارة بتوصل بصعوبة إلى هنا الطريق وعرة».. «ارفع الجثة معي.. حطها هنا.. لا فلنضعها فوق تلك الجثة ونحملهما معا لأننا ستحتاج إلى حمالات شاغرة.. الضحايا كثيرون..»..«غطي لها شعرها هذه حاجة مسلمة.. سوي للفتاة ثيابها..لا تلمس لعبة الطفلة سندفنها معها..»..«انتبهوا المنزل آيل للسقوط.. جيبوا رفوش.. بدنا رفوش حتى نرفع الجثث من تحت الأنقاض..»».

شيئا فشيئا ازدحم المكان بسيارات الإسعاف وبالمسعفين والصحافيين.. اختلطت عبارات التكبير بنداءات الاستغاثة وبصراخ الأهالي الغاضبين الناقمين على كل متنكر للإنسانية: «الله اكبر.. الله يهدها إسرائيل.. وين الأمم المتحدة؟! وين الإنسانية؟! وين العالم المتحضر؟ وين العرب؟!».

«يا صحافة أفسحوا الطريق.. يا صحافة تعالوا صوروا هنا امرأة وابنها في حضنها.. هنا امرأة حامل.. هنا أطفال مكومون بعضهم فوق بعض..» هنا، وهنا، وهنا، موت ثم موت ثم موت، كارثة إنسانية، فاجعة حقيقية.

صار العالم جنوبا، وصار الجنوب قانا، وصارت قانا عائلتي شلهوب وهاشم.

هل كانوا نائمين أم أقلقتهم الطائرات؟! هل تألموا؟! هل تناولوا وجبة العشاء الأخيرة؟! هل ودعوا بعضهم بعضاً؟!

لا نعرف ولن نعرف.. راح الصحافيون يبحثون عن ناج يخبر عمّا حدث.. لا ناجين. ٥٤ شهيدا بينهم ٣٧ طفلا و٩ جرحى حالتهم خطيرة نقلهم الأهالي وفرق الدفاع المدني والصليب الأحمر إلى مستشفيات صور.

لكن كل ما كان هناك يخبر عمّا حدث. كان الضحايا يحتمون من الغارات عندما غدرتهم الصواريخ.. هذا كل شيء. ضحايا من عائلتين فقط موزعون بين أم وأب



● شهداء في عمر الورود

واطفالهما بالإضافة إلى الجد والجدة، جميعهم من أهالي قانا المنكوبة دائما، ومعظمهم من مزارعي التبغ الفقراء جدا.

بين الشهداء تيسير شلهوب (٢٧ عاما) الذي وصل البلدة قبل خمسة أيام فقط من بدء العدوان آتيا من أفريقيا لتفقد والدته المريضة فاستشهدا معا.

وبين الشهداء أيضا لينا شلهوب (٢٣ عاما) التي انضمت إلى عمتها وأولاد عمتها في الملجأ وعائلة مصطفى هاشم التي عادت إلى قانا بعدما دمر منزلها في حناويه المجاورة.

كان إبراهيم شلهوب (٣٢ عاما) يرفع الأغطية عن وجوه الشهداء بحثا عن أخته لينا. لم يكن يبكي ولا ينتحب.. كان صمت القبور يخيم على المكان ومن فيه.

«هيدا ديب..لا، هيدا ديب.. لا هيدا الحاج حسين وهيدي لينا وهيدي زوجة خالي علي.. أنا بعرفن كلهم من ثيابهم».

يعرفون بعضهم بالطبع.. فالوجوه أمست قليلة.. والثياب لا مجال لتبديلها.. والفقر سمة مشتركة بينهم جميعا.

على مقربة من المذبحة، كان يسير عبد الله هاشم بخطى ثقيلة. توقف عندما لمح ثياب شقيقه فوق حمالة يرفعها أربعة عناصر من الصليب الأحمر. ركض وكشف الغطاء عن الوجه وصرخ بحنجرة مجروحة هزت أشجار الزيتون المحترق من حولنا ونفضت أغبرة الصواريخ المتراكمة فوق الزرع والسطوح «يا خيي.. يا حبيبي يا خيي.. أنت هون.. ليش ما جيت نمت عندي قلت لك نموت سوا أو نعيش سوا.. وين تركتني يا خيي...».

أطلق نحيب عبد الله العنان لدموعنا



● مندوبة «القبس» في موقع المجزرة

المحبوسة وفتح مجرى حناجرنا المخنوقة.. توقفت الكاميرات امتلأت الإسعافات بالشهداء، وضاق المكان بمن فيه، وراح فريق الإنقاذ التابع للجيش اللبناني يكرر النداء تلو الآخر «افتحوا الطريق.. لا يزال هناك جثث تحت الأنقاض».

كان لا بد من الاستنجاد بالجيش ورافعاته الثقيلة بعدما عجزت معدات فرق الدفاع المدني عن إزاحة الأنقاض بإمكاناتهم المتواضعة والمستهلكة منذ بدء العدوان.

همة الأهالي

لولا نخوة الأهالي الباقين في قانا الذين هبوا في منتصف الليل لينقذوا من استطاعوا إنقاذه رغم المخاطر والعتمة الحالكة، لكان مات كل من كان هناك.

«علمنا فورا أن عائلتي شلهوب وهاشم ماتوا جميعهم» قال لي غازي عيديد الذي يسكن بالقرب من مكان المجزرة وكان أول الواصلين لإجلاء الجرحى.

وتابع عيديد «كدنا لا نستطيع تمييز القصف الذي ينزل علينا مثل المطر ليل نهار من الجو والبحر والبر ما إذا كان قريبا أم بعيدا. لأننا ومن قوة الانفجارات التي نسمعها كنا نتخيل أن كل صاروخ ينفجر فوق رؤوسنا.. لكن غارة أمس كانت واضحة بالنسبة لنا.. فنحن نعرف أين ينام كل واحد منا.. والبيوت المحيطة بنا كلها مدمرة وغير صالحة لشيء، لذلك سارعنا لتفقد جيراننا.. للأسف، لم نستطع فعل الكثير.. فالظلام كان حالكاً.. والركام في الطرقات وعلى جوانب الشوارع كان يعيق الحركة كما أن طائرات الاستطلاع الحربية الإسرائيلية لم ترحمنا ولو ساعة».

كان من تبقى من الأهالي قد سمعوا صوت انفجار صاروخ عند الساعة الواحدة والعشرين دقيقة من بعد منتصف ليل السبت الأحد. لم تكن الغارة الأولى ولا الأخيرة. فالبلدة تعيش وسط حزام من النار ليل نهار منذ بدء العدوان. والقصف الجوي والبري والبحري يكاد يجعل التلال وما عليها من بيوت فقيرة وميسورة متساوية مع الأرض عملا بخطة «الأرض المحروقة».

لكن تفقد الجيران واجب وضروري جدا في مثل هذه الظروف خصوصا ان عدد من بقي في البلدة قليل جدا والوضع خطير، والعدوان يزداد شراسة يوما بعد يوم، إن لم يكن ساعة بعد ساعة.

حيدر كلش قال إنهم لم يجرأوا على الخروج، أما من توكل وتشجع على أخذ المبادرة فقد فوجئ بهول الركام وتعذر عليه التصرف في العتمة وتحت تهديد الطائرات وانفجارات القذائف والصواريخ في كل مكان.

.. وهمة الإنقاذ

توجهت الإسعافات بحمولتها إلى مستشفى صور الحكومي حيث وضعت الجثث في البرادات في انتظار من يأتي ليأخذها أو تمهيدا لدفنها في ما بات يعرف بـ«مقبرة الوديعة». وبقيت فرق الدفاع المدني والجيش اللبناني تعمل حتى مغيب الشمس (بعد السابعة مساء)، فيما تفرق الصحافيون والإعلاميون كل إلى عمله لبث ما اختزنته عدساتهم وأوراقهم على العالم عل في ذلك بادرة أمل بان تصحو الضمائر النائمة.

بالأمس القريب جدا وقعت مجزرة في بلدة حنين راح ضحيتها أم وخمسة أطفال. خرج رب العائلة (وهو مسؤول سابق في الدفاع المدني) ليحضر بعض الطعام وعاد بعد اقل من ساعة ليجد البيت ومن كان فيه في العالم الآخر.

وقبلها سجل العدوان الإسرائيلي أكثر من مجزرة بعضها ضم إلى أرشيف الإعلام وكثير منها لا تزال غامضة أو مجهولة. وإذا كانت هذه المجازر بدأت في عيترون ومروحين والنبطية، فان أهوالها تمتد كخيوط العنكبوت في جميع أنحاء القرى والبلدات الجنوبية كما في ضاحية بيروت الجنوبية ومناطق عدة في لبنان.

ويا ليت المجازر الهمجية الموقعة باسم الدولة العبرية، تعرف حدها في قانا. هذه البلدة المنكوبة أبدا والتي لم تلملم بعد الجراح التي حفرتها عناقيد الغضب في قلوب أكثر من ١٢٠ عائلة.. هذه البلدة التي خسرت أمس ٥٤ من أبنائها وأطفالها لم تشفع لها زيارة البابا يوحنا بولس الثاني ولا الأمين العام للأمم المتحدة ولا مسؤولي الاتحاد الأوروبي ولا غيرهم من الرؤساء ورجال الحكومات عندما وقفوا على أضرحة ضحايا الكيد الإسرائيلي واقسموا أنهم لن يسمحوا بتكرار المجزرة.

المجزرة تكررت أكثر من مرة وقد آن الأوان للعالم لقطع أوصال العنكبوت قبل أن يشد على ما تبقى للإنسانية من رمق.

31/7/06

صريفا (جنوب لبنان)



صريفا.. ٦٠ شهيداً تحت أنقاض المنازل



«الله يرحمك يا صريفا».

هكذا نعى حسن بركات (٣٨ سنة) بلدته صريفا في القطاع الأوسط من جنوب لبنان بعدما حول العدوان الإسرائيلي أكثر من ثلثي البلدة إلى ارض خراب تجثم فوق تربتها المختلطة بالبارود والنار كل أشكال الهمجية والقتل اللذين طالا البشر كما الحجر والشجر والدواب والماشية.

فالبلدة التي يبلغ تعداد نفوسها ١٣ ألف نسمة وكان عدد المقيمين فيها وقت العدوان حوالي تسعة آلاف شخص كانت قد شهدت يوم التاسع عشر من يوليو الحالي مجزرة إسرائيلية نفذتها الطائرات الحربية والمروحيات المقاتلة وأيضا المدفعية والدبابات، دمرت فيها أربع حارات تدميرا كاملا، ولاتزال جثث أكثر من ٦٠ شهيدا بعد حوالي الأسبوعين، تحت الأنقاض، وجميع هؤلاء أطفال ونساء وعجائز.

هذه الضربة، وان كانت الأقوى والأقسى على صريفا، فإنها لم تكن الأولى، والمؤشرات توحي بأنها لن تكون الأخيرة. فالبلدة كان لها حصة من عشرات القذائف والصواريخ ذات الوزن الثقيل جدا في كل يوم من أيام العدوان المستمر منذ نحو ثلاثة أسابيع.

ضياع وتسلق الركام

خبرية «الهدنة» التي أعلنتها إسرائيل أمس، شجعت الصحافيين والإعلاميين على التوغل جنوبا، وتحديدا باتجاه



● حي الجل الغربي في صريفا بعد العدوان

قرى القطاع الأوسط، في وقت شجعت من كان لا يزال صامدا في منزله في تلك المناطق لسبب أو لآخر، على النزوح باتجاه صور وصيدا وبيروت.

وبالرغم من أن قرار شد الرحال في عمق الجنوب كان سهلا نوعا ما بعد ليلة هادئة على غير العادة، فإن وعورة الطرقات، بل واستحالة العبور في بعضها، مشقة لا تقل تعباً وخطورة عن مشقة الهروب من مطاردة الطيران الحربي ومدافع الدبابات.

ما إن تفرق من صور باتجاه قانا جنوباً أو الشبريحا شمالاً، أو أي مفرق آخر حتى يخيل إليك انك في كوكب المريخ.

فطيران العدو حفر بغاراته ودياناً في وسط الشوارع والطرقات بما في ذلك الطرقات الترابية وسط الحقول، وحوّل المباني الممتدة على طول الطرق إلى متاريس من الركام والحديد تسد كل المنافذ.

كانت الرحلة أشبه بعملية ضياع في مرتفعات وعرة تضطر لتسلقها بخوف. وفي كثير من المرات اضطر صحافيون إلى النزول من السيارات والعمل على إزالة الريش لإتمام المسير. ومشقات الطريق لم تنحصر في هذا فقط. فأحيانا كثيرة، وبعد التعب المضني من فتح معبر ما، كنا نفاجأ في النهاية بأن الطريق مقفل في مكان آخر فنضطر للعودة أدراجنا واختيار اتجاه آخر. تارة نسلك طريقا زراعية مختصرة وسط الحقول. وتارة طرقا ترابية طويلة بالالتفاف من بلدة إلى بلدة.

فبعدما فرقنا من مفرق صور- الشبريحا عبرنا إلى العباسية فدير قانون النهر ثم معركة ومعروب، فباريش حتى وصلنا صريفا.

دمار شامل

كمّ الخراب الذي لحق بهذه البلدة المعروفة ببساطة أهاليها، كما كل أهل الجنوب، الذين يعمل قسم كبير منهم في



• صامدات في صريفا رغم العدوان ورغم ال[illegible]



● مواطن من صريفا جمع أشلاء طفل من بين أشجار الزيتون

زراعة التبغ بصورة خاصة، لا يمكن وصفه بأقل من الدمار الشامل. هذا التدمير الذي نفذ بشكل مبرمج كما هو واضح، نفذته اسرائيل أيضا بشكل عشوائي في الوقت نفسه. فالغارات استهدفت كل ما له علاقة بالأحزاب التي لها نشاط في البلدة لاسيما منازل مسؤولي وعناصر حزب الله وحركة أمل والحزب الشيوعي، وخصوصا أيضا مباني المؤسسات الحزبية التربوية والصحية وكشافة الرسالة.

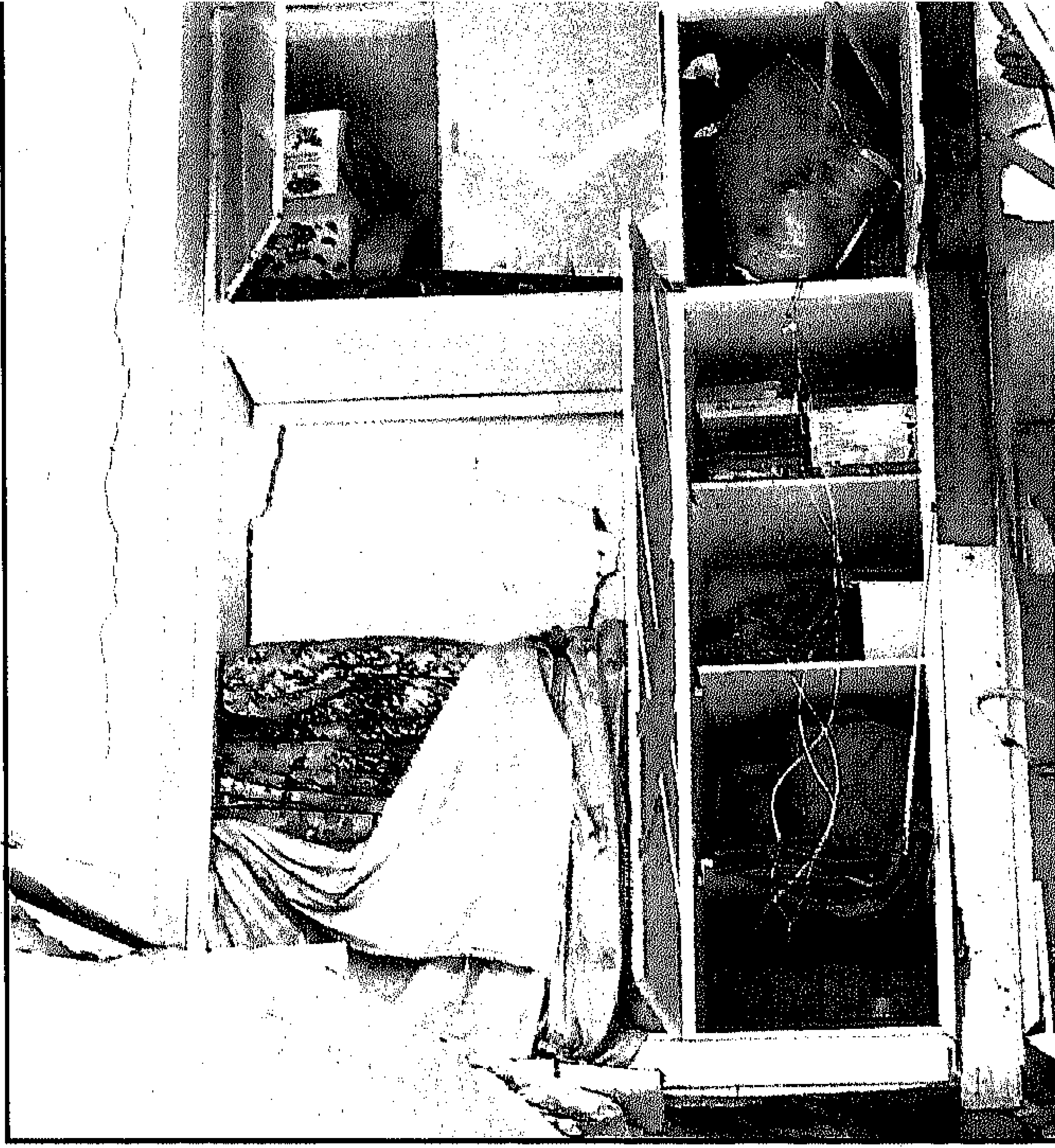
حتى مكتبة المرحوم السيد حسن هاشم، إمام صريفا السابق، والمشهورة في المنطقة بغنى عدد العناوين التي تحتويها استهدفت بأكثر من غارة ولم يبق منها اثر غير حفرة عميقة تتناثر فيها بقايا أوراق كتب الفكر والتاريخ والدين والأدب. ومن يعرف مكتبة السيد هاشم لا بد ان يذكر شجرة السرو الشهيرة التي كانت تظلل المنزل لأكثر من ١٠٠ عام، لكنها الآن أصبحت رمادا بفعل الغارة.

أكثر من ٢٤٠ منزلا لم يعد لها أي اثر يذكر. القصف محا كل معالم البلدة. ركام الحجارة المفتتة وبقايا الصواريخ المنفجرة أضاع الطرقات وغطى النوافذ والأبواب. أقفلت الأماكن على حالها.

الفسحات التي كانت حتى وقت قريب مسرحا للعب الأطفال وحلم الشباب وذكريات العجائز، تحولت إلى ساحة موت وركام تتناثر على أطرافها أشجار تين وزيتون ورمان وجوز ودوالي عنب ثمارها يبست على الأغصان، أوراقها صارت بلون الرماد، وجذورها ردمت ببقايا ناس وأشياء كانت في وقت ما مهمة جدا بالنسبة لأصحابها.

البيوت التي كانت عامرة بأصحابها تكوت على حالها مرات عدة. مرة بفعل الشوق لمن هجرها عنوة وقسرا، ومرة من ثقل الضربات الهمجية وقسوتها، ومرة عندما غاصت في جوف الأرض ومعها أجساد ناس أحبوها وعمّروها بسواعدهم وبعرق جبينهم وسقوا جدرانها في الصيف من آبار أجدادهم.

مآذن المساجد والحسينيات صامتة مع أرواح الشهداء. أبواب الدكاكين والمحلات مشرعة. الأبقار والماشية ترعى وحيدة في الحقول المتفحمة. القطط بانت هياكلها العظمية جوعا والكلاب بدأت تفترس جثث الشهداء وأشلاءهم.



● تهدم المنزل وبقيت بعض أغراضه

الجنود المجهولون

الصامدون اليوم في صريفا لا يتعدون الستين شخصا معظمهم عجائز، ساعدهم على البقاء إرادتهم على التحمل والصبر أولا والمساعدات الغذائية وغير الغذائية التي يتلقونها من العاملين في هيئات الإغاثة الحزبية المتواجدين هناك. فيمدونهم بمياه الشرب والخبز وبعض المعلبات والأدوية اللازمة، ويتفقدونهم باستمرار خصوصا بعد كل جولة قصف أو غارة جوية، وينقلونهم من منزل إلى آخر أكثر أمانا.

قصة الحاجة مريم فقيه التي تخطى عمرها المائة بسنتين اصدق مثال على المعاناة والألم، وكذلك التشبث بالأرض.

كانت الحاجة مريم تنام في منزلها الواقع في حي البركة ومعها ابنتها فاطمة فقيه (٦٠ عاما) عندما نفذ الطيران الحربي الإسرائيلي إحدى غاراته على صريفا يوم ١٩ يوليو الماضي. خافت فاطمة وهربت إلى منزل الجيران دون أن تتمكن من إخراج والدتها الصماء معها. أرادت أن تسال احد الجيران مساعدتها في حمل والدتها العاجزة إلى مكان أمين، لكن الغارة استمرت لأكثر من ٥ ساعات متتالية منعت أي شخص من المجازفة بالخروج من منزله. عند الفجر وبعدما هدأ القصف نسبيا راح الجنود المجهولون من عناصر الأحزاب يقومون بجولتهم التفقدية المعتادة على الأهالي والبيوت ووجدوا الحاجة مريم ترقد في سرير داخل منزل مجاور لمنزلها.

كانت ملحفة حتى رأسها إلى درجة لم يقو أبو محمد التمييز ما إذا كانت حية أو ميتة لأنه نادى عليها كثيرا ولم يلق جوابا فهي لا تسمع.

تقدم أبو محمد وكشف عن رأس مريم التي ما إن رأته حتى سارعت للسؤال «صار في روح عالبيت.. خلّصوا هدم؟!».



● حسن بركات يشرح قصة الهروب من القصف وفي الاطار دمار في حي الجامع

حمل أبو محمد مريم، التي لا يزيد وزنها على ٤٠ كلغ، وذهب بها إلى منزل لا يزال فيه صامدون عرفوا أن العجوز والدة فاطمة المختبئة في منزل جارتهما الحاجة خديجة حمدون (٨٠ سنة).

وجدتُ مريم وابنتها لا تزالان مختبئتين عند الحاجة خديجة التي استقبلتني بالترحاب لشدة شوقها لرؤية «وجوه جديدة»، كما قالت لي.

سارعت خديجة تريد أن تحضر القهوة ولما اعتذرت منها بحجة أن أمامي عملاً كثيراً غضبت وقالت «صحيح نحن يا بنتي عايشين على الخبز والطعام الناشف لكننا لا نزال قادرين على إكرام الضيف».

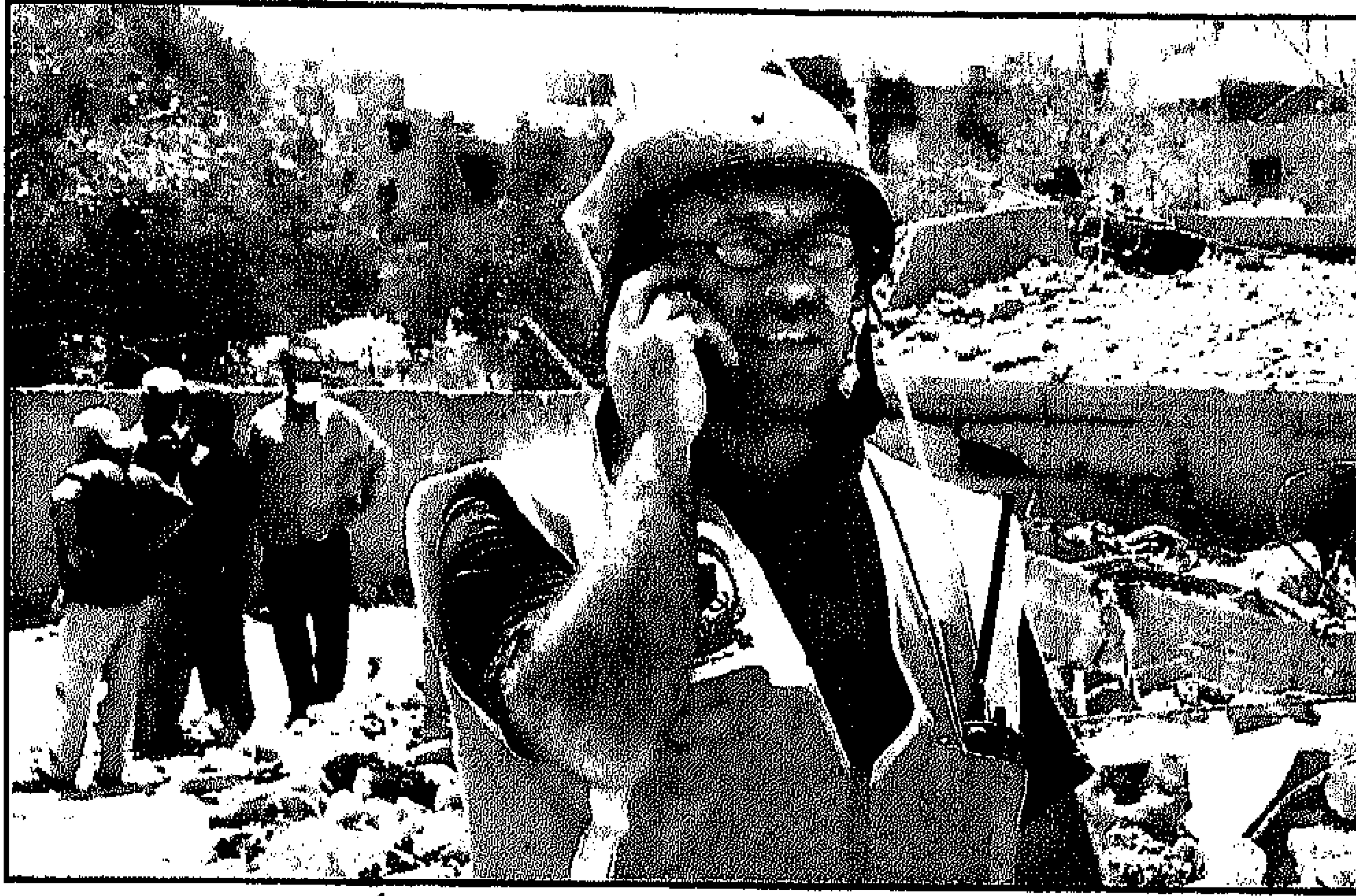
يأكلون وجبتين يوميا فقط. اللبن واللبنة المحضرة، من حليب الماعز والبقر مع الخبز والشاي وبعض الزعتر في الصباح، أو البيض البلدي إذا كان حظهم جيداً واستطاعوا الوصول إلى قن الدجاج. اما في المساء فيتناولون البرغل أو الرز أو الحمص بعد أن يطبخوه مع البندورة المتوافرة بكثرة في هذا الموسم والمتواجدة في الحقول التي سلمت من حرائق الصواريخ.

ولدى سؤالي العجائز الثلاث عن سبب بقائهن وسط هذا الجحيم والقتل والموت اليومي قالت لي فاطمة «أنا أرملة منذ أربعين عاما. مات زوجي قبل أن ارزق بطفل وأمي عاجزة. ليس لدينا احد. أخواني وأخواتي بعضهم صار في ديار الحق وبعضهم في المهجر أو في بيروت.. لم نجد من ينقلنا ولا نعرف إلى أين نذهب».

تدخلت خديجة لتضيف: «شفنا الموت بعيوننا مرات ومرات.. هذه الحرب وقبلها وقبل قبلها.. ولم نترك بيوتنا.. من في عمرنا يصبحون ثقيلين حتى على الأرض التي تحملهم.. أفضل الموت هنا على التهجير هنا وهناك عند الغريب.. والله هو الحامي وما حدا يموت قبل أوانه.. وبعدين ما بقى من العمر أكثر من اللي راح..».

لم ادر كيف أقيّم الموقف الذي وضعتني فيه هؤلاء السيدات الصبورات. فالحال الذي وجدتهن عليه لا يتمناه عاقل.. المنزل يقع وسط حارة مدمرة بالكامل. وجدرانه تعبق

بـروائح الجثث الـعـالـقـة تحت الأنـقـاض والـركـام. لا كـهـربـاء، والمـاء الـوحـيـد المـتـوافـر هـو الزجاجات المعبأة التي توفرها لجان الإغاثة. كما إن الأغذية المتوافـرة لا تـليق بصـحـتهن. فقد عرفت من احد مسؤولي الإغاثة هناك أن مريم تشكو من الـسـكـري، وفـاطـمـة من الضغط والروماتيزم، وخديجة من الـقـلـب وتـرقق الـعـظـام. أي حـيـاة هـذه لهؤلاء المسكينات؟! وأي صمود هذا ثمنه الـصـحـة والـعـافـيـة والأمـان والـهـدوء الـذي يستحقه كل إنسان خصوصا من كان بعمر هؤلاء النسوة؟!



● سلام ضاهر أحد مسؤولي الدفاع المدني ينسق عمليات رفع الأنقاض

خارج المكان والزمان

أبـو مـصـطـفـى (٥٤ عـامـا) من المـواطـنـين الصامدين «لحماية البلدة والرزق»، قال لي «لولا مجيء الصحافيين اليوم لكنا لا نزال نجـهـل في أي يـوم نـحـن وكم هـو الـوقت.. أصـبـحـنـا خـارج الـزمـان والمكان.. فـالـبـلـدة تـغـيـرت حتى بـالـنـسـبـة لأهـالـيـهـا.. والـزمن توقف عند حدود صوت الطائرات وانفجار الصواريخ».

يسكن بركات حاليا في حي الجامع بعدما تـعـرض مـحـيـط مـنـزله في حي المرج لابادة كاملة.

«وجدنا قـطـة تـأكـل جـمـجـمـة ابن المرحـوم محمد نجدي (أبو السبع). الغارة استهدفت منزل المرحوم ودمرته كله على رؤوس أولاده الـ١٤ مع أحفاده.. الحي أبيد بالكامل».

امـا حـسـن بـركـات (٤٢ عـامـا) الـذي جـاء يتفقد ما بقي من منزله فحدثني عن يوم الهروب الكبير إلى بيروت. قال «لم نصدق أن نـنـجـو من المجزرة الـتـي كـادت تـتـسـبـب بفقدان ابني احمد البالغ من العمر ست سنوات لعقله وسمعه وصوته وأتلف أعصاب زوجتي وأطفالي الثلاثة الآخرين.. ما إن طلع النهار علينا حتى شددنا الرحال سيرا على الأقدام من صريفا إلى كفرصير. كنا نـحـو سـبـع عـائـلات.. كـان الـرجـال يـحـمـلـون على أكتافهم الأطفال والعجائز، والنساء يـحـمـلـن الأغـراض الـضـروريـة لـلـتـهـجـيـر.. مشينا مسافة لا تقل عن عشرة كيلومترات ولمدة أربع ساعات متواصلة. في كفرصير وجـدنـا بـاصـا أوصـلـنـا إلى الـزريـريـة ومن هـنـاك أخذنا تاكسي إلى صيدا. كلفتنا الرحلة ٥٠٠ دولار اميركي.. كنا ١٨ شخصا في سيارة واحدة تتسع في العادة لخمسة أشخاص فقط.. ركبنا فوق بعضنا.. النساء في أحضان الرجال وفي أحضانهن الأطفال والأولاد.. ومن اسـتـطـاع حـشـر نـفـسـه في

صندوق السيارة أو تمسك بالأبواب والشبابيك.. وكل هذا من اجل السلامة وإنقاذ الأطفال من الرعب والهلع الذي ذقناه في صريفا..»

خلال الجولة في صريفا، كانت المشاهد تتكرر من حي الجل الغربي إلى حي مدخل الجامع وحي الجامع وحي البركة وحي المحفر، وكلها أحياء أبيدت من جذورها مع زرعها وتلالها وأزقتها وسروها وحتى شمسها.. فاللون الرمادي أضاف إلى المكان عتمة حزينة تنزف دمعا على الشهداء الستين المعروف بوجودهم تحت الأنقاض، وآخرين لا احد يعرف مصيرهم بعد.

كانت جرافات الدفاع المدني تعمل بجهد مضن إلى حد كبير على أمل النجاح في شق ممر لرفع الأنقاض عسى أن يستطيعوا انتشال أي من الشهداء. فالمنازل المدمرة أدت إلى تراكم تلال من الركام واختلطت البيوت ببعضها. فها هو منزل أبو عدنان كريك متناثر فوق ركام منزليّ أبو قاسم جابر وشقيقه أبو ماهر جابر في حي الجل بعدما كانت بساتين التين وكروم الزيتون تفصل بين المنازل الثلاثة. والحال مشابه بالنسبة لمنزلي أبو محمد نور الدين وأبو رفيق نور الدين اللذين كان كل منهما من ثلاثة طوابق، أصبحا اليوم مقبرة جماعية لأكثر من ١٨ شهيدا أكثرهم أطفال.

ومنزل المختار السابق لصريفا أبو غسان نجدي في حي المخفر الذي كانت ساحته بمكانة ديوان يجتمع فيه أهالي البلدة في ليالي الصيف وفي المناسبات الخاصة والعامة صار أثرا بعد عين.

في طريق العودة التقيت بالحاجة فاطمة محمود نزال (٧٧ عاما) وزوجها علي احمد عوالي (٧٥ عاما) وشقيقته فاطمة (٧٥ عاما). كانوا يبحثون عمن ينقلهم إلى جزين أو صيدا أو صور أو بيروت أو أي مكان آمن بعدما قيل لهم إن الطريق أصبحت سالكة نوعا ما.

والى جانبهم وقف أبو عباس، الذي جاء يتفقد منزله ومنزل المعارف. كان يتحدث على هاتفه النقال ويقول بعصبية وحزن لا متناهيين « إيه أنا معك يا حاج.. عم أسمعك منيح.. أنت اسمعني ووحد الله بيت شقيقك على الأرض وبيتك تأذى كثيرا ..».

هذه الرسائل المشؤومة سمعناها من أكثر من شخص في صريفا وعلى طريق العودة، خصوصا في بلدة دير قانون النهر التي «لم يبق فيها بيت على بيت» كما قال احد المتفقدين للأحياء. وكذلك الحال في العباسية كما اخبرنا المحامي كمال العجمي.

عند استراحة صور كان عدد النازحين من مختلف أنحاء القرى والبلدات باتجاه العاصمة يكاد يعادل عدد المواطنين الذين نزحوا في الأيام الأولى من العدوان.. والسؤال الأساسي الآن إلى أين؟! وهل لا يزال هناك أمكنة تستوعب كل هؤلاء المنكوبين، خصوصا ان مناطق ضاحية بيروت التي كانت في العادة وجهتهم الثانية، هي أيضا غير صالحة للسكن بتاتا.

ليكن الله في عونهم جميعا..

1/8/06

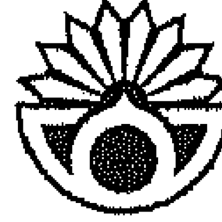
صور (جنوب لبنان)



صور نامت على وقع إشاعات الاجتياح البري

■ عمل شاق لتأمين ٢٠٠ تابوت لدفن شهداء قانا والقرى الحدودية

■ الحسيني لـ«القبس»: استعداداتنا صفر.. والمسؤولون لا يسألون عنا





خيمت اجواء القلق والحذر الشديدين على مدينة صور، في جنوب لبنان امس، مع انتهاء هدنة الـ٤٨ ساعة التي قالت اسرائيل إنها أوقفت خلالها غاراتها الجوية، مع انها شهدت عددا لا يحصى من الغارات والقصف الجوي على انحاء اخرى من الجنوب والبقاع.

وشهدت المدينة حركة نزوح كثيفة شملت الاهالي واللاجئين



● ينقلون ألواحاً حشبية نعوش للشهداء



● طفلة اصيبت بشظايا قذيفة انشطارية في مخيم الرشيدية (جنوب لبنان)

إليها على حد سواء، تزامنت مع بث وسائل الاعلام تصريحات رسمية اسرائيلية عن قرب تنفيذ عملية اجتياح لبعض القرى والبلدات الجنوبية. اختلفت التخمينات حول المنطقة التي سينطلق منها مثل هذا الاجتياح، والمدى الذي سيصل اليه وما اذا كانت حدود العملية العسكرية الاسرائيلية ستشمل صور او تقف عند ابوابها.

وافادنا مصدر في الجيش اللبناني ان الاحتمالات كلها تبدو واردة.

ومما زاد في تفاقم اجواء الخوف والتشاؤم انتشار معلومات وتداول اخبار من هنا، واشاعات من هناك، بأن «المدينة مستهدفة، وستشهد عمليات قصف قاسية بمجرد انتهاء ساعات الهدنة وقد تطال المدنيين بصورة خاصة».

هذه الاحتمالات يساعد على تصديقها تعرض صور لضربة قاسية في الايام الاولى من العدوان عندما استهدف الطيران الحربي مبنى الدفاع المدني بغارة جوية أدت إلى تدميره بالكامل مما اضعف المعنويات، لأن وجود ذلك المقر كان بمكانة صمام امان (معنوي واجتماعي وانساني وصحي) بالنسبة للاهالي وبعد اسبوع تقريبا اغار الطيران مرة اخرى ودمر مبنى مكونا من سبعة طوابق كان يضم مكتبا لمسؤول حزب الله في المدينة نابيل قاووق، بالاضافة الى استهدافات اخرى كان آخرها قبل ايام عندما قصف مكتب لمسؤول آخر في حزب الله.

عبث مطلق

«القبس» جالت امس في احياء صور



● نازحون يتجمعون أمام مقر الصليب الأحمر الدول في صور استعدادا لنزوح آخر

تستطلع اجراءات الحماية الموفرة للسكان اذا ما تعرضت مدينتهم لعملية قصف مركّز او متواصل، وامكانات الصمود اذا ما وضعت المدينة تحت حصار ناري، وكذلك الاستعدادات اللوجيستية وغيرها لأي طارئ او مضاعفات قد تفرضها الحرب الدائرة.

«صفر.. الاستعدادات صفر اذا، لا سمح الله، تعرضنا لاي ضغط اضافي عما نحن فيه الآن سنرفع ايدينا الى السماء مستسلمين للقدر وللحظ»!

هكذا كان رد رئيس اتحاد بلديات صور واقضيتها الـ٥٤ السيد عبد المحسن الحسيني.

اما موقفه الشخصي مما يجري وما قد يحدث فاختصره بالقول «عبث مطلق» ثم اشار الى طاولة مكتبه التي امتلأت بكمية من الادوية قال انها كل ما ستصمد به صور.

كان الحسيني يتحدث بانفعال وغضب شديدين وملامح الاسى والخيبة بادية على وجهه النحيل قال «منذ بداية العدوان الهمجي ونحن، خصوصا في صور المدينة، نتعرض لضغوطات من كل صوب. الحصار البحري اولا ثم الحصار البري بسبب تقطيع اوصال الطرقات والجسور، ثم النزوح الضخم من القرى والبلدات المجاورة، ثم استهداف المدينة بالقصف البحري والجوي اكثر من مرة، وما تخلفه الغارات المستمرة ليل نهار على الضواحي والقرى المحاذية من اجواء توتر وشلل للحياة هنا».

وتابع «حتى اللحظة نواجه كل تلك الضغوط بكل ما نستطيعه، ونحاول قدر الامكان تعزيز قدرة هذا الصمود بمناشدة جميع



● صحافيون واعلاميون يتابعون الاحداث ويترقبون التوقعات

الاطراف، الحكومية منها والمؤسسات الخاصة اللبنانية والاجنبية والعربية، لكن دون جدوى، طالبت مرارا وتكرارا بتزويدنا ببعض الادوية الضرورية للامراض المزمنة وكل ما حصلت عليه حتى الآن ٥٠٠ حبة من هيئة الشابات المسيحيات، في حين ان عدد المرضى، الذين يعانون من امراض مزمنة وموجودين اليوم في صور، كبير جـدا».

المطلوب ٢٠٠ نعش

اما أقسى ما تحدث عنه الحسيني فكان ما مر به خلال الثماني والاربعين ساعة الماضية، وتحديدا بعد مجزرة قانا واجلاء جثث شهداء من تحت انقاض منازل في القرى والبلدات اثناء هدنة وقف الغارات الجوية. فقد اقسم رئيس اتحاد البلديات انه وصل الليل بالنهار وعلى مدى يومين متتالين يحاول تأمين اخشاب لصناعة ٢٠٠ نعش لدفن الشهداء، وحتى الآن لم يستطع تأمين اجرة النجار، ولا ثمن الخشب «بسبب ضعف ضمائر المسؤولين بالدرجة الاولى والبيروقراطية ثانياً».

اضاف «الجثث متراكمة في برادات الموتى في المستشفى الحكومي، ولا بد من دفنها اولا استعدادا لاستقبال المزيد ممن لا يزالون تحت الانقاض هنا وهناك، وثانيا لانه لا يمكن تركها في البرادات فترة طويلة. فالمستشفى يقع وسط احياء سكنية مكتظة وروائح الجثث بدأت تشكل مشكلة صحية حقيقية على الانسان والبيئة».

كان الحسيني يشتم ويسب ويلعن «كل مسؤول لا يتصرف على قدر المسؤولية اوقات الشدة»، ويتمنى وقفا فوريا للنار حتى يتمكن القيمون على العمل الميداني الآن (وهم قليلون جدا)، بحسب الحسيني، من القيام بواجبهم دون ضغوطات امنية او اقتصادية لان «الذي فينا يكفينا»، وهو بذلك كان يحاول وصف العجز الذي ترزح تحته صور التي لا يزال يعيش فيها ٢٠ الفا من اهاليها الى جانب نحو عشرة آلاف

مهجر، في وقت بدأت المواد التموينية تنفد من المحلات التجارية، ومخازن الادوية شبه فارغة، والموظفون والمتطوعون في الهيئات الانسانية والاجتماعية وايضا في البلديات قل عددهم الى الحد الادنى، فيما المهمات واعمال الاغاثة المطلوبة زاد حجمها اضعافا مضاعفة.

يذكر ان هناك اكثر من ٦٠٠ عائلة لبنانية نزحت من القرى والبلدات الى المخيمات الفلسطينية في صور (الرشيدية والبص وبرج الشمالي والمعشوق وجل البحر) بعدما ضاقت بهم المدارس والمساجد ومواقف السيارات.

الملاجئ أو تكتيف الأيدي

وعن الجهات التي تمد المدينة بمستلزمات الصمود اكد الحسيني انها ثلاث فقط هي: «اطباء بلا حدود»، و«جمعية الشابات المسيحيات»، والصليب الاحمر اللبناني، اما مساعدات الدولة اللبنانية «فلا تزال في الطريق عبر البريد السريع منذ ٢٠ يوما».

وعلق على هذا التأخير بالقول «يا خوفي يكون البريد السريع اضاع العنوان وذهب الى جزيرة صور في سلطنة عمان؟!».

واضاف «نعم، وضعنا في حسابنا احتمال التعرض للقصف ولمزيد من الحصار ولكثير من الضغوطات الاضافية لكن، وللاسف الشديد، ما توصلنا اليه هو ان جل ما نستطيعه اما النزول الى الملاجئ ان وجدت، أو تكتيف ايدينا وتسليم امرنا لله».

وتمنى لو أن الحكومة اللبنانية عملت على إجلاء المدنيين بالطرق المناسبة «أسوة بما فعلته حكومات الدول الأخرى، فلا ذنب للمدنيين لكي يتكبدوا المشقات ويتعرضوا للخطر والتهجير والتشرد والنوم في العراء».

يذكر أن الجهة الوحيدة التي تساعد في إجلاء النازحين هي مؤسسة الرئيس الشهيد رفيق الحريري التي تديرها أخته النائبة بهية الحريري التي أمّنت وسائل نقل مجانية من صور إلى صيدا وأحيانا إلى بيروت. اما إذا أراد احد استخدام وسيلة نقل أخرى، فعليه تكبد مبالغ مالية كبيرة تصل أحيانا إلى ٤٠٠ دولار أميركي على الشخص و٥٠٠ على العائلة الواحدة، وهذا ليس باستطاعة احد ممن ترك منزله ورزقه من دون أن يتسنى له حمل حتى حقيبة ثياب.

صور خارج المعارك

إلى جانب ما أبداه الحسيني من تشاؤم على صعيد التحصين التمويني للمدنيين، فإنه متفائل بأن المدينة ستبقى خارج إطار العمليات العسكرية المتبادلة.

«صور لن تشهد معارك على الأرض إذا ما تأزمت الأوضاع الميدانية وحصل اجتياح بري ولن نسمح أبدا بإطلاق صواريخ من هنا، وهذا أمر نعي حساسيته جيدا منذ بدء العدوان ولذلك لا نسمح بوجود مسلحين في الأحياء».

ومن المعروف أن القوة الحزبية المسيطرة على المدينة هي لحركة أمل التي يتزعمها رئيس مجلس النواب نبيه بري والعناصر العسكرية لهذه الحركة خارج إطار الحرب حتى الآن، لكن مؤسسات العمل الإنساني

والاجتماعي مثل كشافة الرسالة تعمل بفاعلية ونشاط على الأرض، وتتولى مهمات أساسية مثل تأمين الخبز والماء ومواد تموينية والمشاركة في مهمات الدفاع المدني وما إلى ذلك، ليس داخل صور فحسب، بل أيضا داخل القرى والبلدات المنكوبة التي تتعرض للقصف اليومي.

مشكلة الأسعار ونضوب السلع

في غضون ذلك، بدأ السكان يشكون غلاء الأسعار وفقدان أنواع كثيرة من السلع والمواد الغذائية وغيرها. كيلو الدجاج تخطى العشرة آلاف ليرة (ديناران كويتيين) واللحم تضاعف مرتين والمياه المعدنية ارتفع سعرها إلى الضعف، وكذلك البنزين والغاز اللذان بصعوبة يمكن توفيرهما، اما الخضار والفواكه فتكاد تكون غائبة كليا بعدما هجر القرى والبلدات أكثر من ٩٥٪ من سكانها، وتقطعت أوصال الطرقات والمنافذ.

صاحب مطعم يقع على كورنيش البحر طلب عدم ذكر اسمه اعترف بأنه اضطر لزيادة فاتورته بنسبة ٣٠٪ بعدما صار يشتري تموينه بسعر مضاعف عن ذي قبل.

وهذا المطعم، شأنه شأن باقي المتاجر والمطاعم التي لا تزال تفتح أبوابها وهي بالمناسبة قليلة جدا، ولا يتعدى مجموعها عشرة محلات، يعتمد نظام النصف دوام «لأن الموظفين قلوا وكذلك الزبائن».

وعما إذا كان يشعر بالخوف بسبب مخاطر القصف والاجتياح قال صاحب المطعم «أعيش وحدي في المدينة بعدما نزحت عائلتي وأهلي إلى الشمال، احتاج لفتح مطعمي يوميا ولو لخمس ساعات لتأمين لقمة العيش لهم، بالطبع أخاف على نفسي وإذا ما حصل أي شيء فسأقفل مطعمي واحتمي مع الصحافيين وموظفي الصليب الأحمر الدولي في استراحة صور».

ومن الموقف المتشائم الذي أبداه أمثال الحسيني والتسليم للظروف كما يتصرف أمثال صاحب المطعم هناك، من يستبعد كليا أن تشهد صور ما شهدته بلدات جنوبية عدة.

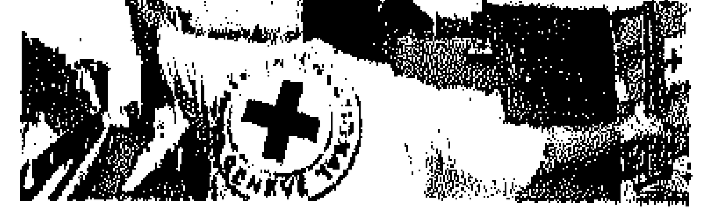
احد مسؤولي منظمة الغذاء العالمي التابعة للأمم المتحدة «الفاو» قال «باعتقادي أن الجميع متفق على إبقاء صور ممرا للإغاثة».

سموهم ما شئتم.. فكل أفعال الظلم مورست عليهم وبحقهم

نـازحـون نعــم.. منكسرون كلا

2/8/06

(جنـوب لـبنـان)



تهدأ الغارات الجوية لدقائق او ساعات وتخف حدة القصف البري والبحري بين الحين والآخر، تستثني بلدة احيانا وتبيد قرية حيناً آخر، لكن المآسي الانسانية التي يخلفها العدوان الاسرائيلي الهمجي تتفاقم يوما بعد يوم، فهي تحفر في القلوب جروحا تنزف ساعة تلو الاخرى، وتطبع في الذاكرة صورا ابعادها تكاد تنسينا لحظات الفرح العابر.

فان كانت العـين قـادرة على غض الطرف عن مشاهد الدمار الذي بات صفة مشتركـة تجمع بـين كثير من المناطق اللبنانيـة لاسيما الجنـوب وضاحيـة بيروت الجنوبية، فكيف يمكن تجاهـل صراخ آلاف مؤلفة انتهكت انسانيتهم وسلبوا الأمن والاستقرار وجردوا من ابسط حقوق الحيـاة؟! انهم النازحـون، او المهجرون عنـوة، او المنكوبون، سموهم ما شئتم، فكل افعـال الظلم والاستبداد مورست عليهم وبحقهم.



● نازحون في احدى المدارس يستمعون الى نشرة الاخبار



● تختبأ من كاميرات الصحافة ورفيقتها تبتسم للحال الذي آلتا إليه

تذهب الى منازلهم فتجد احجارها واثاثها وكل ما كان يختزن بين جدرانها متناثرا هنا وهناك فوق وتحت، مصير الاوراق الثبوتية مثل الاغراض الخاصة والمقتنيات التي كانت ثمينة بالنسبة لاصحابها، كألعاب الاطفال وزينة الفتيات وصور الذكريات، كلها في مهب ريح رمادية مشبعة بروائح الموت والغدر والاغتصاب.

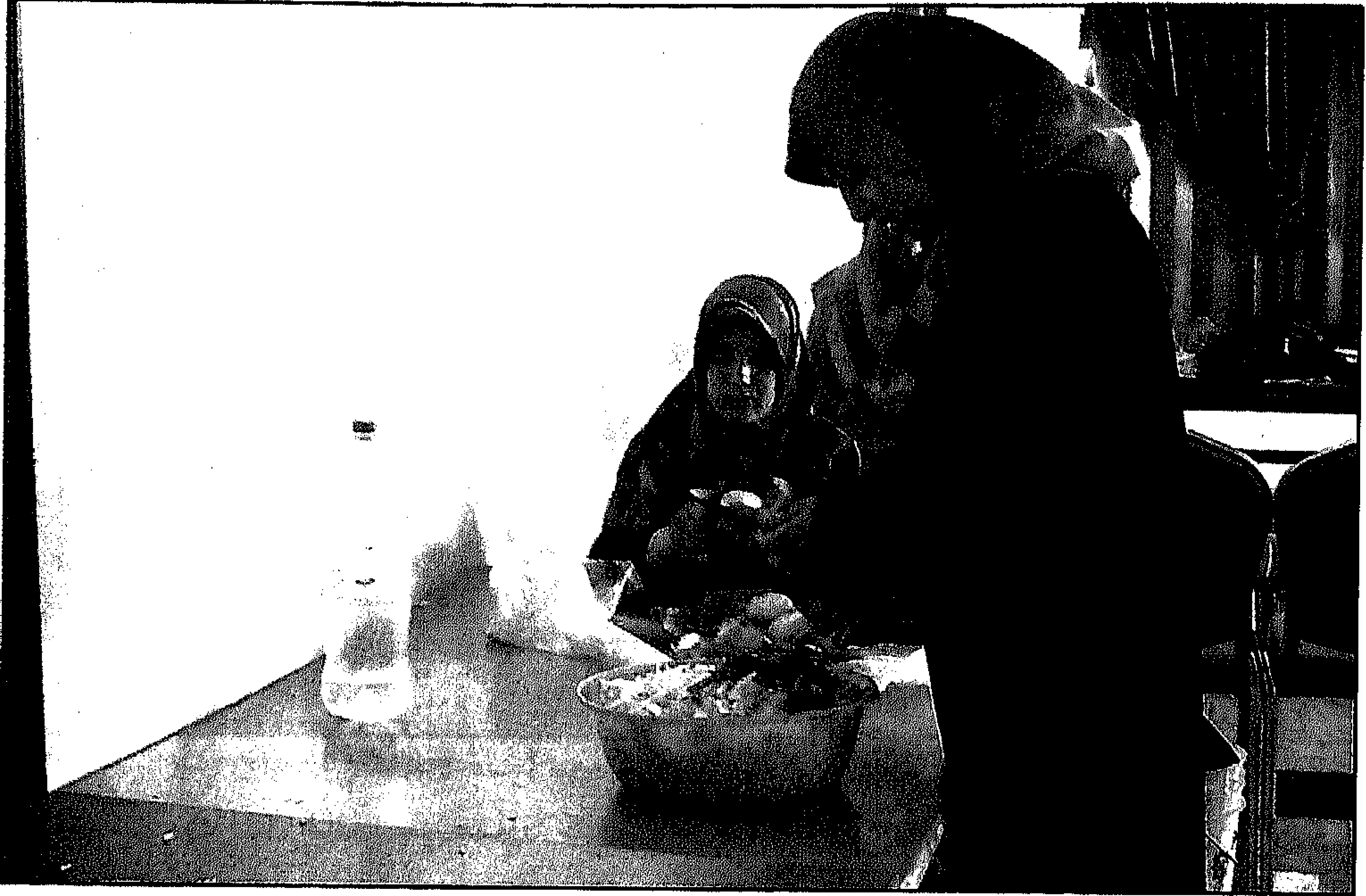
تبحث عن شمسهم فتجدها اختفت واخذت معها اماكن الفيء، حيث كان العجائز يمضون اوقات الظهيرة.

تسأل عن اسماء فتضيع بين دفاتر للنازحين واخرى للجرحى، أو للشهداء او للصامدين واخرى لمجهولي المصير تشتتوا مثل احجار بيوتهم واوراق شجر الزيتون والتين. تباعدوا مثلما تباعدت مقاعد مدارسهم ومآذن مساجدهم اخذوا معهم الشمس ورحلوا بدون اتجاه.

مطلب متواضع:
أريد أن أستحم

تبتعد قليلا فتجدهم هناك إما في مدرسة وإما في عراء حديقة عامة، او ينتظرون على قارعة طريق، وإما يستعدون للهجرة بعيدا من ميناء بحري هو سبيلهم الوحيد اليوم إلى خارج الوطن، وتحديداً إلى البلد الثاني الذي حملوا جنسيته إضافة إلى جنسيتهم اللبنانية. تنظر في عيونهم فيأتي اليك الجنوب مرة اخرى بصورهم الآنية: حزينا، منكوبا، مشتتا، مجروحا لكن ليس مكسورا.

فهؤلاء لا يزالون متمسكين بالحياة ولو تطلب البحث عنها في شتات الارض كلها، لا يريدون منك شيئا، بل على العكس،



● تتساعدان في اعداد وجبة غذاء جماعية لجيرانهم النازحين معهم في استراحة صور

يبادرون الى القاء التحية، وعندما يشتكون يفاجئونك ببساطة ما يطلبون.

«بدي استحم.. لم استحم منذ عشرين يوما لكنني لا املك غير هذه البلوزة والبنطلون المتسخين».

هذا كان اعتراض فيروز سلطانة (٣٧ عاما) التي نزحت قبل يومين من بلدتها بنت جبيل بعد حصار قاس قضته مع شقيقها علي (٣٥ عاما) وآخرين من ابناء البلدة في ملجأ احد المباني المدمرة.

قالت فيروز بخجل «عندك شيء استعيره حتى الصباح فقط؟! سأعيده لك عندما تجف ثيابي».

لم تعد تملك غير شقيقها

فيروز، ذات الجسد النحيل جدا والعينين الزرقاوين والشعر الاشقر، كانت وصلت الى مطعم استراحة صور حيث ستنطلق مع أخيها علي في قافلة من المهجرين الى صيدا، ومن هناك الى حيث يستقر بها القدر فهي بعد ان مات والداها قبل سنوات، لم تعد تملك في هذه الدنيا غير شقيقها ومنزلاً مدمراً تركته وراءها في بنت جبيل.

«دبرونا»، قال علي، «الاسرائيليون لم يمهلونا ساعة واحدة لنوضب حاجياتنا، لم نشعر الا والقصف حولنا مثل المطر. عرفت ان منزلنا لا بد ان يستهدف، فاخذت شقيقتي وهربنا الى اطراف البلدة واختبأنا مع العشرات، وفي يوم هدنة القصف الجوي المزعومة عدت لاحضر بعض الاشياء لي ولها لكنني لم اجد الا ركاما مخيفا».

وتابع علي «في اول الامر اعتقدت انني


● يقفون في الدور للحصول على مياه الشفة

ضعت عن منزلنا، فالبيوت صارت كلها مشهدا واحدا: ركاما بركام. بحثت وبحثت وكأنني لا اريد ان اصدق. تمسكت بآخر أمل. رحت ابحث بين الركام وعبثا حاولت ان اجد ما اعود به الى اختي».

أخذت فيروز الحديث مرة ثانية «قلت له يا اخي كل شيء يمكن تعويضه، تعال نهرب مع الناس الى صور ومن هناك نبحث عن اقاربنا في بيروت فالمهم السلامة».

صمود تحت القصف، وصمود وسط الخراب وصمود في النزوح، وثبات على الاستمرار.

«المهم السلامة»، قالت فيروز وهي تأخذ كوبا صغيرا من البلاستيك فيه القليل من الصابون لتغسل به جسمها وثيابها، ثم قالت لعلي: «سأترك لك نصف الصابون تدبر امر استعارة بنطلون من احد الصحافيين وسأغسل لك ثيابك وغدا نذهب الى بيروت».

الصاروخ أسرع

فيروز وعلي، رغم قسوة ما حل بهما، لا يزالان امام حجم المأساة التي لحقت بهما، وضعهما يمكن التعامل معه او التغلب عليه خصوصا انهما بالغان ويتمتعان بالعافية.

ديبة خلف (٨٠ سنة) نزحت من مارون الراس مع ابنتها وحفيدها حاملة حزنا «يزن جبلا» كما قالت. فهي خسرت زوجها محمود (٨٦ عاما) وابنها حسين واولاده الخمسة وزوجته وشقيقها ابراهيم وابنتيه بالاضافة الى صهرها.

اما كيف حدث ذلك فقالت ديبة «كنا في المنزل عندما سقط صاروخ على منزل جيراننا، قررنا الهرب ورحنا نلملم بعضنا. نزل الصاروخ الثاني على بيت مجاور آخر، حملت حفيدي (سنتان) لان ابنتي حامل في شهرها السابع، وصهري قدمه مقطوعة بسبب حادث قديم. قلت خليني انقذ الطفل

وصرخت بالجميع ان يلحقوا بي باقصى سرعة. خرجت وتبعتني ابنتي لكن الآخرين كان الصاروخ اسرع منهم بكثير بقوا هناك تحت ركام منزل انجبت فيه كل اولادي وشهدت ولادة كل احفادي».

أشلاء أهلي

وتابعت: «هربنا الى منزل جيراننا وكانت حالهم ليست افضل من حالنا بكثير: عائلات مكومة بعضها فوق بعض، والخوف والهلع يكادان يوقفان قلوب الاطفال والكبار على حد سواء. قضينا ليلة مرعبة ونحن نصلي وندعو لله ان يسلم من بقي حيا. ولم أقوَ لا انا ولا احد غيري على العودة الى منزلي لأتفقد ما اذا كان هناك احياء او حتى لسحب جثث الشهداء».

«وعند الصباح هدأ القصف قليلا، توجهت الى منزلي ولم اجد غير مصيبة كبيرة لا اعرف ان كان قلبي العجوز قادرا على العيش مع ذكراها: اشلاء ابنائي واحفادي وزوجي منصهرة بحديد الصاروخ لم اقدر حتى على البقاء للبكاء عليهم ولا للصلاة عليهم ولا لتكفينهم ودفنهم. انا هنا في مدرسة صور انتظر كل يوم ان تتمكن فرق الدفاع المدني والصليب الاحمر من احضار ولو اجزاء من اشلاء فلذات كبدي ورفيق عمري لادفنها بالقرب مني».

ديبة تنام وابنتها زهرة وحفيدها مهدي على فرشة من الاسفنج لا تتعدى مساحتها ثلاثة امتار مربعة. الى جانبها بدأت تتراكم اكياس من النايلون فيها اما بقايا طعام من الوجبات السابقة او ادوية للطفل ولابنتها ولها، او سجادة صلاة اعطتها اياها احدى المتطوعات في فرق الاغاثة المشرفة على المقيمين في المدارس.. وغير ذلك لا شيء بتاتا.

المجهول الاسود

وديبة لا تريد ترك صور الى اي مكان آخر «هنا مشتتون وهناك مشتتون، لن يتغير شيء ولن تعود عائلتي ولا منزلي في مارون الراس، ولا تعبي وشقائي وشقاء زوجي وكل ما بذلناه لإعمار المنزل وتربية الاولاد والاحفاد. من سيعمل على حراثة الارض وزرعها بعد اللي خسرتهم؟! مهدي (حفيدها) لا يزال يرضع الحليب من القنينة وامه، الله يخلصها بسلامة عند ولادة طفلها الثاني، لا حيلة لها غير تربية طفليها».

امام ديبة مصير مجهول واسود بلا شك، فهي من ضمن نحو مليون منكوب حتى الآن وان كان هناك من امل لتعويض شيء من الماديات التي خسرتها، فمال الدنيا كلها لن يعوض فلذات كبدها ورفيق عمرها.

حركة مقيدة

في المدرسة، حيث تعيش ديبة ومن بقي من عائلتها الى جانب عشرات العائلات الاخرى المتشابهة في الحال والظروف والمآسي، لا توجد اسرّة للنوم ولا مطابخ ولا اجهزة تلفزيون ولا اي من متطلبات الحياة اليومية

والبشرية التي كانت تعمر بها منازل هؤلاء المنكوبين.

في المدرسة باحة صغيرة خصصت لاستراحة التلامذة ولمدة نصف ساعة في اليوم فقط، والمكان ليس باتساع ساحة الضيعة، ولا يطل على تل اخضر، ولا يمر على حافة وادٍ. ولا ينحدر من عند نوافذه جبل، انه مكان ممنوع على الاطفال الصراخ في اروقته الضيقة ولا اللعب بين صفوفه القليلة ولا تسلق ابوابه المنخفضة. ممنوع على الشباب التنزه خارجه فخطر التعرض للقصف لا يزال قائما، ممنوع على الرجال التأفف لانه مكان عام، وممنوع على النساء البكاء لان القلوب مثقلة بالاحزان ولا مكان للدموع. ممنوع وممنوع وممنوع.

شردوا وحشروا في عنق زجاجة العوز والضياع، فرضت عليهم جبهة مقاتلة البؤس والجوع، صاروا يعرفون باسماء جديدة وعناوينهم انتقلت بعيدا عن «حد المرج وطلعة البركة واطراف الوادي وكرم التين وشارع الكروسة» لتستقر دون موافقتهم في «هيئة كذا وبناية فلان ومدرسة علتان».

ما تيسر

سمير قطيش (٥٧ عاما) نزح من حولا وجاء الى استراحة صور ينتظر اجلاءه وعائلته المؤلفة من اربعة اولاد و٣ بنات الى اي تجمع للمهجرين فهو مقعد وزوجته توفاها الله قبل سنة.

«لم استطع الصمود اكثر في حولا فانا عاجز عن حماية عائلتي واحتاج لمن يعتني بي نظرا لحالتي».

كل ما حصل عليه سمير هو كرسي نقال وفرشة من الاسفنج وفرشتان لعائلته يمكنهم مدها على ارض بهو الاستراحة للنوم في الليل فقط، اما خلال اوقات النهار فمطلوب منهم جميعا بمن فيهم المقعد ان يجلسوا على الكراسي والحد قدر الامكان من حركتهم او تنقلاتهم من والى المكان، ينتظرون الحصول على وجبة للغداء واخرى للعشاء، وهما وجبتان من المعلبات والخبز واحيانا بعض الجبن والمربى، من هيئات الاغاثة.

١٥ دقيقة لكل واحد

وعائلة قطيش ليست الوحيدة في هذا المكان. هناك العشرات يفترشون ارض البهو ليلا ويصطفون على الكراسي نهارا بانتظار الفرج. وهناك العشرات ينامون بين اروقة صالات التمارين التابعة للاستراحة تنطبق عليهم الشروط نفسها ويتكبدون الظروف ذاتها.

اما كيف يستحمون ويعدون طعامهم فهذا يطبق وفق نظام يشبه ما يطبق داخل ثكنات الجيش او في رحلة كشاف غير مرفهة. فالدخول الى الحمامات مسموح في وقت معين يتوقف تحديده على توافر المياه والكهرباء، والوقت المحدد لكل شخص ١٥ دقيقة فقط وللعائلة (ام واطفالها) نصف ساعة وبعد ذلك عليهم تنظيف المكان جيدا واعادة كل شيء الى مكانه.

كوثر كانت تنتظر دورها لاعطاء طفليها حماما حرما منه منذ عشرين يوما، قالت «ابنتي ايمان (٥ سنوات) لا تريد الدخول الى الحمام لانه ليس نظيفا، معها حق فهي تربت في منزل كبير وكان لها غرفتها وحمامها الخاص، فيه العاب وصابون خاص للاطفال وعطر اشتراه لها والدها».

وتابعت «كانت لنا بيوت بكل ما للكلمة من معنى شيدناها بعرق جبيننا وفرشناها من اتعابنا وجهزناها لاولادنا ولاولاد اولادنا، فانظري ما نحن عليه الآن. الاسرائيليون يقصفوننا باحدث الاسلحة ويقولون اننا ارهابيون، هل اصبح من يدافع عن ارضه وحقه وكرامته ارهابيا؟! اسرائيل هي الارهاب، فهي من فعلت هذا بنا».

نقوم بكل الأدوار معاً

كانت كوثر وصلت قبل يومين قادمة من كفرا ومعها اختها واولادها الثلاثة وامها وزوجة شقيقها واولادها الثلاثة، واختها الصغيرة، وشقيقة زوجها الحامل في شهرها الخامس، جميعهن نساء. اما الرجال فالاب متوفى منذ زمن وزوجها لا تعرف عنه شيئا، كذلك الحال بالنسبة لصهرها وشقيق زوجها.

هؤلاء النسوة يشابهن بوضعهن الاجتماعي والانساني الكثيرات اللواتي فرضت عليهن الظروف الحالية ان يلعبن دور الام والاب والمعيل والحامي والمدبر والصابر والمشتاق والمكلوم والمنسي والمظلوم والمقهور والمنكوب والمتفائل والمتشائم، وغيرها من المواقف التي لا بد من مواجهتها بشجاعة وثبات وعزيمة لانقاذ الارواح - الامانة وللابقاء على امل الانتظار.

فالعدوان الاسرائيلي افترس سكينة البيوت في غياب معيليها الذين كانوا إما في المهجر وإما فرضت عليهم الاوضاع مواقع جديدة ومهمات اكثر إلحاحا من البقاء الى جانب العائلة.

حركة النزوح من الجنوب الى صور، ومن صور باتجاه صيدا او بيروت او الشمال، تترافق مع كل موجة تصعيد في القصف والغارات الاسرائيلية، وتزداد حدة مع كل لحظة هدوء مهما كان مشوبا بالحذر والمخاطر.

ينزحون على وقع اصوات الانفجارات سيرا على الاقدام او في حافلات أو سيارات او بالآليات المخصصة للمزارعين.. وعلى الدراجات او بواسطة قوافل هيئات الاغاثة.

صمتهم الجليل يخجل، وحزن عيونهم يدمي القلب، وقاماتهم المرفوعة شمس جديدة تضفي على المكان بعدا آخر للمعاناة.

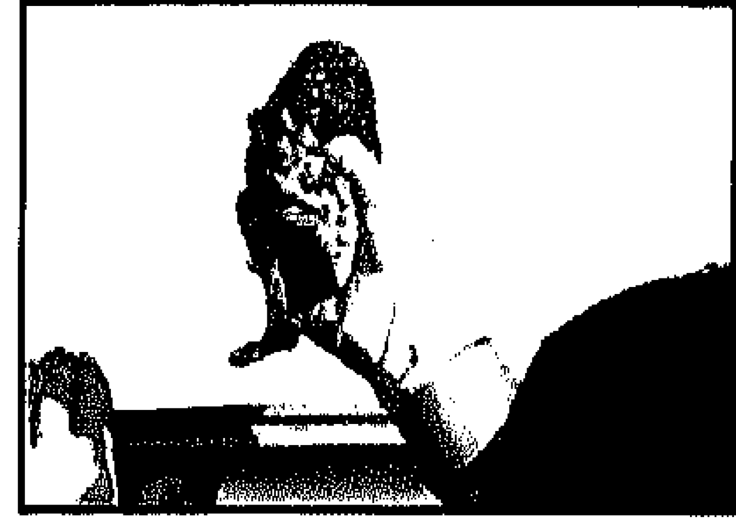
يتقبلون ما اصابهم بصبر ويتحملون مآسيهم بكبرياء، ولا يتخلون عن ابتسامتهم السمراء الموشحة بوهج شمس الجنوب.. كل ما يريدونه، العودة الى ارضهم ليتولوا اعادة بناء منازلهم بزنودهم، فهل يستطيعون؟!! آمل ان يكون ذلك قريبا.

5/8/06

صور (جنوب لبنان)



إسرائيل تنفذ ثاني عملية كوماندوس منذ بدء العدوان





ليل صور تواصل مع نهارها أمس. فعند الثالثة والنصف فجرا نفذت فرقة من الوحدات الإسرائيلية الخاصة عملية كومندوس في احد الأحياء السكنية الواقعة عند مدخل المدينة الشمالي أثارت جوا من الرعب والخوف، قيل إنها استهدفت مسؤولا في حزب الله يعرف باسم الحاج محمد البغدادي وقد أبقت هذه الأحداث المواطنين والصحافيين، على حد سواء، مستيقظين حتى الصباح.

ولم تأت الساعات الأولى من النهار بما هو أفضل، فقد أغارت الطائرات الحربية على صور وأصاب أحد صواريخها مواطنين، هما محمد فاخوري (٣٠ عاما) ووسيم نجدي (١٧ عاما) كانا على دراجة نارية عند الرصيف المحاذي لموقف الباص (مدخل المدينة) مما أدى إلى مقتلهما على الفور وتحولهما إلى أشلاء تناثرت في كل مكان.

وأجواء التصعيد والتوتر الأمني خيمت على مدينة صور، منذ بداية العدوان الإسرائيلي المستمر منذ أكثر من ٢٥ يوما، خصوصا بعد استهداف مبنى كان يضم مكتبا لمسؤول حزب الله في المدينة مما أدى إلى تدمير



● جنود من الجيش اللبناني في موقعهم ... طاله القصف الا...

المبنى كليا، تبع ذلك قصف الأباتشي لأحد المكاتب السياسية التابعة للحزب، وقبل ذلك كانت الغارة الجوية التي استهدفت مبنى الدفاع المدني بثلاثة صواريخ تسببت في تدمير المبنى تدميرا كاملا، وغارات أخرى استهدفت الطرق العامة والفرعية، بالإضافة إلى الغارات المتواصلة يوميا وعلى مدار الساعة ضد جميع القرى والبلدات المحيطة بصور وأقضيتها وضواحيها.



● ذخائر في موقع الاشتباكات حيث نفذت عملية الكومندوس

«الكومندوس» الثانية

لكن الأحداث التي شهدتها المدينة فجر اليوم (السبت) كانت الأكثر خطورة وحساسية وأضافت المزيد من التوتر الذي تسبب بمزيد من حركة النزوح باتجاه بيروت والشمال.

فعملية الكومندوس، أو عملية الإنزال الجوي كما تصفها مصادر عسكرية وإعلامية، هي الثانية من نوعها التي تنفذها إسرائيل في لبنان منذ بدء العدوان يوم ١٢ يوليو.

الاولى كانت عملية الإنزال التي نفذتها وحدات خاصة في بعلبك، غرب البلاد، قبل أيام، استهدفت احد المستشفيات بحثا عن أشخاص تريدهم إسرائيل، وانتهت فاشلة. كذلك العملية التي نفذتها فرقة تابعة للوحدات الخاصة في صور فجر اليوم لا يمكن اعتبارها ناجحة.

فالإنزال الذي استهدف منزلا في مجمع سكني يطلق عليه اسم «مشروع الرز» ويقع عند المدخل الشمالي لصور على مفرق جل البحر - العباسية، تصدى له أولا الجيش اللبناني الذي كانت عناصره (المرابطة على مسافة لا تزيد على ٢٠٠ متر فقط عن موقع الهدف) أول من كشف تقدم الجنود الإسرائيليين، كما تصدى للهجوم عناصر مسلحة من حزب الله وحركة أمل.

الرواية الإسرائيلية

وفي حين اختلفت الروايات حول تفاصيل عملية الإنزال، فإنها اختلفت أيضا حول الهدف من تلك العملية والنتائج التي حققتها وتلك التي كانت مرسومة لها والخسائر في صفوف الطرفين (المهاجم والمدافع).

فالرواية الإسرائيلية تقول إن قوات خاصة تابعة للجيش نفذت عملية كومندوس على

منزل في مشروع الرز يختبئ فيه أحد المسؤولين البارزين في حزب الله، وتضيف أن الجنود نجحوا في أسر المسؤول المستهدف في بادئ الأمر لكنهم اضطروا إلى قتله فيما بعد مع عشرة عناصر أخرى على اثر وقوع اشتباك مسلح مع عناصر من حزب الله تدخلت على أثره طائرات الأباتشي التي تولت رشاشاتها السيطرة على الوضع وفسح المجال لانسحابهم.



● قذيفة آر بي جي لم تنفجر

.. ورواية حزب الله

في حين اعترف الإسرائيليون بسقوط قتيل واحد فقط في صفوفهم وثمانية جرحى، يؤكد حزب الله سقوط أكثر من ثلاثة قتلى وعشرة جرحى في صفوف الإسرائيليين.

وتؤكد رواية حزب الله كما اوضحها لـ«القبس» مصدر إعلامي مسؤول في الحزب، أن الهجوم بدأ عند الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف ليل الجمعة السبت من البحر ونفذه ما يعرف بالضفادع البشرية التي تقدمت من الشاطئ إلى «السيتي بارك» أو مدينة الملاهي في صور، حيث شعر بوجودها عناصر من الجيش اللبناني كانوا يرابطون عند نقطتين، الأولى عند مفرق العباسية - جل البحر، والثانية قبل موقف البص.

وأضاف أن «عناصر الجيش اللبناني طوقوا الجنود الإسرائيليين من الجانبين مما اضطرهم إلى الفرار والاختباء بين مباني مشروع الرز حيث كان هناك عناصر مسلحة في كل الجهات فاشتبكوا معهم، وكان هناك مسلحون في الشقة (لم يقل إنهم من الحزب) شاركوا ايضا في الاشتباك مما اضطر الإسرائيليين إلى الاستعانة بمروحيات الأباتشي التي راحت إحداها تمشط برشاشاتها كل المنطقة الممتدة من البص إلى بساتين الشبريحا مرورا بالمشروع جيئة وذهابا وتقصف هنا وهناك لتغطي انسحاب مجموعة الكومندوس والضحايا الـ١٣ التي تولت سحبها طائرة اباتشي أخرى عند الساعة الخامسة و١٥ دقيقة صباحا».

جندي ومدنيان

وأكد المصدر أن عدد الضحايا الذين سقطوا في صفوف اللبنانيين هم جندي برتبة ضابط متمرن في الجيش اللبناني

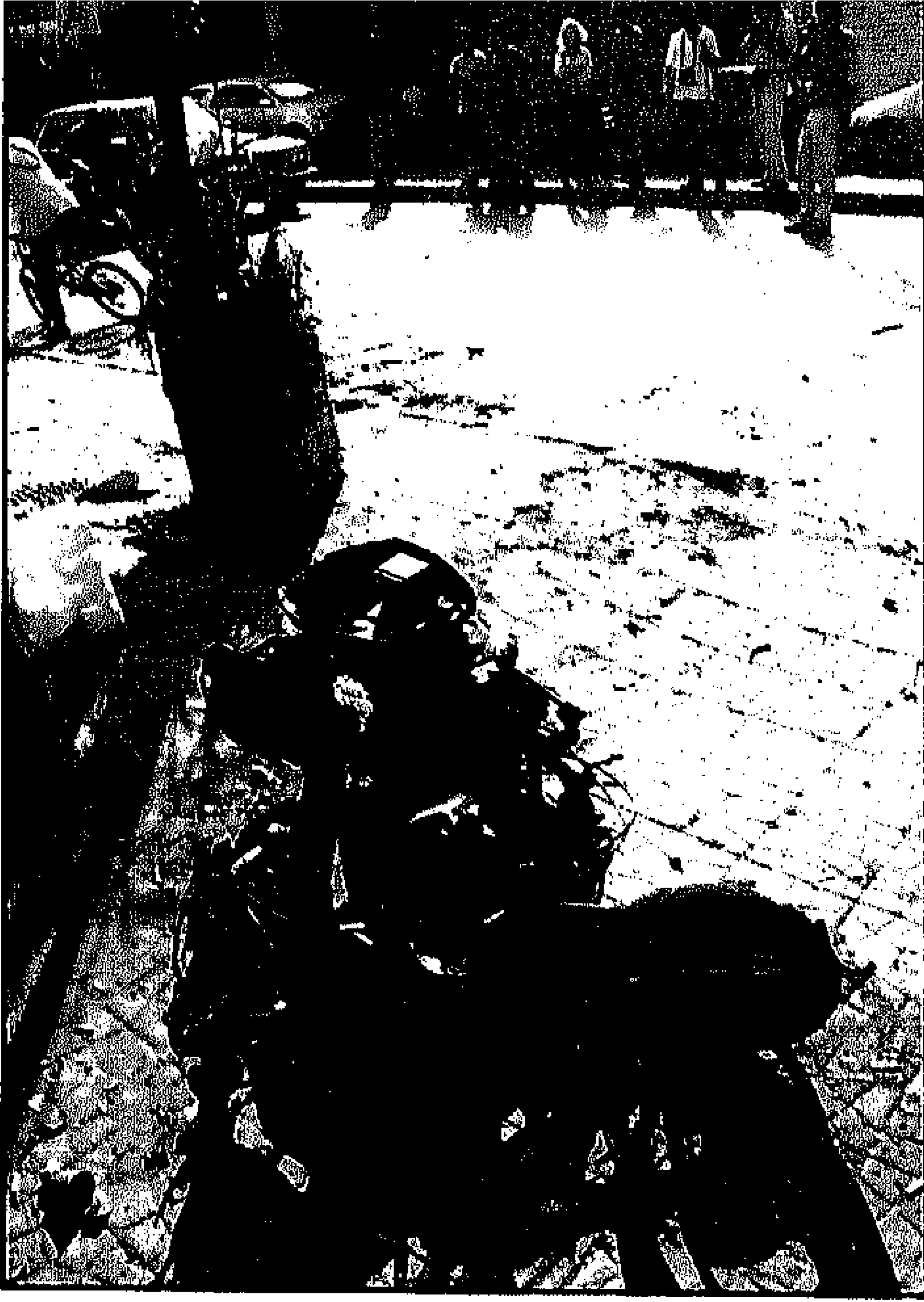
قضى بقذيفة من الجو أصابت الحاجز والدبابة، ومدنيان سقطوا داخل الشقة، مشيرا إلى أن «حزب الله لم ينع أيا من عناصره» في تلك الاشتباكات.

وختم المصدر بالقول «إنها عملية فاشلة جدا مثل سابقتها التي وقعت في بعلبك».

وعن تفسيره للأهداف التي من اجلها نفذ الجيش الإسرائيلي هذا الانزال، اجاب: «الإسرائيليون قالوا إنهم أرادوا ضبط عناصر مسلحة أطلقوا صواريخ كاتيوشيا من المنطقة، ثم قالوا إنهم أرادوا اسر احد مسؤولي الحزب ونحن نعتبر ان مثل هذه الأفعال طبيعية بالنسبة لنا مستعدون لأي طارئ».

«أمل» شاركت

اما المسؤول التنظيمي لحركة أمل محمد زرقوط فأجاب رداً على سؤال «القبس» عما إذا كان عناصر الحركة شاركوا في إفشال الإنزال بالقول «هذا طبيعي جدا كوننا موجودين على الأرض في كل مكان ربما ليست لدينا القدرة اللوجيستية والعسكرية التي يتمتع بها حزب الله اليوم، لكننا لا نزال من الفصائل الرئيسية التي أسست حركة المقاومة في لبنان عام ١٩٨٢ إلى جانب الحزب الشيوعي اللبناني والحزب السوري القومي الاجتماعي وبعض التنظيمات الحزبية الوطنية الأخرى، ولا ننسى أيضا أن الإمام المغيب موسى الصدر كان أول من دعا إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي».



● الدراجة النارية التي استهدفها الطيران الحربي في منطقة البص واستشهد فوقها محمد فاخوري ووسيم نجدي

وتابع زرقوط «قبل حزب الله كانت هناك جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وبكل فخر نقول إننا كنا من بين الأوائل الذين شاركوا في عمليات المقاومة ضد الاحتلال. ربما اليوم لم يعد لدينا الإمكانات ذاتها».

وأكد أن حركة أمل نعت منذ بدء العدوان الإسرائيلي «١٥ شهيدا سقطوا في مواجهات وعمليات إغاثة ومبادرات لدعم الصمود في مختلف القرى والبلدات، من مارون الراس إلى صريفا والجبان وغيرها وصولا إلى صور».

رواية الشهود

ورغم أن تفاوت التقدير والتقييم بين الطرف المهاجم والمعتدي والطرف المدافع والمقاوم حول أهداف العملية ونوعيتها وثمنها، يبقى اللغز سيد الموقف.

فلا احد من الشهود الذين قابلناهم ولا حتى سكان المشروع يعرفون اسم صاحب الشقة التي دارت فيها معارك شرسة كما يدل حجم الحرائق والدمار داخل الشقة وفي محتوياتها.

والمسؤولون الذين استفسرنا منهم اكتفوا بالقول إن الشقة يسكنها مدنيون وان الموضوع ليس مالك الشقة بل الكومندوس الإسرائيلي.

سكان البناية يتحدثون لـ «القبس»

تفقدت المكان الذي دارت فيه الاشتباكات، التقيت بعضا من أفراد العائلات القليلة التي لا تزال صامدة في منازلها، وسألتهم عن مشاهدتهم للحدث.

الشقة التي شهدت الاشتباكات تقع في الطابق الأول من بناية تقع ضمن مجمع سكني كبير يضم نحو الخمسين بناية وأمامها بستان من الموز مساحته ٣ كلم٢.

أم عادلة سرور، التي تسكن في البناية المجاورة قالت «كانت ليلة مرعبة بحق أحسست أن آخرتي قربت ورحت أسبّح باسم الله وأدعو. لقد خفنا كثيرا، كان البيت يهتز بنا وكنا نسمع الرصاص والقذائف وكأنها تتفجر فوق رؤوسنا. لم



● موقع الاشتباك داخل المنزل

نصدق أننا سننجو فالاشتباكات بدت لنا وكأنها بين جيشين جبارين لم نشعر بشيء إلا والرصاص تحت نوافذنا والطائرات الحربية تحلق فوقنا وكأنها تقف على سطح البناية».

علي رحمة (٢٢ سنة) الذي يعمل سائق شاحنة يركنها عادة في كراج تابع للمشروع قال: «اعرف أن المنزل يسكنه مواطن يعمل أستاذا في مدرسة الاونروا في البص، لكن الشقة كانت خالية من سكانها في الفترة الأخيرة أي بسبب العدوان، لكن قبل يومين عرفنا أن أحدا ما ينام فيها».

رأيت من الشرفة قتيلا

وتابع علي «كنت عند صاحبي عندما بدأت الاشتباكات، خرجنا إلى البلكون لنتفرج وشاهدنا أعدادا كبيرة جدا من الجنود كانوا بلباس الجيش اللبناني ويضعون على رؤوسهم خوذات زيتية اللون. كان الرصاص

من كل صوب والأباتشي تمشط المنطقة وتقصف بين الحين والآخر. تحول المكان إلى جحيم حقيقي. رأيت شخصا يقع من النافذة بعدما قتلته رصاصة من الخلف» (من داخل المنزل).

أما علاء قاسم (٢٥ عاما) فقال «كانوا نحو ٢٠٠ عنصر لم ندر من أين جاءوا، سمعنا صوت الطائرات لاحقا بعدما بدأت الاشتباكات. رأيت أيضا بينهم صحافيين يصورون بكاميراتهم كل شيء وأطباء يداوون الجرحى قبل حملهم إلى الاباتشي».

غارات وهمية حولت البقعة إلى جبهة مرعبة

سبق عملية الكومندوس الإسرائيلية غارات وهمية نفذتها الطائرات الحربية أطلقت خلالها بالونات دخانية واخرى حرارية أو رمي قنابل مضيئة في اماكن متعددة ومتباعدة للتمويه عن المكان الذي ستتم فيه العملية بالتحديد.



● صورة السيد نصرالله في احدى غرف المنزل

هذه الغارات الوهمية كانت تكررت على مدى اليومين الماضيين، وابقت الصحافيين والإعلاميين مرابطين على تراس مطعم الاستراحة، حيث يمكن كشف مناطق واسعة من صور. رافق الغارات الوهمية انقطاع تام في التيار الكهربائي وتحليق مكثف لطائرات الاستطلاع والمروحيات على ارتفاع منخفض مما حول المكان الى جبهة قتال موحشة لا شيء فيها غير الترقب والظلام والتخمينات التي تأخذ الافكار يمينا ويسارا لكن باتجاه توقع الاسوأ.

6/8/06

صـــور (جنـوب لبـنان)



المواطن أشلاء فوق «عيش» المنكوبين ..

إعـدام دمـوي لأرغفـــة الـخبـز وحاملهـا

■ المسعف لـلطبيب فـوق نـعش أحد الـضحـايا:
مــهلا! مــعي مخ وكف وبـقـايـا جـمـجـمـة



اللبنانيون يُقتلون بالسلاح الإسرائيلي في كل مكان وزمان وكيفما كان!

في الصباح السادس والعشرين من صباحات العدوان السوداء، كان علي رضا غضبون، مواليد ١٩٥٩ من بلدة قانا في جنوب لبنان، ينقل بسيارته «الفان» من نوع تيوتا بيضاء اللون مؤونة من الخبز إلى القرى والبلدات، عندما اغتاله صاروخ أطلقته طائرة «أم كا» الإسرائيلية على طريق جسر القاسمية (٤ كلم شمال صور).

الصاروخ أصاب الشهيد علي برأسه مباشرة، وحوله إلى أشلاء تناثرت فوق أرغفة الخبز التي انتشرت من قوة الانفجار فوق ركام الدمار الكبير الذي يغطي المنطقة جراء القصف الإسرائيلي المتواصل عليها.

أما نزيه علي مطلق (٤٠ عاما)، وهو من بلدة يارين على الحدود الجنوبية، فكان خارجا من



● الشهيد علي رضا غضبون (مواليد قانا) تناثرت أشلاؤه فوق أرغفة الخبز ولم يبق سوى وثيقة الولادة والاسم والبلد والعمر!



● الجسد صار قطعا يحاول المسعفون تجميعها

محل بقالة في منطقة البص (مدخل صور) عائدا سيرا على قدميه إلى مسكنه في المدينة عندما اغتاله صاروخ آخر أطلقته أيضا طائرة «أم كا» (ربما هي ذاتها التي اغتالت بائع الخبز)، وهذه المرة تقطعت أطراف الشهيد، تمزق جسده بعشرات الشظايا الحديدية والمسمارية.

علي غضبون ونزيه مطلق مثالان عن عشرات المواطنين المدنيين الذين يُقتلون يوميا بفعل العدوان الهمجي المتواصل بدون هوادة، لا بل يزداد حدة وإجراما وفتكا يوما بعد يوم، ويستهدف المدنيين قبل كل شيء في عملية ابادة وحشية ومكشوفة.

الخبز.. لا أكثر

الشهيد الأول كان ينقل في سيارته الخبز للنازحين في صيدا. فلقمة العيش هذه تشكل بالنسبة لألوف مؤلفة من العائلات المنكوبة، الوجبة الرئيسية، إن لم تكن الوحيدة، في ظل الظروف الكارثية التي يعيشونها في المدارس أو في الحدائق العامة أو في ساحات البلدية وغيرها من الأماكن التي لا تتوافر فيها ابسط مقومات الحياة اليومية.

الطائرة الحربية «أم كا»، والمعروفة بأنها طائرة تجسس بالدرجة الأولى، ترصدت لقمة عيش اللبناني لتعوض فشلها في العثور على من تقول إنهم يطلقون صواريخ على إسرائيل. وفي مثل هذه الاعتداءات الدموية بعد آخر للحرب النفسية التي يمارسها هذا العدو الشرس ضد لبنان.

محاصرون بخطوط النيران

في البداية كانت الجسور والبنى التحتية والخدمات ثم المباني والمنازل السكنية، والآن كل ما له علاقة بمقومات الحياة التي بدأت تنفد شيئا فشيئا مع استمرار



● سيارة الشهيد علي غضبون وقد اختلطت دماؤه بارغفة الخبز

الحصار البحري والجوي والاستمرار في تقطيع أوصال المناطق بعضها عن بعض، ووصلت إلى حد قطع شوارع الأزقة والأحياء الداخلية.

اغتيال بائع الخبز، لا بل إعدام لقمة العيش، أضاف المزيد من الإحباط الذي يشعر به سكان مدينة صور، فهذه المدينة المحاصرة بخطوط من النيران الجوية والبرية والبحرية أول من يتلقى نزيف الجنوب المنكوب، وأول من يحتضن النازحين وهم في طريقهم إلى المجهول، وأول من عمل على تدعيم جسور الصمود، فأعطى المجلس البلدي أوامره إلى أفران المدينة ومخازن الطحين بالعمل ليل نهار لتلبية احتياجات الأهالي والنازحين والصامدين في القرى والبلدات المجاورة والبعيدة وأيضا النازحين في صيدا وإقليم التفاح وغيرها من المناطق التي تحتاج دعما في هذا المجال.

.. وتدمير الأفران!

وقبل إعدام أرغفة الخبز وحاملها على طريق القاسمية، كانت الطائرات استهدفت قبل أسبوع فرنا في مخيم الرشيدية في صور كان ينتج يوميا أكثر من ٣٥ ألف ربطة يتم توزيعها على النازحين وسكان المدينة والصحافيين وغيرهم من المتواجدين فيها.

بعض المصادر ووسائل الإعلام قالت إن موزع الخبز من كوادر حزب الله وكان على قائمة المطلوبين لتصفيتهم جسديا والكلام نفسه قيل بحق الشهيد نزيه الذي كان يحمل بيده قرصا من الجبن وعددا من حبات البندورة والخيار ربما لتحضير وجبة العشاء التي اعتاد معظم المحاصرين في صور على الاكتفاء بها كوجبة يومية.

لكن الأهالي الذين شاهدوا الجثتين الممزقتين، وعناصر الدفاع المدني الذين تولوا انتشالهما من موقع الإصابة، والأطباء الذين اشرفوا على إجراء تشريح سريع

لهما، اكدوا إن «الأمر لا يغير من الواقع شيئا ولا يغفر لإسرائيل فعلتها ولا يبرر إجرامها».
وأجمع الكل على ان في قتل مدني اعزل، مهما كان انتماؤه وبالطريقة الوحشية التي يرونها كل يوم «ما هو إلا استمرار لما بدأ به العدو الإسرائيلي ألا وهو حرب من اجل الابادة أولا وأخيرا».

.. حتى في كتب الكوارث

وقال حسين الكنة (٣٢ عاما - يعمل في الدفاع المدني) وهو يغطي ما تبقى من رأس الشهيد علي: «طوال مدة عملي في هذا المجال لم أر مثل هذا الإجرام ولا حتى في صوَر الكتب التي ندرس فيها أهوال الكوارث والحوادث العنيفة».
وقال طبيب في مستشفى صور الحكومي حيث توضع جثث الشهداء، بعد معاينتها، في نعوش بانتظار من يأتي لدفنها: «ما نراه يفوق العقل والتصور.. ما يصلنا بقايا إنسان وبقايا أعضاء نرتبك، نحن الأطباء الجراحين الذين مر علينا الكثير والكثير جدا، امام هول الحالات التي نضطر للتعامل معها في هذه الحرب الجهنمية».
وأضاف الطبيب الذي لم يتسن لنا السؤال عن اسمه: «إسرائيل اعتمدت منذ اليوم الأول لعدوانها أسلوب القتل والتدمير المنهجي، وفي الوقت نفسه القتل العشوائي والتدمير العشوائي محققة حربا ابادية لا هوادة فيها! أنا طبيب جراح اعمل في قسم الطوارئ ٢٤ ساعة في اليوم لم استلم إلا جثثا لمدنيين، اما عدد الجثث التي استلمها المستشفى والتي تعود لمقاتلين فتعد على أصابع اليدين».

الصحافي الأجنبي: يا إلهي!

صحافي أجنبي يعمل لدى إحدى محطات التلفزة الأميركية كاد يفقد توازنه وسيطرته عندما اقترب بعدسة كاميرته من جثة علي غضبون: «يا إلهي أمر لا يصدق مستحيل. ما هذا ما هذا؟ لا يمكن».
كان هذا الزميل القادم من وراء البحار ليشهد اكبر عدوان استنزافي وإجرامي في هذا القرن يصرخ باللغة الإنكليزية ويكرر ويهلوس، بينما كانت الكاميرا ترتجف بين يديه، ولما عجز عن التقاط صورة ثابتة للمشهد الذي يهتز له الصخر، فكيف بالضمائر الإنسانية، الى «انه (الشهيد) مدني، ثيابه مدنية ولا يحمل أي سلاح. لا شك أن له أطفالا صغارا، لا شك أن عائلته لا تعرف به حتى الآن غير معقول ما يجري».
هذا الزميل بدأ بعد ثوان، يصرخ بزملائه حتى يفسحوا المجال له لالتقاط صورة ولم ينتبه الى أنه يقف عند مسافة بعيدة إلا بعد أن رد عليه زميل آخر لم يستطع تحمل صراخ الأول «أنت اقترب وفرجينا مراجلك».

حوار فوق النعش

هذه الصورة الدراماتيكية، أو الهستيرية، توسعت فصولها بمجيء

عنصر من الدفـاع المدني بيده كيس اسود دار بينه وبين طبيب كان يشرف على إقفال احد النعوش الحوار التالي:

المسعف: تمهل لدي بعض الأشلاء جمعناها من موقعي الحادثين!

الطبيب بهدوء مذهل: ماذا لديك؟!

المسعف بهدوء أكثر إذهالا: معي مخ وكف وبقايا جمجمة.

الطبيب: اعطني المخ إلى هنا (نعش أمامه) هذه الجثة ينقصها ما تفكر به في العالم الآخر اما الكف وبقايا الجمجمة فتعود للجثة الثانية، لم أقفل النعش بعد هل هذا كل شيء؟!

المسعف: اعتقد نعم فقد أمضيت وزميلي أكثر من ساعة نجري مسحا دقيقا للموقعين، ولم نستطع البقاء لمدة أطول، فالطائرات الحربية تحوم فوقنا، وأنت تعلم أنها تغير على المكان نفسه أكثر من مرة. على كل، اكتفِ بما أحضرناه وغدا صباحا إذا كان الوضع هادئا نوعا ما، فسأمر لأتحقق بنفسي من أنني لم اترك شيئا.

الطبيب: يعطيكم ألف عافية شو بدك تلم وتلم الحمد لله انو في شيء يدل على أن الجثة كانت لبشري.

المشاهد تزداد فظاعة

القصف اليومي همجي بكل ما للكلمة من معنى، والعدوان المتواصل هستيري بكل جوانبه ومضاعفاته، والقصص التي يخلفها اغرب من الخيال والمشاهد التي اعتادت عدسات التصوير على تسجيلها تزداد فظاعة يوما بعد يوم والحوار الذي دار بين المسعف والطبيب على مسمع الجميع هستيري بمفرداته، واقعي بويلاته.. ورغم ذلك لم يأبه معظم الموجودين إلا بما كان يقرأه الطبيب من بطاقة هوية شخصية خاصة بالشهيدين: الاسم والبلدة والعمر.

هذا ما صار إليه من كان رب عائلة وإنسانا كانت له حياة حافلة انتهت قبل أوانها بعيدا عن الأحبة والبيت لتستقر في ثلاجة الموتى الخاصة بالمستشفى.

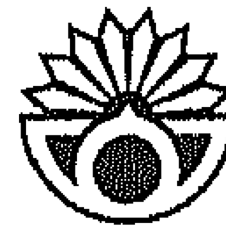


7/8/06

القاسمية (جنوب لبنان)

تدمير المعابر.. توسيع المقابر





بعد اقل من ٤٨ ساعة على عملية الإنزال التي نفذتها وحدة الكومندوس البحرية الإسرائيلية الخاصة «الشبيطت» على الشقة السكنية في مجمع الرز السكني الواقع عند مفرق جل البحر- العباسية، في جنوب لبنان، نفذت الطائرات الحربية أمس ثلاث غارات متتالية على المجمع نفسه مما أدى إلى تدمير ستة مبان تدميرا كاملا واستشهاد خمسة مواطنين وإصابة آخرين بجروح خطيرة.

ويتألف كل مبني من المباني الستة المدمرة من خمسة طوابق،



● مجمع الرز بعد تدمير ٦ من مبانيه

يتسع كل منها لشقتين سكنيتين شأن كل المباني الأخرى التي يتألف منها المجمع الذي يتجاوز الثلاثين بناية.

وتسببت هذه الغارات في شل حركة السير عند مدخل مدينة صور التي كانت قد عزلت تماما عن باقي أنحاء البلاد بفعل القصف الإسرائيلي الليلي والصباحي. فقد أحدث انفجار صاروخ ألقت به طائرة حربية عند ساعات الصباح الأولى حفرة كبيرة في وسط الشارع الرئيسي الممتد من مفرق جل البحر- العباسية إلى قلب المدينة. سبق ذلك غارة ليلية عند جسر القاسمية فسدت حفرة أحدثها صاروخ جوي الطريق الزراعي الذي كان المواطنون يستخدمونه لنقل البضائع والأدوية إلى صور وضواحيها بعدما كان القصف قطع الطريق الرئيسية خلال اليومين الأولين من العدوان الهمجي.

تاكسي بين الحفرتين!

وكان اغرب ما لاحظناه امس ان عددا من سيارات التاكسي بدأ ينقل المواطنين في المسافة الممتدة بين الحفرتين.

احد المضطرين للانتقال بسبب مشكلة عويصة تتعلق بأحد افراد عائلته الذين اصبحوا في «الجناح الآخر»، اجاب عندما سألناه عن اضطراره للانتقال بالتاكسي، وبشروط هذا الاخير: ما في اليد حيلة ها انا احمل طفلين على كتفي ولا ادري ما الذي حل باقاربي، وفي كل حال، انا اتابع على شاشات التلفزيون ما الذي يحصل في



● عناصر من الدفاع المدني يعاينون مكان الغارة في مجمع الرز



● فتاة لبنانية عبرت من القاسمية الى صور سيرا على الأقدام

الضفة الغربية او قطاع غزة، سياسة المعابر ينقلها أولمرت الى الطرقات الحيوية في جنوب لبنان.

وتتدخل في الحديث امرأة متقدمة في السن تكاد تقع ارضا بسبب وطأة الهموم فوق رأسها، وتقول بصوت متهدج: سياسة المعابر ام المقابر؟!

نتقدم من السيدة المسنة ونعاونها على المرور ان لم نقل: العبور، وكلنا اعجاب لسرعة البديهة التي لا تزال تتحلى بها رغم كل شيء، فيما تواصل القيادة الاسرائيلية اسكات جميع الاصوات، وترعب الناس بالانذارات ومنها قرار حظر تجول سكان جنوب لبنان (بعد العاشرة ليلا) تحت طائلة الانضمام الى المقطّعة اجسادهم وعظامهم على الطرقات او حتى امام المباني!

كنتُ عائدة من جولة تفقدية الى بعض القرى والبلدات الجنوبية عندما وقعت الغارة الأولى على مجمع الرز، مما اضطرنا الى الاحتماء في احد المنازل المحايدة عند جانب الطريق والمكوث هناك اكثر من ساعة ونصف الساعة لحين انتهاء الغارة الثانية واختفاء طائرة «أم كا» الاستكشافية الى حين وفي العادة تبقى هذه الطائرة في الأجواء تستكشف وترصد كل التحركات، خصوصا حركة وسائل النقل.

الغارة الاولى اسفرت عن تدمير مبنيين يضم احدهما الشقة التي سبق للإعلام الاسرائيلي ان اشار يوم السبت الماضي الى ان مسؤولا مهما في حزب الله كان يسكن فيها، وان عملية الكومندوس كانت بهدف اعتقاله، ثم اتت الغارتان الثانية والثالثة على المباني الاربعة الاخرى.

8/8/06

الجبين (جنوب لبنان)



علي حمزة:

أرادوا مساومتي على حريتي مقابل تسليم أولادي لهم!



كان الحاج علي عقيل حمزة (٧١ سنة) حزينا وغاضبا إلى أقصى الدرجات وهو يروي قصة اعتقاله على يد الجنود الإسرائيليين.

قال حمزة وهو يأخذ نفسا عميقا كان حبسه لثوان طويلة «أرادوا مساومتي على حريتي مقابل تسليم أولادي وسألتهم هل رأيتم أبا يسلم أولاده للذيب؟! أي عدو هذا أي جيش هذا أي بشر هؤلاء؟!»

وكان الجيش الإسرائيلي اعتقل حمزة قبل خمسة أيام اثناء توغله في بلدة الجبين (٢٢ كلم جنوب صور)، ثم أفرج عنه مساء الاثنين وسلمه إلى قوات الطوارئ الدولية في الناقورة التي سلمته بدورها إلى الجيش اللبناني الذي أوصله إلى أهله. كما اعتقل الجيش الإسرائيلي خلال عملية التوغل ذاتها، مواطنا لبنانيا آخر يدعى حسن نعيم عقل (٥١ سنة) لا يزال قيد الاعتقال وهو يعاني اختلالا عقليا ومشاكل صحية عديدة.

تساءل الحاج علي وهو يخبرنا قصة اعتقاله: «هل رأيتم جيشا يستقوي على عجوز ويهرب من المقاتلين الشبان ليختبئ داخل الدبابات؟! أنا رأيت الجبناء بعيني الاثنتين.. رأيتهم يرتجفون



وهم يعصبوني بقماش سميك حتى لا يروا نظراتي وكيف كانوا يشدون وثاق قدمي ويدي خوفا من حركاتي المتثاقلة».

وعن سبب تواجده في تلك البلدة المحاذية للشريط الحدودي حتى وقت اعتقاله قال: «أنا عجوز بما فيه الكفاية. أين اذهب بعيدا عن داري وارضي؟! كنت أنا وزوجتي (٧٠ عاما) وشقيقي الأرمل (٦٨ عاما)، نختبئ داخل الدار، فكّرنا أن العدو لن يجد فينا أي نفع يذكر وان لا خوف من بقائنا في منزلنا بدل الذهاب إلى الأقارب هنا وهناك، والناس في هذه الأيام لا يحتاجون إلى مصيبة إضافية اسمها العجائز».

ضرب وشتم وإهانات

واضاف «٢٠٠ جندي مدججون بالسلاح اقتحموا منزلنا وكنا نائمين، اقتادوني أمام زوجتي، ولم يأبهوا بصراخها وتوسلاتها ودموعها. عصبوا عينيّ وأوثقوا يديّ واقتادوني بطريقة التدفيش والضرب أمامهم والشتائم تلاحقني بالعربية! كيف يعاملون مسنا مثلي بهذه الحقارة؟! عرفت أن جاري حسن معتقل معي لكنني لم أتحدث معه. مشينا مسافة لا بأس بها لكنني كنت اعرف أنني لا أزال داخل البلدة وصلنا إلى مكان يشبه البيت لكن بدون نوافذ ولا أبواب، كنت اشعر بالهواء وبالضجيج من حولي، أجلسوني على الأرض ولفوا قدميّ بسلاسل حديد وشدوا وثاقهما بحيث لم أكن أقوى على تحريكهما ولو شبرا عن بعضهما».

«بعد مرور يومين أبقوني خلالها بدون طعام ولا ماء، بدأنا نشعر بان قذائف تصيب أهدافا قريبة جدا من موقعنا، عرفنا أنها كانت قذائف المقاومين.. الجنود كانوا خائفين جدا وأرادوا الانسحاب وأخذونا معهم بواسطة دبابة ربما إلى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة».

«أولادك مخربون»

وعما إذا كان اخضع لتحقيق ما، أجاب الحاج علي «في اليوم الثالث جاء محقق يتكلم العربية بطلاقة وسألني عن أولادي، قال: «أولادك الأربعة في حزب الله وهم مخربون سلمهم لنا فنطلق سراحك!».

«وقلت له أولادي كلهم رجال والصغير فيهم عمره ٣٠ سنة يعني أنا لست مسؤولا عن انتماءاتهم ولا خياراتهم، ثم أنا لا اعرف عنهم شيئا منذ بداية الحرب. لكن المحقق لم يكن يستمع إليّ وسألني كيف اسمح لأولادي بالانتساب إلى حزب الله؟ فأجبته إن فئة كبيرة من اللبنانيين تؤيد حزب الله وبعد هذا العدوان صار كل الشعب اللبناني معه».

سألته عن أحوال بلدة الجبين فقال: «عشرة مقاومين أبطال يواجهون ألوف الجنود الأشرار عمل بطولي يرفع رأس كل لبناني ويدفعنا للصمود أكثر وأكثر».

وعما يريد أن يفعله الحاج علي بعد هذه المحنة الصعبة التي مر بها قال: «أريد أن امضي اكبر وقت ممكن مع أولادي وأحفادي وأريد أن احضر زوجتي من البلدة. العدو لا أمان له ونحن عجائز تعبنا من المعاناة والاعتقالات».

«أيها الجنوبيون.. جيش الدفاع سيضرب أي سيارة تتحرك

صور (جنوب لبنان)



● يقراون المنشور الاسرائيلي الذي يحظر التجول ليلاً نهاراً

وحدها مناشير القتل والوعيد هي التي أبقت الصحافيين والإعلاميين بعيداً عن ملاحقة الأحداث الميدانية في الجنوب اللبناني.

فبعد قرار منع تجول بدأ من الساعة العاشرة من مساء الاثنين، استفاق سكان مدينة صور وضواحيها، جنوب لبنان، على مناشير موقعة باسم جيش الدفاع الإسرائيلي تحظر التجول بأي وسيلة نقل من أي نوع تحت طائلة التعرض للقصف.

هذه المنشورات التي وجدت مئات النسخ منها في الشوارع وعلى شرفات المنازل والأسطح، وجهت إلى المواطنين اللبنانيين المتواجدين في مناطق جنوب نهر الليطاني. وفي حين أن المناشير لم تذكر الصحافيين والإعلاميين بالاسم، غير أن الفقرة التي تقول إن «كل سيارة من أي نوع كانت تتحرك جنوب الليطاني ستقصف لأنها مشبوهة بنقل الصواريخ والعتاد العسكري والمخربين» أثارت خوفا في القلوب منع جميع الصحافيين من التحرك خارج حدود «استراحة صور» التي تضم اكبر تجمع إعلامي في لبنان.

وحدها سيارات الدفاع المدني والصليب الأحمر اللبناني تجرأت على الخروج. فنداء تلبية الواجب غلب تهديدات العدو. وخرج المسعفون يجوبون الأحياء والأزقة يتفقدون أهاليها ويستمعون لأجهزة النداء الآلي استعدادا لأي طارئ قد يحدث نتيجة غارة ما أو قصف أو حالات مرضى وما إلى هنالك.

والصحافيون الذين يضطرون لاستغلال كل الظروف المتاحة من أجل تأمين عملهم، استعانوا بسيارات الإسعاف والدفاع المدني لتوفير تنقلاتهم، لكن ضمن المدينة فقط،

لأن المخاطر تشتد صعوبة كلما اتجهت جنوبا.

أما من تعذر عليه الاستعانة بالمسعفين، فقد اختار السير على الأقدام ليقصد مطعما أو ليلتقط صورة أو للقاء أحد ما، لكن ضمن المحيط القريب.

أما الزملاء الذين يعملون لوسائل إعلام أجنبية، فقد سارعوا للاتصال بمكاتبهم ومسؤوليهم في عواصم العالم يخبرونهم بدقة شديدة عن المكان المتواجدين فيه، ويشرحون الواقع الذي تتمتع به «استراحة صور» حيث يتواجدون، مكررين أسئلتهم القلقة عما إذا كان المكان الذي تم تقييمه قبل فترة بالآمن لا يزال كذلك.

وعلمنا من بعض الزملاء بأن سفاراتهم ومكاتبهم أعادوا على مسمعهم ما يتمسك به كل الصحافيين المتواجدين اليوم في الاستراحة من أن المكان «يعتبر محايدا» لاعتبارات تدخلت في تثبيتها كل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر والقوات الدولية بالإضافة إلى المؤسسات الإعلامية الأميركية والبريطانية الكبيرة الـ«سي أن أن» والـ«بي بي سي» والـ«سي بي أس» والـ«فوكس نيوز» التي لها مراسلون ومصورون في صور.

وفي حين استغل معظم الصحافيين والإعلاميين فترة حظر التجول للراحة وإنهاء بعض الأعمال المؤجلة مثل غسل الثياب الخاصة وتنظيف الغرف (خدمة الغرف موقفة في الاستراحة) وحتى المخاطرة والسباحة في البحر طمعا ببعض التمارين التي تخفف بعضا من التوتر، فان التهديد الإسرائيلي لم يحمل جديدا للمواطنين العاديين من سكان صور الذين غادر أكثر من نصفهم المدينة. فهؤلاء ومنذ بداية العدوان الإسرائيلي قبل نحو شهر وهم محبوسون في المنازل. محالهم التجارية مغلقة وأعمالهم معلقة ووظائفهم في عطلة حتى إشعار آخر. كما أنهم لم ينتظروا مثل تلك المنشورات ليحتاطوا من طائرات التجسس الإسرائيلية التي اصطادت أمامهم بصواريخها أكثر من ستة مواطنين في أسبوع واحد.

وكما قال احد الباعة، يدعى أبو فادي، ويملك بقالة لها باب يفتح على إحدى غرف منزله «إسرائيل لا تحتاج إلى منشور لتقتل.. ولا تنتظر منا الإصغاء أو المعاندة لتقرر مصيرنا.. إنها تتحكم بأرواحنا كما تريد وتمارس عدوانها بدون أن يقترف اللبنانيون أي ذنب.. تريد حبسنا في المنازل؟! فليكن، لكننا لن نركع لها لتفتح لنا الأبواب.. هي من اعتدت وهي من تحتل أراضينا ونحن نعرف كيف نقاومها ونفتح أبوابنا بأنفسنا».

صاحبا مطعمي اسكندر وساليناس، وهما الوحيدان اللذان تجرآ وفتحا أبواب محالهما، علقا على حظر التجول بالقول «الناس بدها تأكل ولا تريد أن تموت من الجوع بعد أن تنجو من القصف.. العمل جهاد ومقاومة ولهذا لن نخذل من يطرق أبوابنا».

المنشورات التي خطفت صباح صور زادت من وحشة المدينة التي تعاني حصارا محكما منذ صباح الاثنين، وباتت طرقاتها معزولة كليا عن المحيط الخارجي بفعل القصف والغارات المتواصلة ليل نهار.

نص المنشور الإسرائيلي:

إلى المواطنين اللبنانيين المتواجدين جنوب الليطاني:

اقرأوا هذا البيان بتمعن واعملوا حسب توجيهاته

سيصعّد جيش الدفاع الإسرائيلي عملياته وسيضرب ببالغ القوة العناصر الإرهابية التي تستخدمكم كدروع بشرية وتطلق الصواريخ من داخل بيوتكم باتجاه دولة إسرائيل.

كل سيارة ومن أي نوع كانت تتحرك جنوب الليطاني ستقصف لأنها مشبوهة بنقل الصواريخ والعتاد العسكري والمخربين.

عليكم أن تعلموا أن كل من يتحرك بأي سيارة كانت يعرض حياته للخطر

دولة إسرائيل



● رئيس البعثة الدولية جاكو كالين برغر عند جسر القاسمية المدمر

جسر خشب أمل
١٠٠ ألف جنوبي محاصر

صور (جنوب لبنان)



«عبرت على جسر خشبي».

هكذا وصل رئيس البعثة الدولية للصليب الأحمر في جنيف جاكو كالين برغر إلى صور في جنوب لبنان أمس، كما اخبرنا هو بنفسه في مؤتمر صحفي سئل خلاله عن كيف

ستتمكن اللجنة الدولية من إيصال المساعدات إلى الجنوب فيما جميع الطرقات والمنافذ مقطعة الأوصال.
والجسر الخشبي الذي تحدث عنه برغر كان للعبور فوق حفرة أحدثها صاروخ جوي إسرائيلي أدى إلى قطع الطريق الزراعي عند جسر القاسمية الذي كان يستخدم لنقل البضائع والأدوية إلى صور وضواحيها بعدما كان القصف قطع الطريق الرئيسية خلال اليومين الأولين من العدوان الهمجي.
وتحدث برغر عن اولويات عمل اللجنة الدولية في لبنان في ظل الظروف الراهنة، وتتلخص بفتح معابر حيوية آمنة لنقل المساعدات الغذائية والطبية للمدنيين الباقين في قرى وبلدات الجنوب والذين قدر عددهم بمائة ألف مواطن، معظمهم من الأطفال والنساء، يعانون ظروفا أمنية وصحية وغذائية في غاية الصعوبة كما قال.

المطلوب حلول ولو آنية

ووصف الوضع الأمني والاجتماعي في لبنان «بالحساس والخطر»، وأشار إلى أن الوضع في الجنوب أكثر خطورة بسبب عزل المناطق عن محيطها الخارجي، كما حذر من تزايد المخاطر إذا لم يتوصل الفرقاء المعنيون إلى حلول ولو آنية بالسرعة المطلوبة، وأضاف «الوضع في الجنوب كما اطلعت عليه دراماتيكي وبائس».
وذكر برغر أن فرقا من البعثة الدولية استطاعت الوصول أمس إلى بلدات عيترون وحولا وميس الجبل ويارون، واجلوا عددا من المدنيين، بينهم ٢٠٠ طفل، الذين كانوا لا يزالون عالقين هناك.
وقال «للأسف الشديد إننا لم نوفق في إقناع الإسرائيليين بالسماح لنا بنقل مؤن إلى تلك القرى التي وصلناها، رغم أن الناس هناك في أمس الحاجة إلى كل شيء بدءا من الماء والطعام والدواء، وصولا إلى الرعاية الصحية وما إلى ذلك»، مشيرا إلى أن أربع بواخر محملة بمختلف المؤن والأدوية والمساعدات الإنسانية في طريقها من لارنكا إلى الشواطئ اللبنانية، «وإذا ما استطعنا تأمين الطرق اللازمة فسنعمل على إيصال حصص الجنوب في أسرع وقت ممكن».
ولدى سؤاله عن كيفية إيصال تلك المساعدات قال «أنا شخصيا عبرت اليوم من على جسر خشبي لأقطع حفرة طولها ١٠ أمتار وعرضها ٧ أمتار لأصل من بيروت إلى صور»، في إشارة منه إلى أن اللجنة الدولية ستفعل كل ما في وسعها لتذليل كل العقبات التي قد تعترض طريقها.
وخلال المؤتمر الصحفي تعرض برغر لأكثر من سؤال محرج حول إمكانات تحرك منظمة دولية مثل الصليب الأحمر، وكيف أنها لا تستطيع ممارسة أي ضغط على إسرائيل في وقت ينظر العالم إلى الصليب الأحمر والأمم المتحدة على أنهما المخلّص والحامي خصوصا في مثل هذه الظروف.
وقد تجنب رئيس البعثة الدولية الإجابة

المباشرة بتكرار وعــود بأنه سيفعل كل ما في وسـعه من اجل مـصلـحـة المـدنـيـين اللبنانيين، مشيرا إلى انه سيزور إسرائيل اليـوم (الأربعـاء) ويأمل بنتـائج ايجـابيـة لمحادثاته هناك.

يصرخون تحت الركام

كـمـا راح بعض المشـاركـين في المؤتـمـر يحشرون برغر بأسئلة حول ما الذي يمنع منظمة دولية من تقديم المساعدة اللازمة لانتشال أحياء يصرخون من تحت ركام منزل دمر على رؤوس أهله بفعل القصف الإسرائيلي؟! وأثار احد الصحافيين موضوع المدنيين الجرحى الذين لا يزالون تحت أنقاض مبنى المبرة في معروب يصرخون طالبين النجدة بينما فرق الدفاع المدني عاجزة عن الوصول إليهم بسبب الطيران الحربي وحظر التجول.

9/8/06

العباسية (جنوب لبنان)



ما الذي يدعو هؤلاء الجنوبيين الى التشبث بالبقاء؟

وراء كل خبر عن مجزرة يسببها القصف الإسرائيلي سؤال بديهي يتكرر: لماذا بقي هؤلاء الضحايا في منازلهم؟! لماذا لم ينزحوا؟! ماذا كانوا يفعلون؟! وكأن التهجير أمسى فعلا لا بد منه إذا ما أراد المواطن اللبناني المحافظة على حياته.

أهالي قرى الجنوب وبلداته ينزحون إلى صور أو صيدا، وأهالي صور ينزحون إلى بيروت، وأهالي الشياح ينزح بعضهم إلى مناطق بيروت الكبرى، وأهالي العاصمة بعضهم اما هاجروا إلى خارج البلاد وإما انتشروا في الجبال والمناطق الشمالية.

دورة تهجير ونزوح لا تنتهي، وكذلك عمليات القصف، فالذي يحدث يوميا في لبنان ومنذ بدء العدوان الإسرائيلي، لعبة موت لا حدود لها. وفي مقابل هذه اللعبة الدموية حكايات صمود وإصرار على المواجهة لا تفهم مغزاها تماما ولا تستطيع الإلمام بكل أسرارها ومقوماتها.

دورة مجازر

وراء كل صامد في وجه آلة الموت الإسرائيلية، خصوصا في القرى والبلدات في جنوب لبنان، حكاية إنسان له رؤية خاصة عن معاني الوجود، ومفهوم متوارث عن الكرامة والبطولة والحرية، وأكثر من سبب وسبب يجعله يتمسك بالمكان الذي ولد فيه وترعرع حتى لو كان الموت نتيجة لهذا الإصرار.

«أم وثلاثة أطفال لا يزالون يعانون تحت أنقاض مبنى مبرة السيد محمد حسين فضل الله في معروب» (١٠ كلم شرق صور)، «غارة على مجدل سلم تدمر منزلا فوق رؤوس سكانه»، «استهداف سيارة تقل



العباسية مقفرة

مدنيين بصاروخ على طريق الجنوب».

هذه بعض أخبار المجازر التي وقعت خلال الثماني والأربعين ساعة الأخيرة في جنوب لبنان، والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان بعد الاستفسار عن عدد الضحايا والجرحى هو: ماذا بقي هؤلاء يفعلون في تلك البقعة من الجحيم المفتوح؟!

بينما كنت استعد للخروج من استراحة صور لبدء الجولة في القرى دوّى الصوت القوي، نظرت يمينا فإذا بالدخان يتصاعد عاليا في السماء، لم أعرف المنطقة التي أغارت عليها الطائرة لكنها في ضواحي صور. إذن القصف متواصل لليوم الثامن والعشرين دون هوادة، هل ألغي المسير إلى القرى المجاورة؟!

العباسية أنت في عالم آخر!

بالطبع، كان في اختيار الاستمرار في قرار رؤية ما جرى هناك حيث تتصاعد أدخنة الصواريخ والقذائف ليلا ونهارا مجازفة ما بعدها مجازفة، لكن الفضول ينادي أي صحافي حتى إلى المخاطر.

جلست في سيارتي ومعي مرافقي الذي سيتولى إرشادي إلى الطرق التي تعرف «بالآمنة نسبيا» أي تلك التي لا تستهدف كثيرا بالقصف، لكنها أخذت قسطا غير قليل لا تزال آثاره محفورة وسط الطرقات وفي هياكل المباني والبيوت المدمرة.

اتجهت سيارتنا في الشوارع المقفرة نحو جنوب «الداخل» وكل اتكالنا على الله، ويافطة الصحافة التي حرصنا على تثبيتها بأحرف إنكليزية واضحة وفي كل الاتجاهات. عبرنا الخط البحري لصور التي باتت مقطوعة تماما عن شمالها (صيدا وبيروت) كانت الوجهة بلدة العباسية التي تعرضت لقصف قوي ليل الأحد الاثنين.

دوت أصوات شديدة أكثر من مرة. نظرت خلفنا، فإذا بجبل من الدخان يرتفع. لا مجال للتوقف أو حتى العودة من منتصف الطريق. نكمل المسير، الطريق خالية بطبيعة الحال. ثمة بقايا سيارات على جانبيها باتت جزءا من المشهد الذي لا ينتبه إليه أحد، لكن حين اقترينا من مفترق شبريحا أحسست وكأنني صرت في بلد آخر.

قهوة الصباح

يرتفع الغبار عند الطريق الترابية، وحين ينتهي، نمر في طريق إسفلتية تمر في قلب مقبرة القرية، نعود إلى التراب ونصل إلى منزل علي المالكاني (٥٥ سنة) في العباسية. كان علي (أبو حسين) يجلس على شرفة منزله الذي ينتصب وحيدا عند مدخل البلدة يرتشف قهوة الصباح غير عابئ بهدير الطيران البعيد وصوت الانفجارات على التلال المجاورة. يبدو البيت مكشوفاً وهدفا سهلا ومغريا لطائرة، خصوصا بعد أن اخبرني انه وزوجته فاطمة الجمل (٥٣ عاما) أمضيا ليلة صعبة وتساقط زجاج البيت عليهما عندما أغارت الطائرة على مبنى سوبر ماركت البلدة ودمرته كليا. مثل

هذا التفصيل بات بسيطا أمام أخبار الموت اليومية المخيفة. أولاد علي وأحفاده في بيروت، لكنه مصر على البقاء في رزقه، لا شيء رسميا يضمن أن هذه الرحلة آمنة، وليس الوقوف في ساحة البلدة المقصوفة خياراً آمنا بالطبع.

الضيافة رغم مرارة الحصار

دخلنا المنزل، فاستقبلتنا أم حسين بالترحاب وأسرعت إلى المطبخ لتحضر القهوة.

لا داعي للتكليف، قلت لها، فأجابت بسرعة استثنائية: «خير الله كثير. صحيح نحن محاصرون بالنار والدمار لكننا بألف خير طالما نحن في بيتنا وإذا كنتما لا تحبان القهوة احضر الشاي بسرعة».

بدا مطبخ أم حسين وكأن الأشياء فيه قد استيقظت قبل الفجر. كل شيء مرتب ونظيف، الخضار مغسولة ومتروكة في أوان خاصة لتجف، وعلى الطاولة بعض من الحمص المنقوع في الماء منذ الليلة الماضية، وبعض من الباذنجان المقشر وحبات من البندورة المقطوفة صباحا من الأرض، فسيدة البيت تعد لطبخ «مصقعة الباذنجان»، قالت لي وأضافت «ستبقين هنا لنتناول طعام الغداء معا، عندنا ما يكفي لعشرة أشخاص وأنا أعدها بطريقة شهية جدا».

شكرتها على وعد أن افعل ما بوسعي للعودة الى الغداء إذا ما أنهيت عملي باكرا.

كان أبو حسين لا يزال جالسا على الشرفة دعاني قائلا «لا تخافي لو أرادت الطائرة أن تقصفنا لفعلت إذا كنا في الداخل أو الخارج، تعالي انظري إلى المناظر الطبيعية من هنا كم هي جميلة».

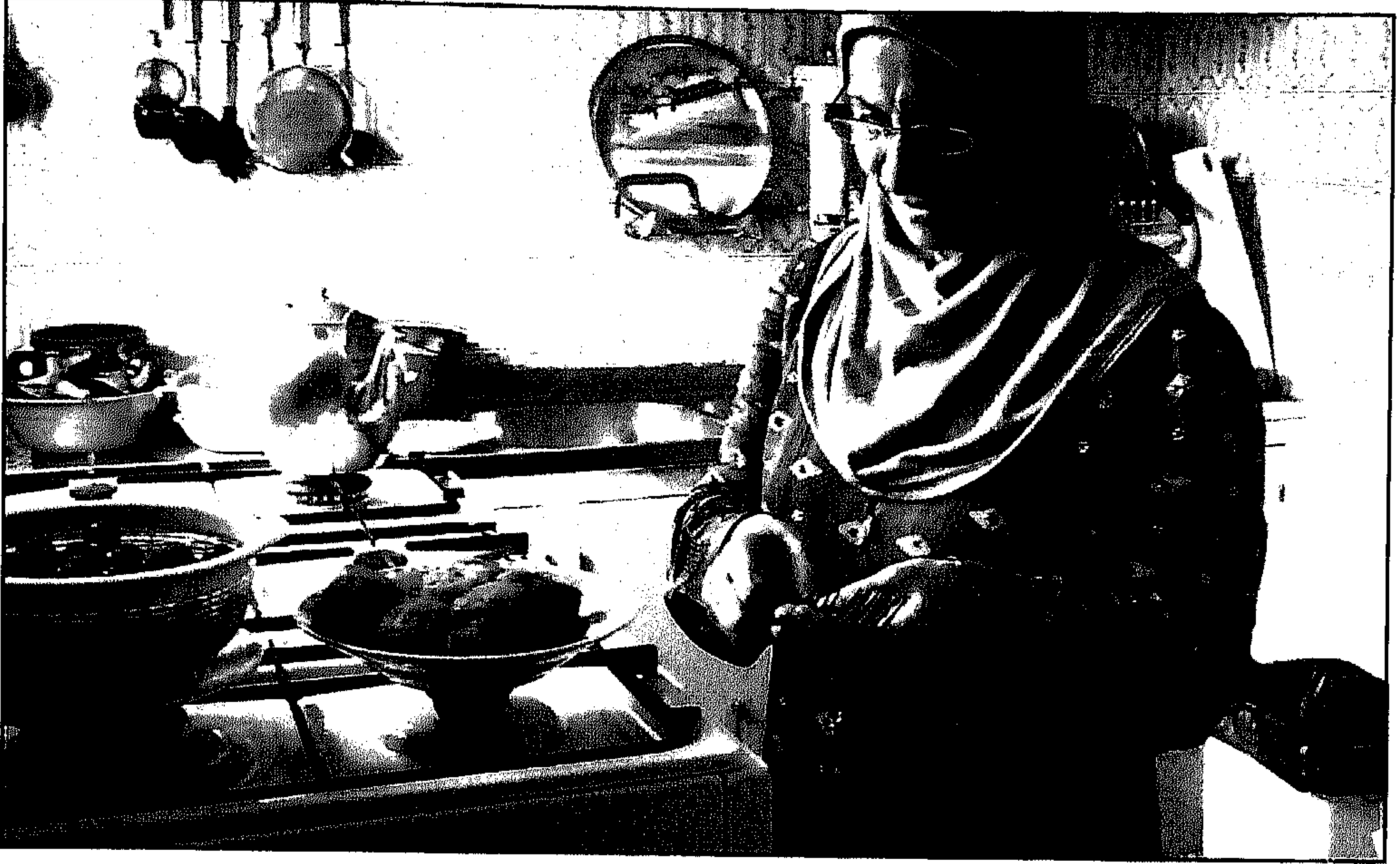
قبل الحرب وبعدها

«قبل الحرب كنت أدير مقهى صغيرا في وسط البلدة ولديّ أيضا فرن تتولى زوجتي إدارته، اما في الحرب فكما ترين، نقضي معظم الوقت في المنزل أو نجتمع مع من بقي من الجيران في الساحة نتبادل الهواجس والأحاديث السياسية ونحلم بالمستقبل بصوت عال».

بلدة العباسية يبلغ تعداد النفوس فيها نحو ١٥ ألف نسمة، النسبة الكبرى منهم في المهجر والباقون يعملون في زراعة التبغ وبعض أعمال النجارة والحدادة وزراعة الحمضيات، اما من بقوا اليوم في البلدة بسبب العدوان فلا يتعدون الـ ١٢٠ شخصا فقط.

المفاجأة كانت عند سؤال أبو حسين عن قراره وزوجته البقاء رغم المخاطر المحيطة بهما، فعلي وفاطمة، وهما الأسيران المحرران من السجون الإسرائيلية، باقيان لتسجيل فصل آخر من البطولات والتحدي والشجاعة في وجه عدو يقولان إن لهما معه «طارا» (ثأراً) لا بد من أخذه.

والمالكاني اللذان من المستحيل عليهما حمل السلاح وهما في مثل هذه السن لم يجدا سبيلا لمجابهة من اذاقهما ويلات المعتقل إلا الصمود والحرص على أن



● فاطمة المالكاني في منزلها في العباسية تعد ما أمكن من الطعام رغم ظروف الحصار

يكونا «أول من يحتفل بحلاوة النصر الجديد»، وهما متفائلان، لا بل متأكدان من انه «آت لا محالة».

أم حسين وطائرة «أم كا»

إذاً، إنها مكابرة أم عناد؟!

«لا أبدا» قالت أم حسين وهي تدخل علينا بصينية كبيرة عليها ركوة من القهوة التركية فاحت رائحتها الشهية في الشرفة والى جانب فناجين القهوة أبريق شاي وكاسات وسكر وصحن من الفاكهة فيه صبير وخوخ وإجاص.

«اعذرونا، لم نتشجع على الخروج هذا الصباح لقطاف التين والعنب» ثم نظرت نحو السماء وقالت وهي تضحك: «جاءت الحلوة أم كامل كأنها شمت رائحة القهوة».

وتقصد أم حسين طائرة التجسس الإسرائيلية «أم كا» التي تجوب الأجواء اللبنانية دون توقف ترصد وتصور وتقصف أحيانا بعد تزويدها بصاروخين يوجهان عن بعد ويصيبان الهدف بدقة لا متناهية.

وتابعت أم حسين «بقاؤنا هنا قبل أي شيء تعلقنا بالأرض التي قدمنا من اجلها الدم والكثير من التضحيات، وإذا كتب لنا عمر وعشنا فسنعيش بكرامة وعزة لأننا لم نترك بيتنا».

بين البقاء والرحيل

يعني من نزح وهجر سيكون مختلفا عنكما، سألتهما فأجاب أبو حسين «وجودنا دعم متبادل للمجاهدين والمدافعين عن الأرض، اما بالنسبة للذين رحلوا فلكل واحد ظروفه ومصالحه، أنا شخصيا حاولت أن اقنع آخرين بالبقاء، وآخرون حاولوا إقناعي

بالرحيل. كل واحد عمل حسب قناعاته وإمكاناته وظروفه. كنت أقول لهم لمن تتركون أرضكم؟ الوجود على ارض تتعرض للعدوان يصبح ما بعد الحرب نصرا».

وتستدرك أم حسين قائلة «من نزح وتعذب خارج منزله وتعرض لما تعرض له هم مجاهدون أيضا لكن الأفضل أن يبقى المرء في منزله وأرضه. البقاء أمام هذا العدوان الهمجي عز وبطولة وليس انتحارا، الانتحار ليس مألوفا في قاموسنا، الاستشهاد نعتز به اما الانتحار فلا نعترف به.. انه زمن الكرامة والعزة والانتصار».

الفرحة بالبنات الثلاث

والمفاجأة الثانية كانت إجابات آل المالكاني على سؤالي عما إذا كانا شعرا بالخوف لحظة قصف السوبر ماركت التي تبعد بضعة أمتار عن منزلهما وبماذا كانا يفكران في تلك اللحظات العصيبة؟

قال أبو حسين «كنت سآسف كثيرا لو أصابني أي مكروه يمنعني من فرصة الانتظار والمشاركة بعرس التحرير الجديد الآتي لا محالة».

وسألت أم حسن عما إذا فكرت في أن إصابتها بأي مكروه كانت ستمنعها من الفرحة ببناتها الثلاث اللواتي لا يزلن عازبات فقالت «بالطبع فكرت كم سأشتاق إليهن وكم أنا الآن اشتاق إليهن لكن الله متكفل بهن»!

وكيف يحتمون من القصف والمنزل متهالك بسبب الحروب الماضية قالت أم حسين «في العادة نترك المنزل وننزل إلى الساحة، الموت واحد لكن الأفضل ألا تبقى جثثنا تحت الركام، جيراننا وأولادهم الثلاثة لا تزال جثثهم تحت الركام منذ ٢١ يوما»!

خيرات الأرض

قررت أن أقوم بجولة في البلدة: منازل مهجورة، أبواب مشرعة وأخرى مخلوعة. ترى ما كان يفترض أن يبقى مستورا داخل خزانات الثياب والاشياء الخاصة. سجادات للصلاة تركت مفروشة على الارض، صحون وبقايا من الاطعمة المتعفنة، قطط وكلاب تجوب الازقة تقف عند مداخل البيوت لثوان فقط وتتابع سيرها فلا شيء بقي للصيد، عجوز يتثاقل بمشيته وسط حقل من الخضروات يحمل ثلاث حبات باذنجان بيده اليمنى وباقة من النعناع والبقدونس والكزبرة بيده اليسرى، انها غلة الغذاء اليومي فالأهالي الباقون في العباسية يعيشون من خيرات الأرض ولا شيء آخر والخبز يتم تحضيره على الحطب.

إسرائيل وحدها تقرر

عند زاوية احد الأزقة كان هناك خمسة رجال وثلاث نسوة في العقد الخامس والسادس يتحدثون في السياسة ونتائج اجتماع وزراء الخارجية العرب في بيروت وقرارات مجلس الأمن المرتقبة.

«كل هذا كلام فاضي وحشو. المهم مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر. هم وحدهم من

يقرر مصير العرب» قال احد المتجمعين، فردت امرأة يبدو أنها زوجته «قمة عرب أي عرب يا عمي؟! ما عاد فينا قدرة على الصبر. اللي مررنا به لم يذقه النبي أيوب، والله حرام اللي عم يصير بأطفالنا وشبابنا»

وساندتها جارتها «الله يسترنا من اللي جاي يعني بطوننا عفنت من الأكل الجاف وصدورنا ضاقت من السجن اللي نحن فيه».

العشب ينبت بين الأنقاض

بجانب هذا الصمود والمكابرة والبطولة يكمن حزن كبير يصبغ جدران منازل العباسية المشتاقة لأهاليها، ويدوي في شوارعها التي بدا العشب ينبت على جانبيها، ويكاد يلون الهواء ويدخل الزوايا مع الأنفاس.

بحثت عن ملجأ آمن خاص بالبلدة فلم أجده، تذكرت كلام آل المالكاني عن هروبهم إلى الفناء. سألت عن مستوصف البلدة «لا يوجد وبالطبع لا يوجد مستشفى. اقرب مركز صحي موجود في صور» يا إلهي! على ماذا يراهن هؤلاء ببقائهم هنا؟! كيف يمكن فهم ما يفكرون به؟! كيف يمكن توصيف هذا الارتباط بالأرض والدار؟! ماذا يمكن القول عمن جبل تراب منزله بعرق جبينه وعرق أطفاله؟!

إنهم الصامدون في ارض المعركة، إنهم الداعمون، إنهم أصحاب الأرض وأبناء الوطن. إنهم المكابرون على الآلام والجراح. إنهم من لا يسعك إلا الدعاء لله أن يحميهم ويلطف بهم إنها العباسية، وانه الجنوب.

10/8/06

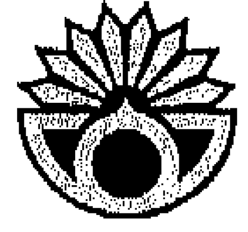
تبنين (جنوب لبنان)

مستشفى تبنين الحكومي

TEBNINE GOVERNMENT HOSPITAL

جولة في أرض الممنوعات الإسرائيلية

مستشفى تحول إلى ملجأ للبائسين



أن يتحول مستشفى حكومي مثل مستشفى تبنين إلى ملجأ للنازحين بعيدا عن جحيم العدوان وصواريخه وطائراته يعني شيئا واحدا فقط، ألا وهو انه لم يبق لهؤلاء ما يملكون غير الروح.

قررنا اختراق حظر التجول الذي يفرضه الجيش الإسرائيلي على مناطق جنوب الليطاني والانضمام إلى قافلة منظمة «أطباء بلا حدود»، خصوصا عندما تكون الوجهة هي القرى والبلدات الحدودية في الجنوب اللبناني.

حكيم غادري، الجزائري المسؤول عن «أطباء بلا حدود» في منطقة صور، يجلس في سيارته ومعه زملاؤه في المنظمة. تنطلق السيارتان ترفعان اسم الأطباء، وتنضم إليهما سيارتنا التي



● لاجئة من عيتا الشعب واختها تغطي وجهها لا تريد الصحافة

كانت تقل أيضا زملاء في تلفزيون «العربية» وجميعنا محتمون بملصق "PRESS" أو صحافة.

صباح مثقل بالأخبار والهموم

كان صباح الجنوب ثقيلا في هذا اليوم. فخبر بدء الاجتياح البري ومضي إسرائيل قدما في توسيع عملياتها وعدوانها، اختصر ساعات الليل بمراقبة شاشات التلفزة ومتابعة الإذاعات، فأطلّ الصباح كئيبا، مغموما، مهموما، وحزينا، حتى السماء لم تنقشع فيها الغيوم عن أشعة شمس أغسطس التي تكون في العادة حادة وحارقة. أما البحر فسجّل امتعاضا واعتراضا بهيجان وتلاطم أمواج غير معهود لأحوال بحر صور في مثل هذه الأيام من السنة.

اجتزنا الخط البحري من الاستراحة إلى مفرق الشبريحا بسرعة شديدة. فطائرات التجسس الإسرائيلية تذرع المكان ذهابا وإيابا بحثا عن هدف لا أوصاف ثابتة له. مرة يكون بائع خبز داخل سيارته، ومرة أخرى يكون فتية على دراجاتهم النارية، وتارة سيارة تقل عائلة نازحة بينهم أطفال ونساء.

الوجهة هي بنت جبيل، البلدة التي شهدت وتشهد أعنف المعارك وأكثر من محاولة إنزال على تلالها ومداخلها.

«مستشفى بنت جبيل بحاجة ماسة إلى معونات طبية طارئة. الجرحى والمرضى هناك قد لا يستطيعون الصمود لحين فك الحصار الهمجي»، قال حكيم غادري



● نور حمزة تلعب ورفيقاتها في احدى غرف المستشفى

محاولا أن يبث المزيد من التشجيع في قلوب زملائه المرافقين له وأيضا في قلوبنا «نحن نكمل بعضنا البعض»، قال حكيم ويقصد وسائل الاعلام وهيئات الإغاثة وأضاف «هم يصنعون الحروب والمجازر ونحن لا نمل من إعادة بناء السلم».

حاصر حصارك

إذن، كان لا بد من محاصرة الحصار. قررنا الاستماع إلى صوت الضمير والقلب والتفكير فيمن سيكون في انتظارنا على أحر من الجمر. نجحنا لدقائق قصيرة فقط في نسيان صوت الطائرة فوق رؤوسنا وكأنها تتبع خطواتنا خطوة خطوة ولكن سماع صوت دوي قوي بالقرب منا أعادنا



● غرف مستشفى تبنين منازل مؤقتة

إلى أرض الواقع. تذكرنا أن هناك حظرا مفروضا على كل مركبة مهما كان نوعها يمنعها من التحرك في كل مناطق الجنوب. الطرقات تكاد تتشابه أينما توجهت. والمشاهد، وان كانت تتجدد كل ساعة، فإنها تتكرر في كل مكان.

قصف وتدمير، ركام منزل أو مدرسة أو محطة وقود، سيارات محترقة لا تدري إذا كان بداخلها جثة أم لا، حفر واسعة تقطع عليك الطريق، تدور لتختار مفترقا آخر فتفاجئك حفرة اكبر فتعود إلى الأولى وتبدأ بتجميع بقايا حديد وأشجار تضعها فوق بعضها البعض لتسوي معبرا صغيرا يساعد على متابعة المسير.

جويا الجميلة والخالية

من الشبريحا تدخل العباسية المقفرة إلا من ١٢٠ شخصا لا يزالون صامدين بأقل الإمكانات ومقومات البقاء، بعد ذلك تعبر معركة، أول محطة لأطباء بلا حدود حيث افرغوا حمولة من الأدوية وبعض المساعدات الإنسانية في مخازن البلدية، ومن هناك تتابع المسير بجانب مفرق باريش إلى جويا التي لا تزال مبانيها المرموقة والمزهوة الوجه المشرق مقابل بسمة الدمار.

جويا خالية مثل العديد من البلدات وكل شيء مقفل ومهجور وموحش رغم الهواء المنعش والطقس المعتدل، كذلك بدت الشهابية حيث صادفنا ثلاثة أطفال على قارعة الطريق وهم يلهون بأسلحة خشبية، انه مشهد غير مألوف مع الصمت المخيف الذي كان يغلف كل شيء، ووجوه هؤلاء الأطفال التي لمحناها على عجل كانت لآخر بشر رأيناه طوال رحلتنا عبر كفردونين

وخربة سلم والسلطانية، مرورا بالجميجمة وصفد البطيخ.

الجحيم في بنت جبيل

اضطررنا الى التوقف في تبنين، فالطريق إلى بنت جبيل مستحيلة مع تزايد حدة المعارك هناك ومحاولات الجيش الإسرائيلي تنفيذ عمليات إنزال طوال الليل.

«لن تستطيعوا المرور، الأفضل أن تعودوا أدراجكم قبل المساء»، قال لنا محمد صالح العسيلي (٦٦ عاما) الذي نزح من بلدته رشيف (قضاء بنت جبيل) إلى تبنين قبل يومين فقط.

«كأن الجحيم انفتح في بنت جبيل وضواحيها، إنهم (الإسرائيليون) يعتمدون أسلوب التدمير المتتالي، أي يدخلون قرية ما ويبدأون بتدمير المنازل واحدا تلو الآخر» وهذا ما يحدث في حداثا وحاريص وبيت ليف وغيرها حيث تنفذ إسرائيل سياسة الأرض المحروقة.

كان علي لا يزال صامدا وحده دون أهله وعائلته الذين نزحوا باكرا إلى بيروت، بقي حتى يسقي زرعه في رشيف معتقدا انه سيبقى بعيدا عن خطر القصف الذي تسبب في هدم منزله فوق رأسه ونجا هو بأعجوبة، لكنه أصيب بشظية في قدمه اليمنى.

هذا كان اسمه مستشفى!

اعتقدت أن محمد العسيلي يعالج في مستشفى تبنين، حيث التقينا به امام مدخله حاملا ثيابه في كيس وينتظر من ينقله إلى اقرب نقطة يستطيع منها الوصول إلى أولاده.

لكن المفاجأة الكبرى كانت في أن المستشفى متوقف عن الخدمات الطبية والأطباء تركوه وكذلك الممرضون والممرضات، ليتحول إلى نزل لجأ إليه، على دفعات، أكثر من ٦ آلاف نازح منذ بداية العدوان، وفدوا إليه وأقاموا فيه مؤقتاً من مختلف القرى والبلدات المجاورة، خصوصا من بنت جبيل وعيترون وعيناتا ويارون وعيتا الجبل، وأخيراً شقرا وبرعشيت ومجدل سلم مع توسيع الجيش الإسرائيلي عملياته البرية.

يعيش اليوم في مستشفى تبنين نحو ٢٥٠ شخصا، معظمهم من الأطفال والنساء، حولوا غرف المرضى إلى منازل مؤقتة، وما كان مخصصا للعمليات الجراحية وغير الجراحية في الطوابق السفلية صار ملجأ للأوقات الصعبة، وافترشوا المناور التي كانت تفصل أقسام المستشفى بعضها عن بعض بالفرش والأغطية، ونشروا حاجياتهم وأشياءهم هنا وهناك، فيما صرخات أطفالهم وبكاؤهم تملأ الأرجاء، إلى جانب مشاجرات الأزواج حول تفاصيل لا احد سواهم يعرف مغزاها.

«ادخلي الأولاد إلى هنا لا تخليهم يطلعوا لبرا، الآن يبدأ القصف لا تنقصنا المصائب، اللي فينا يكفينا».

كانت رائحة التهجير تملأ المكان

بالبؤس والمآسي على مختلف أنواعها وأحجامها، فالنازحون المنكوبون يعيشون منذ ٣٠ يوما بدون ماء ولا كهرباء، ويأسهم من الأحوال، التي تجعل الثواني تمر عليهم دهرا، يحول دون قدرتهم على القيام بأعمال النظافة والترتيب والتنظيم المطلوبة.

تدخل لتتفقد أحوالهم فيفاجئونك بصراخهم واعتراضاتهم التي لا تنتهي.

«لا تصوري، لا نريد الحديث مع احد، ألا تكفينا المصائب اللي فينا حتى تحولونا إلى فرجة أمام العالم؟ لماذا نتحدث للصحافة بينما لا احد من الحكام يستمع إلينا أو يشفق لحالنا؟!».

أحوال هؤلاء المساكين لا تسر صديقا ولا حتى عدوا. الجوع عرف طريقه إلى أمعائهم، والاستحمام مسألة باتت تراودهم في أحلامهم، والضجر يكاد يقضي على أنفاسهم ويخطف روحهم.

الرجال يستلقون على الأرض بدون شغل ولا شاغل غير التفكير في الأوضاع الراهنة وما ستصير إليه الأمور، والاستعاذة بالله من الأسوأ. النساء يجُبن المكان ذهاباً وإياباً عشرات المرات في الساعة، يلحقن أطفالهن حتى لا يزعجوا احدا، او يعملن على تهدئتهم من نوبة بكاء يتكرر من دون سبب. شبان وصبايا ليس لديهم ما يفعلونه سوى الانتظار.

مرضى وحوامل وجرحى

أما أقسى ما سمعته فكان على لسان الطفلة نور محمد حمزة (٦ سنوات) عندما قالت لي «تعالي إلى عندنا بيتنا هناك» وأشارت إلى إحدى غرف المستشفى التي يعيش فيها ثلاث عائلات مع بعضها البعض.

بين هؤلاء نساء حوامل على مشارف الوضع، وجرحى تم إسعافهم بما توافر، ليس لديهم من مساعدة سوى الصليب الأحمر اللبناني الذي يتخذ مركزا له بالقرب من المستشفى لكن مهماته تقتصر على الإسعافات الأولية وإجلاء من يريد ترك البلدة إذا ما سمحت الظروف الأمنية بذلك.

جنود مجهولون

منصور زين الدين ممرض عسكري في الجيش اللبناني، لا يزال ملتزما بواجبه الوطني في خدمة هؤلاء مع ثلاثة آخرين من زملائه، روى لنا الأهوال عن أحوال المستشفى، مثل امتلاء برادات الموتى، وعزل مرضى مصابين بأمراض معدية، ومصابين تعفنت جروحهم. اما أقصى ما يمكن لمنصور ومساعديه والصليب الأحمر والدفاع المدني تقديمه لكل هؤلاء فهو حصص تموينية متواضعة يحصلون عليها من هيئات الإغاثة.

لكن نزلاء مستشفى تبنين لم يتناولوا الخبز منذ أكثر من عشرة أيام لذلك قرر حكيم غادري العودة إلى معركة بعد اتصالات مع رئيس البلدية لإحضار ما يمكن حمله من كميات من الخبز والعودة ثانية إلى تبنين وهذا ما حصل.

10/8/06

معركة (جنوب لبنان)



معركة .. البلدة الأقـــل خطـــورة

الحاجة زهرة صمـود ووحــدة

في رحلة العودة الى معركة أمكننا التعرف إلى أوضاع البلدة بهدوء، أوقفنا سياراتنا أمام مبنى بلدية معركة، وكان من السهل جدا ملاحظة الهدوء النسبي الذي تتمتع به هذه البلدة البسيطة المتواضعة التي يغلب عليها طابع الفقر.

كان ما يشبه المحلات التجارية (بقالات وأحذية وثياب) مفتوحة، مسنون يتفيأون ظل شجرة كبيرة تتوسط الساحة الرئيسية، وحولهم عدد لا بأس به من الصبية يركضون خلف بعضهم البعض بفرح ثقيل، فيما تجمع عدد من النساء عند إحدى الزوايا وفي يد كل منهن أشياء يبدو أنهن تبضعنها لتحضير طعام الغداء.

كان صوت الحاجة زهرة سعد (٧٠ عاما)، وهي تتحدث عبر الهاتف مع ابنتها المقيمة في سيراليون، يملأ المكان حزنا وقهرا وظلما.



● الحاجة زهرة

هي وحيدة من دون كل أفراد عائلتها، تشكو القلة والمرض والشوق لمن رحل قسرا من دون وداع ملائم ومن دون وعود تصبّر قلبها وتعينها على الانتظار ورغم كل ذلك كانت هي من يحاول تهدئة الطرف الآخر.

فاطمة وخليل ومناجاة هاتفية وشجون

«هدى حبيبتي لا تحملي همي يا ماما أنا منيحة والحمد لله فطيمة تطل علي قدر ما تستطيع وتحضر لي الأكل خير الله كثير يا حبيبتي اليوم احضروا لي منقوشة أكلتها وشبعت مبارح سلقت بيض بلدي، احضره

لي الحاج أبو علي كثر الله خيره، واكلتها مع خبز ناشف كيفهم أخواتك وكيف أولادهم؟! شو عملت فاطمة؟! هل اقتنعت بالبقاء مع أولادها؟! وخليل هل ذهب إلى بيت عبد الله أو بعد؟! يعني لم يدبر شغل؟! لا أنا مش عم احكي ما حدا من هنا خطوط الهاتف كلها مقطوعة والحين لولا حسين الله يرضى عليه لو لم يعطني هاتفه كيف احكي معاك؟! ليك خليها تضغط عليه ولا تعطيه فلوس حتى يقتنع ويغير طريقه ويبحث عن عمل.

«ماذا؟ مش سامعة، الطائرة فوق رأسي شو بها المعكرونة والبطاطا؟ تركتيها في البيت؟ شو بدي فيها؟ لا مش رح روح إلى أي مكان مين له شهية على شيء؟ سألته عن عماد والآن مش عارف عنهم شيء إلا أنهم اخذوا بيت ب٥٠٠ دولار وأنا كنت أعطيته ٢٠٠ دولار يعني لو يفهم يستمع لزوجته ويترك أمه؟ كان لازم يكون رجلا ويفهمها انو يريد يبقى مع أمه يلا الله يسامحها. ألو ألو مش سامعة».

إلى هنا انتهت مناجاة زهرة عبر الأثير، أقفلت الهاتف وراحت تبكي وتمسح دموعها بطرف منديلها الأبيض. كان وجهها حزينا ومتعبا وعيناها مشتاقتين إلى صاحبة الصوت وصور من كانت تتحدث عنهم ولو مقتطفات.

سألتها عن حالها فأجابت «مثل ما سمعت يا حبيبتي الله كتب علينا هذه الظروف الصعبة ولازم نتحملها».

لم أشأ أن أخوض أكثر معها، خصوصا ان



● جنوبيات يشكن أوراق التبغ لتجفيفه

صوتها بدأ يرتجف تركتها لدموعها وأشواقها.

جنوب الكرم والضيافة

مريم فرج (٤٢ سنة) التي تسلي نفسها بالمكوث في دكانها الفارغ تقريبا «افتح الدكان كل يوم الناس بدها تشتري صحيح انو ما بقي عندي الكثير لكن أستطيع توفير غرض من هنا وغرض من هناك».

كانت مريم ترحب بنا بحرارة شديدة أبدت لنا فرحا صادقا لوجودنا في البلدة «اشتقنا للوجوه الجديدة»، قالت وهي تقدم لنا ألواحا من الشوكولا.

قلت لها نحن من يجب أن نحضر لك الشوكولا، لا أن نتضايف ما هو ناقص من عندك فأجابتني بالأسلوب الذي يميز أهل الجنوب: «خير الله كثير ولو أردت أن أملأ دكاني بضاعة لفعلت الآن قبل الغد لكني لا أريد لأن الأوضاع الأمنية غير مستقرة ولا نعرف متى نضطر إلى مغادرة البلدة في هذه الأيام، كل واحد مكتفي بما لديه».

ومدت لي الشوكولا وهي تحلف بكل غال

ونفيس أن آخذها وإلا أكون غير مقدرة لحسن واجب الضيافة.

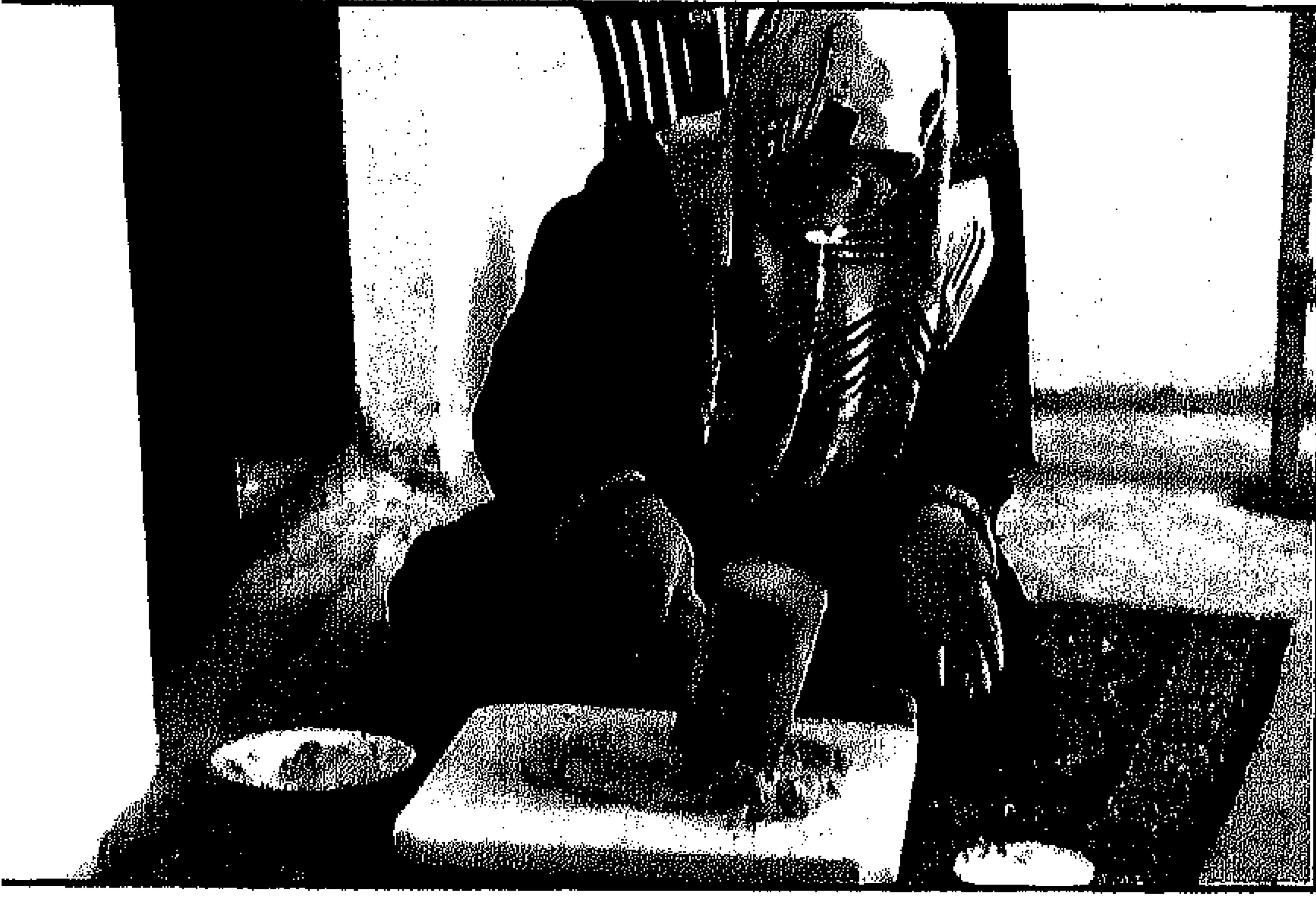
وفي طريق العودة فاجأتنا مشاهد جديدة من الدمار يبدو انها نتيجة انفجار صواريخ اصابت المكان، فيما كنا في طريقنا الى تبنين. يعيش في معركة «الآمنة»، كما يحلو لسكانها تسميتها، حاليا نحو ٧٥٠ عائلة (١٥٠٠- ١٧٠٠ شخص) بينهم نحو ٨٠٠ طفل. ويبلغ تعداد نفوس هذه البلدة ١٢ ألف نسمة، ٦٠٪ منهم مقيمون والباقون موزعون بين المدن والمهجر.

يعمل معظم أهالي معركة في زراعة التبغ وأعمال النجارة والحدادة، بالإضافة إلى البناء.

يعتبر أهالي معركة أنفسهم محظوظين في هذه الفترة العصيبة التي تمر على لبنان. فالبلدة لم يطاولها القصف منذ بداية العدوان على عكس الحروب السابقة التي كان لمعركة خلالها حصة الأسد.

اما سبب هذا الهدوء النسبي فيقول علي فواز (٣٩ عاما) «إنها ضيعة محايدة ومعروفة بقدرتها على صد أي اعتداء.. ولنا سوابق مع إسرائيل عندما لقّنا جيشها عام ١٩٨٣ درسا لن تنساه.. حتى اليوم».

ورغم التناقض في حديث علي فهمت انه يعني بقوله محايدة أن لا سيطرة فعلية لحزب الله على البلدة الصغيرة على عكس القرى والبلدات المجاورة مثل طير دبا ودير قانون وغيرها. وربما يكون هذا سبب تحييدها حتى الآن عن مرمى النيران الإسرائيلية والتجاء الكثير من أهالي



● تعد أكلة «الفراقة» وهي من اللحم النيء

المناطق المجاورة للعيش في مدارس معركة وداخل الحسينية وحتى في مبنى البلدية.

وسألت عماد خليل عضو البلدية عن إمكانيات الصمود المتاحة للناس في معركة والحماية الموفرة لهم في حال أصبحت البلدة تحت النيران فقال «مع الأسف الشديد ليس لدينا ملجأ ولا أي شيء يحمينا من شرور القصف.. ومع ذلك لا نزال نرى أن الصمود أفضل الخيارات لان النزوح بات يشكل مشكلة كبيرة على النازح والحكومة.. الأجدى هو البقاء ولذلك نعمل على دعم صمودهم قدر المستطاع بتوفير الحصص الغذائية والأدوية الضرورية وضروريات الإسعافات الأولية. فلدينا سيارتا إسعاف تقدمة من كشافة الرسالة وأخرى من هيئات الإغاثة غير الحكومية.

لكن الدكتور إسماعيل رومية (جراحة نسائية وتوليد) لم يكن لديه التفاؤل نفسه خصوصا وانه اضطر لمواجهة سبع حالات ولادة صعبة خلال أيام العدوان بإمكانيات متواضعة جدا.

قال الدكتور رومية: بين الولادات السبع كان

هناك أربعة وضعن أجنتهن بعملية جراحية.. الحمد لله كل شيء مضى على خير هذه المرة لكن لا اخفي عليك الوضع كان حساسا للغاية وبعض الحالات كانت خطيرة. هناك ثماني نساء حوامل في شهرهن التاسع وأخريات في شهرهن السابع والسادس واحدة منهن لديها توأم، أي لا يزال أمامي الكثير بينما احتاج إلى معدات دقيقة خاصة للجراحة. والأوضاع الأمنية المضطربة والحالات العصبية والنفسية التي يعاني منها الناس قد تؤدي إلى حالات وضع قبل الأوان، عدا إصابة الكثير من النساء وخاصة الحوامل بسوء التغذية بينما العيادات الطبية والصيدلية الوحيدة المتوفرة في البلدة تعاني نقصا في الفيتامينات.

وتدخل حسين عباس الحاج، وهو موظف في البلدية، قائلا «ليست النساء الحوامل مشكلتنا الوحيدة. هناك مرضى الضغط وعددهم يفوق العشرين مريضا، ومرضى السكري الذين يعالجون بالأنسولين وعددهم أكثر من ٥٠ ومرضى القلب وعددهم نحو ١٥٠ ومرضى السرطانات وعددهم نحو العشرين، وكل هذا ونحن نئن منذ أكثر من ثلاثة أسابيع بسبب نقص أدوية الأمراض المزمنة. وهذا ما أدى إلى وفاة احد أبناء البلدة كان يعاني من فشل كلوي.

تودع معركة مع إصرار حسن و محمد



● طفلة من معركة

جرادة اللذين يديران مقهى صغيرا يقدم النارجيلا على تقديم شيء ما كضيافة . هذا المقهى كان في الأيام العادية يقدم إلى جانب النارجيلة الشاي والقهوة والعصائر المعلبة، لكن وبسبب انقطاع الكهرباء وضرورة تقنين استخدامات الغاز اختصرت الخدمة.قال حسن «صحيح الحرب قائمة لكن الناس بدها تعيش وتحتاج إلى ما يسلي يومها.. واليوم لدينا عرض خاص زجاجة العصير ب١٥٠٠ ليرة (دولار واحد) ونفس النارجيلة المعسل ب ٢٠٠٠ ليرة».

مصائب وويلات وأحزان وبؤس .. وغير هذا الكثير والكثير.. لكن الياس لم يعرف بعد طريقا إلى قلوب هؤلاء الجنوبيين الصامدين..

هبط المساء وصار لزاما علينا بعد قضاء وقت طويل بين معركة وتبنين العودة إلى صور والاكتفاء بمحاصرة الحصار عند هذا الحد..

تصبحون على وطن..

11/8/06

معروب (جنوب لبنان)



هكذا يراقب الإسرائيليون التحركات من السماء



«سيارة عليها ملصق صحافة تتحرك بين العباسية ومعروب سنقصفها إذا لم تكن للـ«سي أن أن» أو للـ«بي بي سي» أو للـ«سي بي أس»!

هذا كان نص رسالة الجيش الإسرائيلي تلقته أمس كل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي ومكاتب المؤسسات الإعلامية المذكورة آنفا، عندما كان موكب من الصحافيين والإعلاميين العرب والأجانب عائدين من بلدة معروب (جنوب شرق صور) في جنوب لبنان، حيث كان فريق من الدفاع المدني والصليب الأحمر اللبناني والدولي يحاولون رفع أنقاض مبنى مبرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي دمرته الطائرات الإسرائيلية فوق رؤوس عائلة لبنانية مؤلفة من أم وثلاثة أطفال.

انطلقنا إلى معروب عند العاشرة والنصف صباحا بعد مناقشات طويلة وحادة مع المسؤولين في الصليب الأحمر الدولي في صور بخصوص الموافقة على مرافقتنا لهم. هم برروا اعتراضهم في بادىء الأمر بأن الضمانات التي حصلوا عليها من الجيش الإسرائيلي لتأمين



عناصر الدفاع المدني يحاولون انتشال عائلة خليل ارزوني من تحت ركام مبرة الامام علي في معروب

الطريق إلى معروب جاءت «بعد جهد جهيد استمر أكثر من ٧٢ ساعة ومشروطة بعدم اصطحاب الصحافيين».

كان الدفاع المدني أول جهة عرفت بوقوع الغارة ووجود عائلة في ملجأ المبرة صباح يوم الأربعاء الماضي لكن الطريق إلى معروب محفوف بالمخاطر، خصوصا إذا لم يكن هناك من ضمانة ما، بسبب القصف العشوائي وبعد التهديد والوعيد اللذين أعلنهما الجيش الإسرائيلي في منشور وزعه قبل أربعة أيام وقال «سنقصف كل آلية تتحرك في مناطق جنوب الليطاني مهما كان نوعها».

كل هذا لم يقنع الصحافيين بألا يكونوا شهودا على مهمة قد تسفر عن خروج أحياء من تحت الأنقاض.

«سيروا ونحن سنسير وراءكم» هكذا انتهى النقاش.. ووصل الموكب إلى معروب على وطأة هدير الطائرات الذي لم يتوقف طوال الطريق خصوصا طائرة الاستطلاع «أم كا» التي لم يسترح الفضاء اللبناني ثانية واحدة من وجودها منذ بدء العدوان

كان القصف الذي بدأ بعيدا نوعا ما عندما انطلقنا من صور باتجاه معروب عبر مفرق الشبريحا يقترب شيئا فشيئا، وأغارت طائرة حربية على بعد ٥٠٠ متر فقط من موقع رفع الأنقاض رغم وجود علم المنظمة الدولية على طول مساحة ١٠ كلم مربع، ثم أغارت طائرة أخرى ورمت صاروخا على بعد ٣٠٠ متر. هذه المرة، دب القلق والخوف في قلوب الجميع «انه تحذير، بالتأكيد تحذير» راح كل منا يفكر مع الآخرين بصوت عال «إنها رسالة لإعلامنا بعدم الترحيب بوجودنا»، قال احد الصحافيين.

بدأ الجميع يقتربون بعضهم من بعض، فوقنا الطائرة والى جانبنا أدخنة الصواريخ التي انفجرت، لا خيار سوى التماسك فالعودة مشروطة بانتهاء عمل الصليب الأحمر الدولي «ضمان بقائنا أحياء».

خمس ساعات ونصف الساعة، هي الفترة التي استغرقتها عملية رفع الأنقاض دون أن يتوصل المسعفون والمنقذون إلى أي بصيص أمل، خصوصا ان المبنى المهدم كان عبارة عن ستة طوابق تراكمت بعضها فوق بعض والعائلة كانت في الملجأ.

في طريق العودة انطلقت سياراتنا في النظام نفسه الذي اتبعناه في الصباح، الصليب الأحمر الدولي في المقدمة يتبعه الدفاع المدني، والصليب الأحمر اللبناني ثم سيارات الصحافيين والإعلاميين، وفوجئنا بأن طريق دير قانون النهر قد تعرض لقصف شديد أثناء تواجدنا في معروب، الأمر الذي اعتبره زميلنا حسن من وكالة الأنباء الفرنسية رسالة تحذير ثالثة.

كنت في السيارة الثالثة بعد سيارة تلفزيون «العربية» وال«سي بي أس» ومعي زملاء من وكالة الأنباء الفرنسية ووكالة رويترز للأنباء وتلفزيون العالم، لكننا عندما وصلنا إلى مفرق العباسية اضطررنا لأن نخرج من القافلة والعودة أدراجنا إلى معروب حيث قال الزميل محمد بلوط مراسل تلفزيون «العالم» انه أوقع محفظته هناك وفيها جواز السفر.

المسافة بين العباسية ومعروب استغرقت منا سبع دقائق ذهابا وفي الدقيقة الثالثة من مسافة العودة تلقى الزميل بلوط اتصالا من زميلنا في الـ«بي بي سي» يخبره عن رسالة التهديد الإسرائيلية في حق السيارة التي تركت الموكب وعادت ادراجها.. إذن كنا اكتشفنا اننا تحت النيران وقد نتعرض للقصف في اي لحظة من «ام كا» ما إن يتأكد الجيش الإسرائيلي من أننا لسنا «سي أن أن» ولا «بي بي سي» ولا «سي بي أس».

«هل سنموت؟»، سألت زهرة من رويترز وأضافت: «كيف سيصدقون إننا صحافة؟!» ثم رفعت دفتر ملاحظاتها وفتحته على أوراق بيضاء خالية من أي كتابة «الإشارة البيضاء الوحيدة التي كانت متوافرة لدينا لنرفعها كدليل للمسالمة» ومدت زهرة يدها خارج نافذة السيارة، إلا أن أيا منا لم يهدأ وكان كل منا قادرا على سماع دقات قلب الآخر.

كنا نعد الثواني وننظر إلى سقف السيارة ونسأل متى سيسقط الصاروخ علينا! وفي الجانب الآخر كان الزملاء في الـ«بي بي سي» والـ«سي أن أن» بدأوا اتصالاتهم مع سفاراتهم وفي الوقت نفسه يحاولون المماطلة بالوقت لنربحه نحن مكسبا لإطالة فرص نجاتنا.

الصليب الأحمر الدولي لم يستطع فعل أي شيء، وقال«سيقصفونكم الرجاء ابقوا بعيدين عن سياراتنا مسافة لا تقل عن كلم واحد»!

ولما رفضت الزميلة ريما مكتبي من «العربية» مرافقة الصليب الأحمر الدولي وتركنا، بادرت إلى الاتصال بمكتب دبي تسألهم فعل أي شيء لإنقاذنا من القصف بعد ان رصدنا الاسرائيليون بواسطة طائرات الاستكشاف، خصوصا ان الزملاء البريطانيين والاميركيين اتصلوا بسفاراتهم لكن المسؤول في دبي كان واضحا جدا معها بقوله «مع الأسف الشديد لا نستطيع فعل أي شيء مع هذا العدو سوى أن نضعك على الهواء مباشرة لتوجهي نداء عبر الهاتف إلى كل سفارات الدول والهيئات» خصوصا ان في مقدمة الموكب فريق التلفزيون الأميركي.

وهكذا وصلنا سالمين إلى صور ولا نعرف ما إذا كانت مناجاة الزميلة ريما أنقذت حياتنا أم اتصالات الأجانب بسفاراتهم أم صبر العدو الإسرائيلي علينا أم هو الحظ فقط؟!

12/8/06

أرزون (جنوب لبنان)



الدفاتر المدرسية وشظايا الأجساد النحيلة والرسائل الموجعة

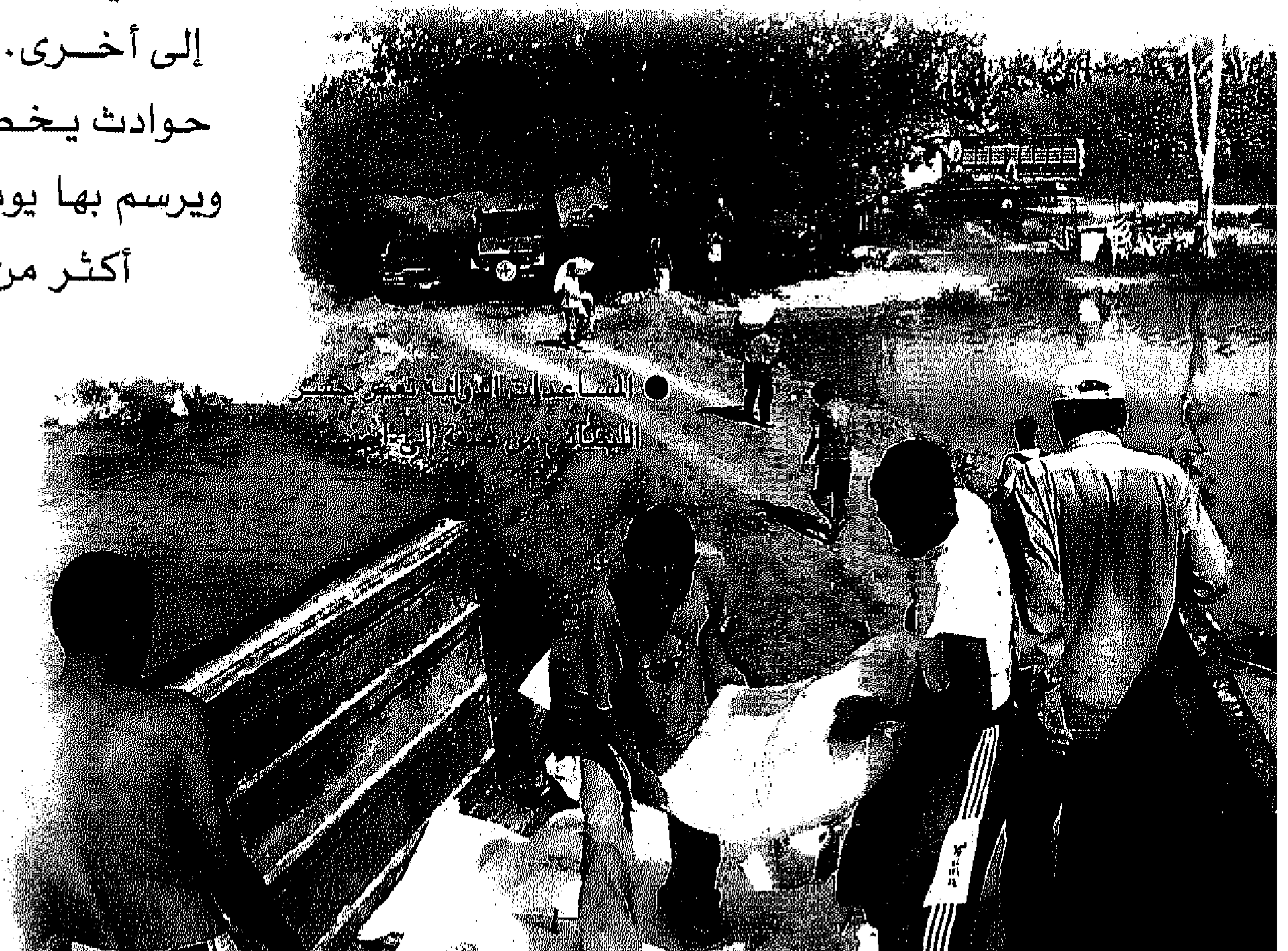
أطفال الجنوب ينزفون وجعاً بعد فقدان الأهل والأمل

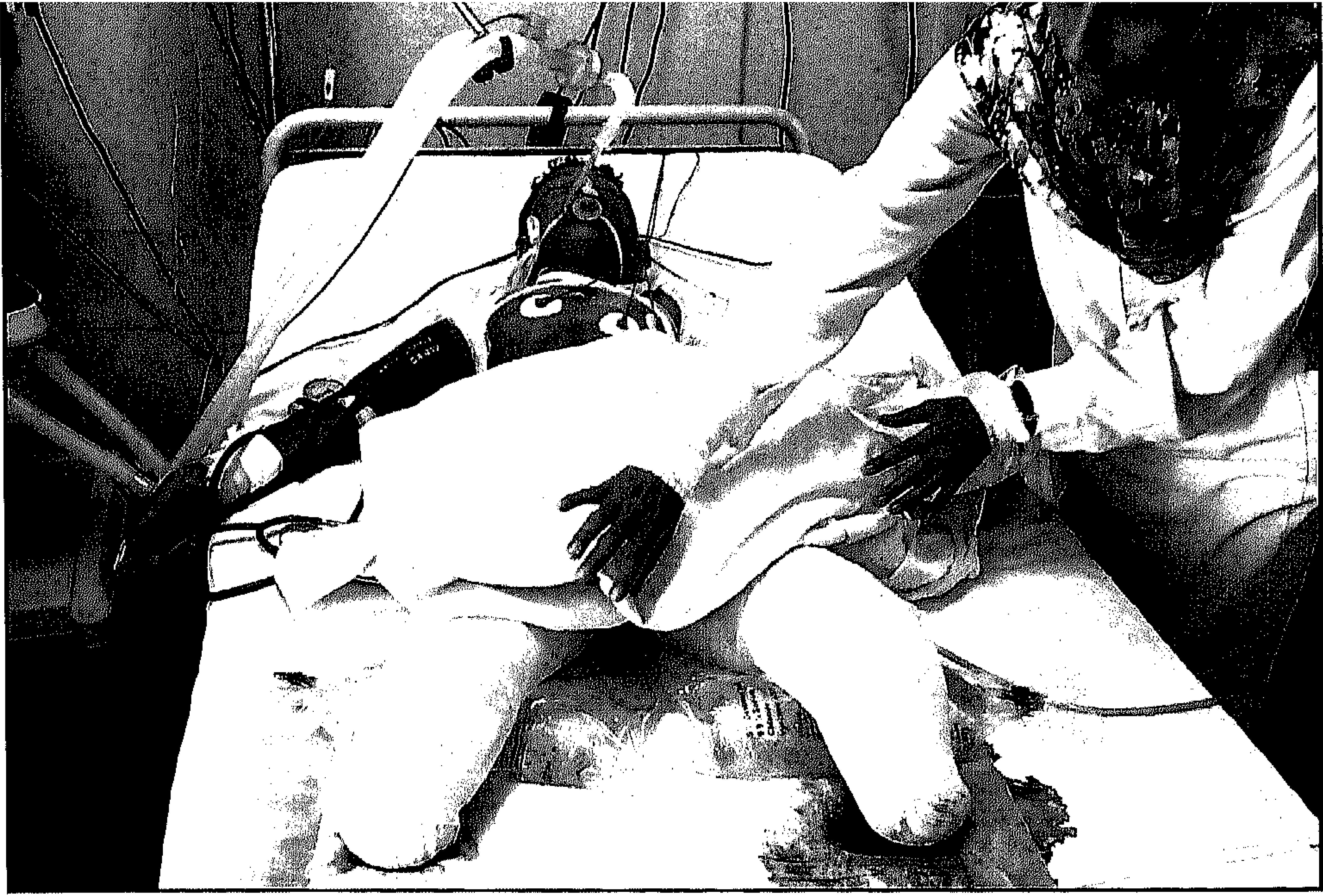
■ سقط الصاروخ فتوزعت الأسرة بين الموت والحياة .. وبين الإعاقة والتشرد

محمد علي الحسيني طفل (ثلاث سنوات) يبكي لبكاء أمه، ويصرخ وسط ذهولنا جميعاً: «ماما قطعت قلبي»، إسراء خليل موسى (أربع سنوات) تودع والدها بكلمتين «بحبك كتير» ثم تصمت تحت ركام ستة طوابق وتغيب إلى الأبد، محمد الحاج موسى (١١ سنة) يخسر والده وقدميه الاثنتين في طريق الهروب من جحيم القصف، سمية محمد سويد (٦٠ سنة) تشهد لحظات نزاع رفيق دربها وهي تنزف حتى آخر نقطة من دمها وتصل المستشفى في حالة يصفها الأطباء «بموت سريري عمره أسبوع»، صحافيان من السويد جذبتهما الأحداث فتصدت لهما طائرة حربية إسرائيلية بصاروخ أدى إلى مقتل أحدهما وإصابة الآخر بجروح خطيرة، شباب تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ٢١ سنة بينهم من يبني جسرا من تراب بيديه وآخر يحمل مؤونة من الطحين ثقلها يكاد يساوي وزنه، وينقلها من ضفة نهر إلى أخرى.

حوادث يخطها العدوان الإسرائيلي ويرسم بها يوميات الجنوب اللبناني منذ أكثر من شهر دون كلل أو رادع أو هوادة.

والأحداث التي رصدتها «القبس» خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية تبدأ من بلدة أرزون، حيث كان





● الطفل محمد الحاج موسى يرقد في مستشفى جبل عامل

فريق للدفاع المدني يتفقد بسيارته قرى القضاء فأوقفتهم فتاة تدعى دلال علي حسين (٢٣ سنة) لتخبرهم أنها وأهلها وآخرين يحتمون في احد البيوت وبحاجة ماسة لإجلائهم عن البلدة 'لان الوضع الأمني لم يعد باستطاعتهم تحمله».

نزوح لا يهدأ

ذهب المسعفون إلى حيث دلتهم دلال على ثلاثة وعشرين مدنيا كانوا في حالة يرثى لها، عيونهم لم تذق طعم النوم منذ عشرة أيام وبطونهم لم يدخلها طعام صحي منذ أكثر من شهر، ثيابهم متسخة من كثرة الانتقال من سرداب إلى آخر وسط أدخنة القذائف والحرائق، وجوههم صفراء من الخوف والهلع، نظراتهم تائهة في السماء حيث تهدر طائرات القتل والموت والتلال وحيث ترابط المدفعيات القناصة، أفواههم مطبقة وأياديهم ممدودة تسأل الإنقاذ.

لم يكن باستطاعة الدفاع المدني إجلاء هؤلاء المساكين في الساعة نفسها لا بد من تأمين الطريق عبر دعم ما لا يوجد من يوفره في هذه الأوضاع غير لجنة الصليب الأحمر الدولي التي أجرت اتصالاتها اللازمة وعملت بمساعدة الدفاع المدني على نقلهم من أرزون إلى صور حيث ستنقلهم مؤسسة الحريري إلى مكان آمن في بيروت أو الشمال.

في أحضان لجنة الإنقاذ

بين هؤلاء المنكوبين الجدد عائلة علي الحسيني (٤٥ عاما). زينب، زوجة علي الحسيني، لم تصدق نفسها عندما رأت مندوبة الصليب الأحمر الدولي ماغي ديامس وفريقها المخلص، فارتمت بدون وعي في أحضان لجنة الإنقاذ وراحت تبكي

بصوت عال، الأمر الذي أخاف طفلها محمد (٣ سنوات)، معتقدا أن مكروها أصاب أمه، فنطق تلك الجملة التي تكبر سنه كثيراً: «ماما قطعت قلبي».

راح محمد يبكي بدوره بكاء مرا جعل كل الموجودين يذرفون دموعا وحزنا وتأثرا وكان يصرخ بحرقة لا تتناسب وطفولته الغضة ويقول «ماما لا تبكي.. حرقت قلبي يا ماما دخلك يا الله ساعد ماما.. خذيني لعندك يا ماما».

كم كبر محمد أثناء أيام العدوان؟! ما حجم بشاعة الهموم التي اغتصبت طفولته الهانئة؟! إلى أي عالم قذف به العدوان بعيدا عن حديقة البيت وملاعب المدرسة وسريره الهزاز؟! أي نوع هي القنابل تلك التي زرعت في عيونه البريئة دموعا ساخنة مثل تلك التي ذرفها وزادت من سخونة الأحداث من حولنا.

محمد ووالداه وشقيقته سهيلة (٧ سنوات) والباقون قضوا ليلتهم الأولى أمس في استراحة صور، أول استراحة للنازحين من قرى وبلدات الجنوب، بانتظار تأمين الطريق إلى مكان آخر بعيدا ولو نسبيا عن جحيم العدوان.

البحث عن أمل مفقود

بالقرب من أرزون، وتحديدا في معروب، لا يزال خليل موسى يقف عند أطلال مبنى أطبق قبل أربعة أيام فوق رؤوس أفراد عائلته (زوجة و٣ أطفال) خليل، وبالرغم من القصف الشديد الذي يطال المنطقة يبقى



● محاولة لانقاذ المصابة سمية محمد سويد (٥٠ عاما) في أحد مستشفيات صور

ينتظر عند ركام المبنى ساعات طويلة في النهار على أمل أن يسمع من احدهم كلمة تطمئنه بأنهم لا يزالون أحياء، رغم أن عناصر فرق الإنقاذ أمضوا طوال يوم الجمعة يحاولون الحصول على بصيص أمل ولم ينجحوا.

بين الركام كراس دراسي نصف أوراقه محترقة كتب على صفحته الأولى اسم التلميذ «علي فوزي» والصف «السابع فرنسي» والمادة «قواعد عربي» والى جانب الدفتر تختلط قطع الشظايا بأحجامها المتعددة مع بقايا أغطية وفرش وكتب دينية وأخرى لعلوم الحساب ومعجم للغة الإنكليزية، ودفتر لعلامات الامتحانات النهائية وقصص من



● الطفل محمد على الحسيني بين أهله

مجموعة «ليدي بيرد».

سأدفن في المدرسة مع تلامذتي

ينظر خليل إلى بنطلون جينز قياس صغير جدا أسأله إذا كان لأحد أولاده فيجيب «لست متأكدا كل أطفال الميتم كانوا يلبسون مثل بعضهم تقريبا وأنا ربيت أطفالي في هذه المدرسة التي توليت مهمة الحراسة فيها منذ خمس سنوات ولم اتركها لكنني لم أتصور يوما أنني سأدفن فيها عائلتي».

وبعد صمت عميق يستغرق دقائق قليلة يستدرك خليل ويقول «إذا كتبت لهم الحياة فسأشكر نعمة الله ورحمته وإذا استشهدوا فلا حول لي إلا الترحم على أرواحهم».

وأسأل خليل مرة ثانية كيف يجازف بحياته ويبقى في مكان مكشوف ومستهدف فيقول «لا يزال عندي إحساس بانني سأسمع صوت طفلتي إسراء (٤ سنوات) مرة ثانية، كانت آخر من كلمني من بين عائلتي، سألتني «وين رايح يا بابا خذني معك»، وقلت لها إلى المنزل حتى استحم وأغير ثيابي وأنت ابقي مع أمك وخلي أختك زهراء ترسم لك وأنت لوني الصور فحضنتني وكأنها لم تحضني من قبل وقبلتني بقوة وقالت لي بحبك يا بابا كتير كتير، الله معك».

بدأ خليل يبكي وأخفى وجهه بين يديه وقال بصوت مخنوق وكأنه يكلم أحدا ما «الله معك يا إسراء ويا حيدر ويا زهراء ويا خديجة».



● خليل موسى

العمامة المدماة

والفصل المأساوي أضيف إليه مشهد آخر كان عند مقربة من المبنى المدمر، وتحديدا عند مفرق دردغيا- معروب حيث كان عناصر الدفاع المدني ينشرون سيارة محترقة بمنشار حديدي وينتشلون بقايا أشلاء الشيخ حسين الخليل من بلدة دردغيا كان قتل داخل سيارته قبل ١٥ يوما بقذيفة إسرائيلية ولم يتمكن المسعفون من انتشال جثته من قبل ومع الجثة رفع المسعفون عمامة بيضاء ملطخة بالدماء وكتاب القرآن الكريم ومسبحة حباتها سوداء اللون.

الرسائل الحزينة

عبر الهاتف تتلقى رسالة حزينة تقول إن احد الزملاء الصحافيين من السويد قتل وأصيب زميله بقذيفة إسرائيلية بينما كانا في طريقهما من الزهراني إلى الجنوب تتصل بمدير مستشفى جبل عامل في صور الدكتور احمد مروة تستفسر منه عن حالة المصاب فيخبرك عن أكثر الحالات إيلاما وقسوة واجهها المستشفى منذ اليوم الأول من العدوان وحتى الآن.

مقتل الأب وبتر قدمي الطفل

يقول الدكتور مروة «خلال الأيام الـ ٣٣ الماضية استقبل مستشفانا ما لا يقل عن ٦٠٠ جريح تتراوح إصاباتهم بين الخطرة والمتوسطة، لكن حالة الطفل محمد الحاج موسى (١١ سنة) والحاجة سمية محمد

سويد (٦٠ سنة) هما الأكثر فظاعة وألما بين كل الذي شهدته أنا شخصيا».

كان محمد يركب خلف والده فوق دراجة نارية هاربين من القصف الذي «حرق الأخضر واليابس» في المالكية (قضاء صور) عندما عاجلتهما قذيفة «م ك» فقضت على الأب في لحظتها وأدت إلى بتر قدمي محمد الذي يرقد في غرفة العناية المركزة.

اما سمية فقد دمرت قذيفة من بارجة إسرائيلية منزلها في بلدة الضهيرة، قرب الناقورة، فأصيبت وزوجها موسى لكن أحدا لم يستطع انقاذهما إلا بعد مضي ٢٤ ساعة كان الزوج قد فارق الحياة فيما كانت سمية تنزف بشدة حتى وصلت المستشفى عند آخر رمق بعدما نقلوها جيرانها على ظهر حمار.

عمرها بسواعد عمرها بأيديك

تسأل لماذا لم يصل الزميلان السويديان إلى صور، فتعرف أن الجسر الرملي فوق نهر الليطاني، الذي بنته قبل يوم فقط سواعد شباب تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٢١ سنة بدل الجسر الرئيسي الذي دمرته الطائرات الإسرائيلية، أغارت عليه الطائرات مرة ثانية وثالثة وقضت على كل معالمه التي سمحت، لساعات، بدخول سيارات المؤن الغذائية ونزوح بعض العائلات إلى خارج الجنوب.

هذا الجسر بعد تدميره عزل صور واقضيتها عن العالم الخارجي، لكن مبادرات المواطنين وهمتهم لحل مشاكلهم بأياديهم دفعتهم إلى إعادة بنائه بما تيسر من بقايا أعمدة حديدية وجذوع الشجر المكسور وجرف الرمال، الأمر الذي ساعد في نقل شحنة من الطحين قدمها الصليب الأحمر الدولي يوم الجمعة كما ساعد في عبور شاحنات الخضار والفاكهة والخبز.

لكن هذا الجسر وان كان قد حل مشكلة فهو لم يكن بقوة تتحمل الشاحنات الكبيرة، فقرر المعنيون إفراغ الحمولة عند الضفة اليمنى من النهر ونقلها على اكتاف الفتية إلى الضفة الأخرى وتحميلها بشاحنة أخرى.

صواريخ على المنقذين

واللافت أن سيارات الصليب الأحمر الدولي فضلت عبور النهر واجتياز المياه على السير فوق الجسر الرملي حتى لا يسجل موقف سياسي ضد المنظمة.

في الأمس أراد عباس اخضر المجازفة وعبور الجسر الرملي إلى صيدا لإحضار شحنة من الخبز، لكن الطائرات الحربية لم تمهله وعاجلته بصاروخ قرب القاسمية مما أدى إلى مقتله وإصاب ابنه ومرافقيه حسن ومحمد الدر وعندما حاول مسعفون إنقاذهم أطلقت الطائرة صاروخا آخر أدى إلى مقتل محمد اخضر وعلي الخليل وإصابة كل من عباس غازي وحسين العبد.

13/8/06

برج الشمالي (جنوب لبنان)



مجزرة لمحطات الوقود في صور وضواحيها..

هيئات الإنقاذ وورش السلام تنطلق فور وقف النار



«اليوم الوقفة وبكرا العيد».. هذا ما كنا نغنيه عندما كنا صغاراً عشية عيد الفطر أو عشية عيد الأضحى.

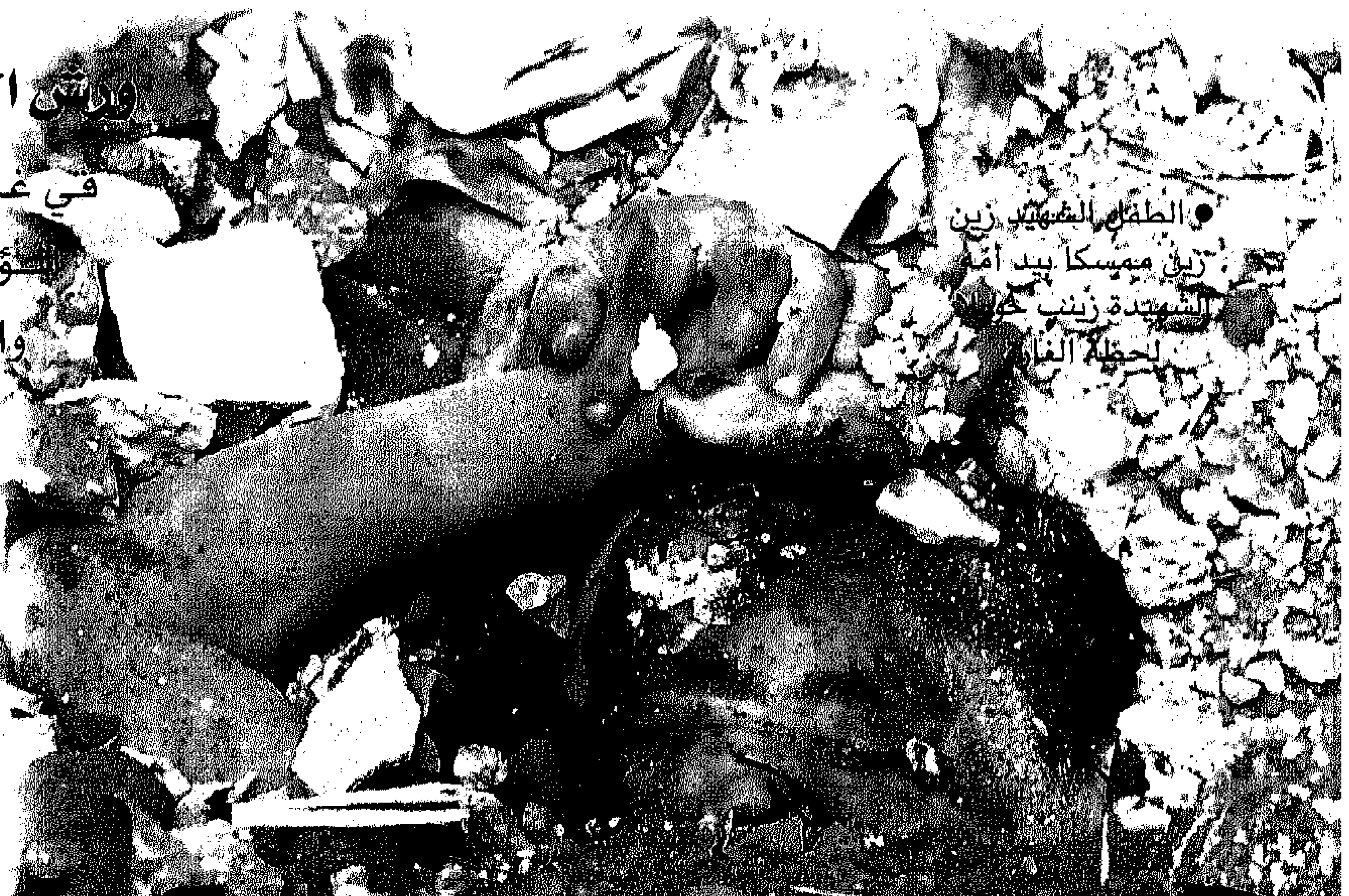
وهكذا كان جو الناس في صور وضواحيها عشية التنفيذ المفترض لقرار وقف إطلاق النار الذي يبدأ عند السابعة من صباح اليوم.

وبقدر ما يعلق المواطنون اللبنانيون آمالهم على نجاح وقف إطلاق النار وبالتالي وقف العدوان الإسرائيلي وغارات الموت والتدمير والإجرام بحق البشر والحجر، بقدر ما كان هؤلاء حذرين وقلقين في يوم «التوقف» الذي مر عليهم قاسيا كغيره من أيام العدوان الثلاثة والثلاثين الماضية، فالاعتداءات جاءت من الجو والبحر والبر دموية وعشوائية ومخيفة، وتسببت بسقوط المزيد من الشهداء وتدمير الكثير من المنازل والمباني والمرافق الحيوية بينها أكثر من ٢٣ محطة وقود، حتى أن البعض وصف يوم أمس بـ«مجزرة محطات الوقود».

وبدت صور، التي كانت الحركة فيها حتى نهاية الأسبوع أفضل نسبيا من المناطق الأخرى المحيطة بها أمس، خالية تماما من حركة المارة ووسائل النقل، إلا من سيارات الإسعاف وفرق الدفاع المدني والصليب الأحمر اللبناني التي واجهت يوم عمل شاقاً اضطر فيه عناصرها إلى نقل جرحى ورفع أنقاض، لانتشال جثث وإطفاء حرائق شبّت هنا وهناك بسبب القصف.

ورش السلام

في غضون ذلك، بدأت المؤسسات الأهلية والمنظمات الحزبية وهيئات الإغاثة تستعد لمرحلة ما بعد الحرب.. فوضعت الخطط



• الطفل الشهيد زين زين ممسكا بيد أمه الشهيدة زينب [illegible] لحظة الغا[illegible]

والمشاريع التي سيتزامن تنفيذ بعضها مع عودة النازحين إلى منازلهم وقراهم، فيما سيبدأ تنفيذ المهم منها فور دخول قرار وقف إطلاق النار حيز التنفيذ.

فمع ساعات الصباح الأولى اليوم سيبدأ العمل على فتح الطرقات الرئيسية والفرعية بين المحافظات والمدن وبين القرى والبلدات، وفيما سيتولى الجيش اللبناني مهمة تأمين الطرقات المائية، أي بناء جسور آنية فوق الأنهر بدلا عن التي دمرها الطيران وأدت إلى قطع الأوصال، ستتولى فرق الإغاثة والهيئات الأهلية والحزبية العمل على فتح الطرقات الرئيسية والفرعية عبر جرف الركام وردم الحفر الكبيرة التي تقطع الطرق، وسيجري توظيف عدد كبير من الجرافات والآليات الخاصة التي ستقدمها البلديات وجمعيات الدفاع المدني والجيش اللبناني وإذا تطلب الأمر، فسيعمل هذا الفريق على شق طرق فرعية «ملتفة» حول القرى.



● عباس زين يبكي عائلته بعد تدمير المنزل على رؤوس البشر في برج الشمالي

إجلاء الجرحى ودفن الشهداء

وهناك فرق أخرى ستعمل على إعداد مسح شامل لعدد الجرحى في المستشفيات والمستوصفات والمنازل، ودراسة حالاتهم بالتفصيل وعمل اللازم لإجلاء من يحتاج إلى معالجة خارج مستشفيات المدينة كما سيتولى هذا الفريق إعداد مسح مماثل للشهداء، والاهتمام بالدرجة الأولى برفع أنقاض المباني المدمرة التي لا يزال يرقد تحتها شهداء كما هو الحال في صريفا وعيترون ومعروب والحلوسية وكفرا، وفي الوقت نفسه ترتيب إجراءات لدفن الشهداء وفق المراسم المناسبة، وذلك اما بتسليم الجثث إلى ذويها في حال وجودهم، أو دفنها في مقبرة جماعية كما هو الحال في مقبرة «الوديعة» في صور.

«العدو المقنع»

بموازاة ذلك، ستعمل فرق أخرى على حماية المواطنين العائدين إلى منازلهم وقراهم من مخاطر التعرض لانفجارات قد تسببها

قـذائف لا تـزال في الأرض أو ألـغـام ومـا شــابه ذلك، حـيـث يـعـتـقـد أن الجـيش الإسـرائيلي رمى بقنـابل عنقودية في أكثر من بلــدة خـصـوصـا في الـوديــان الـتي تفـصل القـرى بعـضـهـا عن بعض، وهــذه القـنابل تسمى بـ«العـدوان المقنـع» حيث تبـقـى خطـورتهـا قائمــة طالما كـانـت موجودة على الأرض.

غارات تبدأ مع الفجر

وكانت صور استفاقت عند ساعات الفجر الأولى على وقع الغارات الجوية الإسرائيلية التي استهدفت أول ما استهدفت منطقــة وادي الغـربـة بالقرب من بلــدة البياضـة (أقصى الجنـوب)، ممـا أدى إلى تـدمـيـر مـنـزل. وبـعــد اقل من سـاعـة أغـارت الطـائـرات على محـطـة وقود بالقـرب من مستشفى نجم على طريـق المنصورية، ثم أغارت على محطـة أخرى للوقود في برج الشمالي (شرق) وعلى منزل قريب دمر كليا على عائلـة كانت تبيت ليلتها فيه.

والشهـداء الذين سقطوا في بـرج الشمالي هـم زينـب حويلا (٣٨ عـامـا) وأولادهـا عبـد الـلـه (١٥ ســنـة) وزين (١٢ سـنـة) ووفـاء (عشر سنوات) والخادمــة رانـدونا خوسيه من سـيـريلانـكـا. وكـانت زينـب هـربت بأولادهــا إلى هـذا البيت لاعتقادها بأنـه أكثـر أمـانــا كونه يتألف من ثلاثة طوابق، وقد رفض الأب عباس زين مرافقــة عائلته وبقي ليـحمي مـنـــزله وظلّ معه ابنه علي ووالــد زوجته المسن احمد حويلا.



● انتشال الطفل الشهيد عبالله زين وأخته الشهيدة وفاء من تحت الانقاض

مجزرة محطات الوقود

كما طالت «مجزرة محطات الـوقود» ثلاثا في منطقة الحوش (٣ كلم شرق) وأربعا في بلدة العباسية واثنتين في طير دبا وأخرى في البازورية حيث أغار الطيران أيضا على عدة منازل كانت خالية من السكان.

وتوسعت الغارات لتشمل بلدات دير قانون رأس العين وجويا (جنوب) وسهل المنصوري وأحياء سكنيـة في الحوش وزبقـين وكفرا وبيوت السياد، كما استهدفت بلدة عيتيت بقذائف فوسفورية أسفرت عن تدمير منزل لا يزال سكانه تحت الأنقاض، وقطعت طرق البلدة الرئيسية.

وعـنـد مـنـتـصف الـنـهـار، توسعت الـغـارات وطـالت مـحـرونـة وبـاريش ومـعـركـة ورأس الـعـين وبـاتـوليه، ثم عـاود الـطـيـران غـاراته على بـرج الشـمـالي والـبـازورية، وطـال أيضـا مـحيط ثكـنـة الجيش اللـبنـاني عـنـد مـفـرق صـور - قانـا ممـا أدى إلى استشهاد جنـدي وإصابة آخر بجروح.

ترافقت الغارات الجوية مع قصف مدفعي مـركـز طـال مـنـطـقـة بنت جبـيل ومـحـيطـهـا،

خصوصا شقرا وحداثا وبرعشيت وبعض قرى قضاء صور.

شريط المقاومة

وكشف مصدر إعلامي في حزب الله لـ«القبس» أن عناصر المقاومة أحبطوا محاولة إنزال مروحي حاول الجيش الإسرائيلي تنفيذه على التلال المحيطة ببلدة ياطر، وتحديدا في تلة عريميت حيث أسقطت المقاومة طائرة نقل جنود للإسرائيليين مساء السبت.

وقال المصدر إن «العدو الإسرائيلي لا يزال يحاول منذ لحظة إسقاط المروحية استعادة ما فقده من جنود ولم ينجح في التقدم مترا واحدا في المنطقة».

واضاف «عند الرابعة والنصف فجرا فجرت مجموعة من المقاومة عبوة ناسفة في تلة العويضة قرب العديسة مما أدى إلى تدمير دبابة ميركافا وإصابة من فيها وتفجير ذخائرها، كما فجر المقاومون دبابتين وجرافة كان يستعين بها الجيش الإسرائيلي للتقدم في وادي الحجير»، الذي وصفه المصدر بـ«مقبرة للعدو»، نظرا لقوة جيوب المقاومة المتواجدة هناك.

كذلك تصدت المقاومة لمحاولة تسلل في حي البياضة عند الثامنة والنصف صباحا، ودمرت دبابة وجرافة إسرائيليتين كانتا تتقدمان مع قوة من المشاة في عيتا الشعب، وخاضت مواجهات عنيفة في الطيبة والقنطرة حيث دمرت ثلاث دبابات وجرافة، بحسب المصدر، والتصدي لمحاولة تقدم في سهل الخيام وتلة أبو الطويلة في عيتا الشعب وتدمير آلية عسكرية. واوضح أن «جيوب المقاومة خاضت مواجهات عنيفة في عيتا الشعب عند الساعة ١,٤٥ بعد الظهر ونجحت في إصابة ٢٥ جنديا إسرائيليا من بين ٣٠ اشتركوا في تلك المواجهات»، كذلك «تصدت المقاومة لمحاولة تقدم فاشلة عند جبهة الباط - عيترون».

.. وبانوراما المواجهات

وقدم المصدر عرضا مفصلا لحصيلة المواجهات التي خاضتها المقاومة مع الجيش الإسرائيلي من ١٢ يوليو الماضي وحتى يوم أمس.

ونفى أن يكون الجيش الإسرائيلي حقق تقدما كبيرا على الجبهة الغربية الممتدة من رأس الناقورة إلى أعلى تلال شبعا المتاخمة للجولان وقال ان «الجيش الإسرائيلي يدعي أن قواته تقدمت ١٢ كلم في عمق الأراضي اللبنانية، لكن التقارير الميدانية تؤكد أن محاولاتهم لم تحقق سوى تقدم بعمق ٣ كلم عند مروحين وشيحين (وهما بلدتان صغيرتان جدا على الشريط الحدودي) كما انه لم يفلح في إنزال دعم بالجنود والدبابات على تلة البياضة، لوجود المقاومة في طير حرفا».

كما أكد المصدر أن الجيش الإسرائيلي «لم يستطع دخول عيتا الشعب رغم كل محاولاته، مما اضطره إلى الالتفاف عبر القوزح ،وأيضا حاول الدخول إلى دبل عبر منطقة بركة دبل ولم ينجح حتى الآن من الوصول إلى ابعد من بضع خطوات عند

مدخل بركة دبل لجهة الحدود الدولية، في حين أن بلدتي رميش ويارون لا تزالان صامدتين وتقاومان».

فقط مارون الراس

وقال المصدر إن «المنطقة الوحيدة الساقطة بيد الجيش الإسرائيلي هي بلدة مارون الراس المشرفة على بنت جبيل وعيترون اللتين بصمودهما اضطر العدو إلى الالتفاف عبر تلال السدر والفريز (في عيناتا المقاومة) بعمق ٢ كلم للتسلل من هناك باتجاه المنطقة الواقعة بين بيت ياحون وكونين لكن العدو تعرض لهجمات قاسية فحاول تعزيز تواجده من جهة تلة شلعبون نزولا إلى كونين حيث كانت المقاومة له بالمرصاد فدمرت له أربع دبابات ميركافا وفجرت ذخائرها»

وقال المصدر انه من جبهة عيترون مرورا بليدا وميس الجبل وحولا والعديسة تقدم الجيش الإسرائيلي أمتارا محدودة وكذلك أمتارا محدودة جدا في جبل الباط المتاخم لعيترون، وفي تلة العاصي المتاخمة لميس الجبل وفي تلة العباد (الجزء اللبناني) المتاخمة لحولا.

وعند مركبا تقدم العدو باتجاه تلة القبع المشرفة على وادي السلوقي، وكذلك عند بوابة الدواوير (بين مركبا والعديسة) باتجاه مشروع الطيبة من تحت منطقة «رب ثلاثين» والهدف من التقدم في منطقة مشروع الطيبة هو نهر الليطاني والمتابعة من هناك إلى نهر القيقعية ويؤكد المصدر أن الجيش الإسرائيلي «عجز حتى الآن عن تحقيق أي تقدم جدي في تلك المنطقة وقد اضطر إلى الالتفاف من القنطرة إلى خلف الطيبة نزولا إلى وادي الحجير حيث تصدت له جيوب المقاومة المتواجدة هناك بكثافة واستطاعت جعل المنطقة بمنزلة الكماشة بالنسبة للإسرائيليين».

تفجير مخابئ مسلحة

وأضاف المصدر إن «الجيش الإسرائيلي لم يستطع أبدا تحقيق أي اختراق على جبهة كفركلا» .. وحتى أيام الاحتلال لم يكن باستطاعته الصمود طويلا، وكان يخسر كل يوم جنودا وآليات.

اما على خط مرجعيون فمن الصعب جدا أن تستقر القوات المحتلة هناك، فحزب الله عمد يوم التحرير إلى تفجير المخابئ الإسمنتية المسلحة التي كان يحتمي بها الجنود الإسرائيليون في مرتفعات إقليم التفاح والنبطية وقلعة الشقيف والتي كانوا منها يحكمون السيطرة على المناطق المكشوفة». كما أكد المصدر أن بلدة الخيام لم تسقط، وأشار إلى أن الجيش الإسرائيلي خسر أكثر من ٥٠ دبابة حتى الآن بينها ٢٣ دبابة دمرت يوم السبت.

كذلك أشار المصدر إلى أن الجيش الإسرائيلي «لم يستطع حتى الآن الزج بطائراته المروحية في المناطق التي حقق فيها تقدما، واكبر مثال على ذلك ما حدث لناقلة الجنود في ياطر.

كل الدمار لعبة من ورق أمام انكسار النفوس



14/8/06

بنت جبيل (جنوب لبنان)

مواطنون في بنت جبيل انتظروا الفرج.. ومعهم جثتان



تبكي بيتها وشقاء عمرها وتودع أطلالا ما أرادت تركها لولا المرض الذي بدأ يفتك بجلدها. أليست خسارة علاقة ما، ولو كانت مع الحجر، موتاً صغيراً؟!

شاب في المقاومة ارشدنا الى فيروز حبيب شامي (٦٨ عاما) الصامدة، أو «المنسية». نذهب إليها فنجدها وسط غابة من الدمار، أمامها ينام زوجها علي شامي (٧٢ عاما) الذي أصيب بشلل نصفي نتيجة الصدمات والهلع ومعها تجلس ابنتها لينا (٢٣ عاما) وجارتاها نمرة شامي (٧٠ عاما) وسكنة سعد (٦٥ عاما) وفي الغرفة الأخرى جثتان، واحدة لمحمود حوراني (٧٠ عاما) والثانية لفاطمة عيسى صعب (٧٠ عاما)، اما في الغرفة الخلفية فكان عنصران من الصليب الأحمر اللبناني يرفعان كلا من سهجنان شامي (٧٥ عاما) ومريم داغر (٧٢ عاما) من تحت الركام وهما في حالة صحية خطرة للغاية.

كان المواطنون التسعة يحتمون في منزل واحد، هو منزل علي شامي في بلدة بنت جبيل- جنوب لبنان، عندما أغار عليهم الطيران الحربي الإسرائيلي قبل ١٣ يوما.



● الحاجة نمرة شامي آخر الخارجين من بنت جبيل المنكوبة



● الحاجة سهجنان شامي بقيت تحت الركام ١٢ يوماً.

مع الجرحى وبين الجثث

١٣ يوما تمضي وفيروز تنتظر، مع الجثتين والجريحتين والزوج الكسيح، والبقية، «الفرج» الذي اطل عليها صباح أمس مع بدء سريان قرار وقف القتال بين حزب الله وإسرائيل، وبالتالي وقف الاعتداءات الإسرائيلية التي حولت البلدة، كما فعلت في الكثير والكثير من المدن والبلدات والقرى اللبنانية، إلى ارض بور لا حياة فيها ولا شجر ولا حجر.

نترك استراحة صور عند التاسعة صباحا ونتوجه جنوبا لأول مرة بدون خوف منذ ٣٥ يوما، لكن الحذر والقلق كانا مرافقين لنا. فيوم الأحد مر قاسيا جدا على صور وضواحيها، وصوت الصواريخ الجوية والقذائف البحرية والبرية وصل النهار بالليل واستمر حتى ربع الساعة الأخير قبل دخول قرار وقف النار حيز التنفيذ.

الماضي والحاضر

نصل بنت جبيل بعد جولة تفقدية شملت قرى وبلدات أخرى عند الساعة الثانية بعد الظهر فالطريق من برج الشمالي جنوبا، وكذلك الطريق من مفرق جويا باتجاه تبنين، تعج بالجرافات التي تعمل على فتح الطرقات المردومة بركام المنازل المدمرة وآثار القصف أمام المواطنين العائدين الى منازلهم وأملاكهم بعد فراق قسري وتهجير هنا وهناك.

هذه البلدة يمكن القول إنها أبيدت بالكامل بفعل زلزال قوي أو بركان أو حرب عالمية جرت على أرضها. المدخل الرئيسي الذي يسمى «صف الهوا» لإطلاله على أكثر من تل بدا وكأنه انقلب رأسا على عقب، وما كان يزين مداخل البلدة من مبان ومؤسسات



● الحاجة فيروز شامي ترفع يديها للسماء وتشكر الله على السلامة

حديثة ومتطورة لم يبق منها غير أكوام من الرماد والحديد.

أطلال وصمود

لا نرى أحدا ونحن نسير فوق الركام، وفوق أطلال بيوت وعمارات وشوارع وأندية ومحلات ومعارض ومطاعم وثانوية وسرايا حكومي ومخفر للشرطة، كلها صارت في الماضي. البلدة المدينة القضاء تاريخ جبل عامل ومنبع الشعراء والكتاب والثوار مفعمة بالجراح والآلام وأوجاع التدمير والقتل. أين أهل قلعة الصمود؟ أين تجار بنت جبيل وعمالها ومزارعوها وأطباؤها ومهندسوها وطلابها.

لكن قلعة الصمود لم تنحن، وها هي أم لينا تقفل بوابة دارها بشريط حديدي قبل أن تودعه بقبلة ساخنة «إن شاء الله منرجع عا ديارنا قريبا كلنا سوا».

قالت فيروز كلماتها بغصة هيجت أشجاننا، مددت يدي اسلم عليها فأحسست وكأني امسك بقلب خافق، كان خفقانه يسبقها إلينا ربما إلى الفرج الذي انتظرته ٣٣ يوما ذاقت خلالها أصعب لحظات الموت والخوف والهلع والجوع والضعف.

ترفع فيروز طرف منديلها تغطي به رقبتها الممتلئة بحبيبات حمراء ملتهبة هي نفسها التي تغطي أيضا وجهها ويديها. هذا المرض الجلدي رأيناه أيضا على وجوه وأيدي الآخرين. «قد يكون السبب تنشقهم روائح الجثث المتعفنة لمدة أسبوعين»، قال عنصر من الدفاع المدني وهو يضمد جروح مريم داغر بينما كان زملاؤه ينقلون جثة محمود.

تتقدم نمرة تودع جارها الشهيد بآهات مدوية وأدعية تتمنى له فيها الرحمة في

السماء بعدما فقدها على الأرض، تلتفت إلي وتقول: قضينا الليالي ساهرين عليهما (الشهيدين)، «نطرد الكلاب والقطط حتى لا تنهش لحمهما»، ثم تضيف «كيف كنت بدي اترك من هنا والشهيدان لم يدفنا بعد».

من بين الركام إلى التهجير

نسير مع الصامدين، حملوا أكياسا بسيطة فيها بعض الملابس «نحتاج إلى تبديل ثيابنا» تقول نمرة وتضيف «لم نخلعها منذ شهر». لا يدعوننا نساعدهم في حمل ما أسموه «أمتعتهم» «ما بدنا نعذبكم شوفتكم بتسوى الدنيا الله يحميكم».

حتى وهم موجوعون يتمسكون بآدابهم وأخلاقهم ولطافتهم، يقبلونك بحب، ينظرون إلى عينيك بحنان، يخجلون من دموعهم فيحبسونها حتى يكادوا يغصون بها، يزيحون الطرف ليدعوها تسقط بين الأكف ثم يجففونها بثيابهم.

عند أطراف البلدة حيث تقف سيارات الدفاع المدني والصليب الأحمر يتفرق شمل الجيران لأول مرة. الجرحى في سيارة والشهداء في الأخرى والأصحاء في ثالثة.

«صوريني وسجلي لي رسالتي إلى أولاد أخي وابني في بيروت حتى يعرفوا وين نحن وفي أي مدرسة وضعونا، هم يجهلون مصيرنا، الله يخليك لأهلك لا تنسي».

هكذا ودعتنا فيروز بصوت مبحوح ويد مرتجفة تلوح فوق جسد زوجها المستلقي على الحمالة ويدها الأخرى تمسك بيد ابنتها الدامعة لينا.

تبتعد سيارات الإسعاف فيعم السكون القاتل، واعرف أن كل ما شاهدته عيناي من دمار وتدمير وخراب وابادة ما هو إلا لعبة من ورق أمام هذا الألم العميق الذي يجرح قلوب هؤلاء الناس.. الحجر بيتعمر لكن النفوس كيف يمكن إعادة ترميمها بعد أن تخسر أمنها وسكينتها وأمكنتها والهواء الذي تعودت عليه.

البحث عن البلدة

أسير في البلدة أتنقل بين حاراتها التي اعرفها ظهرا عن قلب. هذا حي المحيريق وهذه حارة «الجماعنة» (تجمع عائلة جمعة)، وتلك البركة وتلة مسعود والحي القديم والمئذنة وكأنني أراها أول مرة، ابحث عن الزوايا التي تختزن سنوات طفولتي. أفتش عن التلال التي فرشت عليها أحلامي، افتقد الأشجار التي طالما تأرجحت على أغصانها وغفوت في فيء أوراقها، أتذكر جُدي وجدتي وأولاد الجيران وجارنا الضخم وابنته الغنوجة وزوجته اللطيفة التي كانت تطعمنا الحلاوة.. أين بيوتهم؟! أين بيتنا؟! أين الساحة وطريق البركة والكروسة وكروم التين وعرايش العنب وقاعة معرض الكتاب والكشافة؟! أين بنت جبيل وسوق الخميس الذي كان يجمعنا بكل أهالي القرى والبلدات المجاورة؟!


● معالم الزلزال في بنت جبيل

خوف وقلق

ذهب السوق وناسه وأحباؤه وزواره وبائعوه وبقيت بنت جبيل كما رأيتها أمس مثالا آخر، لكنه الأكبر والأوضح على عدوان بربري ارتكبته دولة معتدية هي اسرائيل، على بلد يحلم بالأمن والسلام والنمو، هو لبنان.

لماذا لم يتفقدها غير القليل من الصحافيين والإعلاميين؟! هل اكتفوا بالمشاهد التي خزنوها في كاميراتهم قبل أسبوعين؟! اليوم هناك واقع جديد في بنت جبيل يفوق بفظاعته ما كان في بداية العدوان مرات ومرات.

لماذا لم يأت إليها إلا بعض من أبناء الجوار الذين جاءوا بدافع الفضول وليس لهم في البلدة ما يتفقدونه، هذه البلدة كانت في مقدمة البلدات التي شهدت حركة عمران وإعادة بناء لا مثيل لها لمجرد انسحاب المحتل الإسرائيلي من الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠، وها هي اليوم الأكثر دمارا ونكبة.

جولتنا كانت بدأت من برج الشمالي أولا (التي كان لها حصة الأسد من اليوم الأخير للعدوان الذي أدى إلى استشهاد أربعة مدنيين والكثير من الدمار)، ثم إلى البازورية وحانويه وعين بعال وقانا والبياض وصديقين ورشكنناي حتى نصل إلى كفرا، ومن هناك إلى ياطر حيث لا تزال المقاومة تحاصر ركام مروحية عسكرية إسرائيلية وجنوداً إسرائيليين لم نعرف شيئا عن عددهم ولا مصيرهم رغم إلحاحنا الكبير على عناصر المقاومة الذين استقبلونا بالترحاب والبسمات شرط «عدم التصوير وتجنب الأسئلة الحساسة والمحرجة».

الخوف والقلق اللذان لمسناهما في بنت جبيل من خلال غياب حركة النزوح صعودا في اليوم الأول من وقف القتال لاحظناه أيضا في جميع المناطق المحاذية للشريط الحدودي.

وموكب السيارات المدنية التي زحفت منذ الصباح من بيروت وصيدا والشوف والشمال توقف عند القرى والبلدات القريبة نسبيا من الساحل أكثر منها إلى الشريط الحدودي، ربما السبب هو الدمار العظيم الذي أباد أحياء سكنية بكاملها في كثير من الأماكن، وربما هو الخوف أو الهلع الذي كان باديا بوضوح على وجوه المواطنين بالرغم من السرور الذي أبدوه لقدرتهم على تفقد أرزاقهم.

كثيرون تحفظوا نهائيا تجاه العودة.. بيوتهم اصبحت اثراً بعد عين.. وإن عادوا فسيكون العراء مأواهم.. «إلى أين نعود» تقول ناديا أشقر وهي تقود سيارتها باتجاه صديقين ومعها أمها وأخواتها واثنتان من جيرانها لتفقد المنازل هناك. «أين نسكن؟ لم يبق شيء».

كانت السيارات المرافقة لسيارة ناديا، كل إلى اتجاه، محملة فقط بفرش إسفنج ربما هي نفسها التي ناموا عليها في المدارس وهنا وهناك أثناء فترة التهجير القاسية.

أسأل احمد سليم الذي كان متوجها إلى ياطر ما اذا كان سيعود إلى الشوف من حيث أتى أم سيقضي ليلته في قريته فيجيب «الأمر متوقف على حال المنزل وكيف سنلقاه ويلقانا».

أسأله ثانية إذا ما كان آسفا على كل ما جرى فيجيب «هل هناك غير المجرم من يتمنى الحرب والموت والقتل»، ثم يستدرك ويقول «العدوان قائم علينا منذ زمن بعيد ولولا المقاومة لكان صار أكثر من الذي وقع لكن الذي تغير أن أحدا لن يستطيع انتزاع كرامتنا وعزتنا منا مهما قتل وهجر ودمر».

الناس العائدون من التهجير، ولو إلى حين، حملوا معهم الشعور بالنصر لصمودهم أولا. والنصر لعدم تمكن العدو من احتلال منازلهم إن بقيت.

بدوا لي متعبين جدا من التهجير والبعد والتشرد والمعاناة التي لا حصر لها، لكنهم كانوا بالطبع سعداء بالأمان وسكوت المدفع رغم أن الطائرات الاستطلاعية الحربية لم تفارق سماء الجنوب.

الأغاني الوطنية كانت تنبعث عاليا من مذياع السيارات التي زينت بالأعلام الوطنية وأخرى صفراء (خاصة بحزب الله).

والفرح المستكين الذي جاء متنافرا مع صوت الجرافات التي كانت تعمل جاهدة على إزاحة الدبش والركام من على الطرقات، وتبذل جهودا مضنية لفتح طرقات فرعية بدل تلك التي لا أمل منها.

تغيرت معالم المناطق للمرة الثانية في شهر واحد، لكن هذه المرة ليس باتجاه تغيير معالم الجغرافيا (التضاريس) بل ببث حياة متجددة ولو كانت آتية من الملاجىء وبهو المدارس والمساجد والحدائق العامة.

تصبحون على وطن.

قبل عشر دقائق من وقف النار

ما ان وصل أحمد نصر الدين الى قرية الشهابية حتى وجد ان المبنى الذي كان يسكن فيه ومحطة الوقود التي يمتلكها قد دمرا في ضربة جوية اسرائيلية قبل بدء سريان وقف اطلاق النار بعشر دقائق فقط. وقال لرويترز وهو يحبس دموعه «الحمد لله اننا نجونا، الممتلكات يمكن تعويضها اما الارواح فلا».

البقاء ولو في غرفة واحدة

غادر بعض النازحين الذين ضاقوا ذرعا ببطء حركة المرور، سياراتهم وعبروا احد الجسور الى الجنوب سيرا على الاقدام واخذوا يطلبون من سيارات على الجانب الاخر ان تنقلهم

وقالت سناء عياد وهي تحمل طفلا ويتبعها صبيان اخران «اتوق بشدة لرؤية منزلي، سمعت انباء عن انه دمر عن اخره، ولكن اذا وجدت فيه غرفة واحدة قائمة فسأبقى هناك مع اطفالي».

الدماء ستروي أرض الجنوب

قالت المواطنة خديجة حرب من بلدة جبشيت في قضاء النبطية وهي عائدة الى الجنوب ان «العدو الاسرائيلي قتل اطفالنا ودمر بيوتنا ولكن ايماننا كبير بالله سبحانه وتعالى وان هذه الدماء الزكية ستروي ارض الجنوب كما في كل مرة وتنبت زهورا يفوح عطرها في الارجاء».

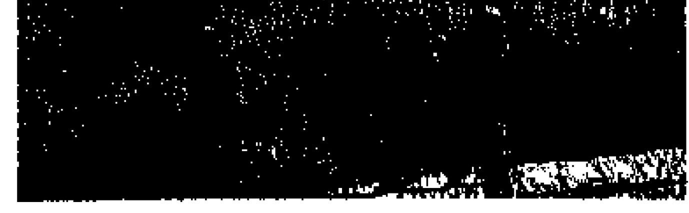
واضافت ان ابناء الجنوب مهما قست عليهم الايام سيعيدون بناء ما دمرته الآلة العسكرية الإسرائيلية، مؤكدة ان «هذه الارض ارضنا ولن نتنازل عنها وان المحتل سيعود منكسرا منهزما».

مع الجيش اللبناني

قال حسن بيطار من مدينة صور ان الدمار في المدينة وجوارها كبير جدا، وان منزله سوي بالارض، معتبرا ان هذا الامر ثانوي ولا قيمة له اذ يمكن إصلاح كل ما تهدم. واعرب عن امله بعودة الهدوء الى الجنوب واستمرار وقف إطلاق النار، وقال: «نحن مع دخول الجيش اللبناني الذي يدافع عن ارضه وشعبه».

15/8/06

الطيبة (جنوب لبنان)



في مواقع المعارك جنوباً

«جثث رفاقنا مفخخة.. وبيوتنا ممزقة وصامدون»



«قربوا قربوا ادخلوا البلدة ما في شي بيخوف هلق راحو»!

بهذه الكلمات شجعنا أبو ديب على دخول بلدة الطيبة (٩٥ كلم جنوب بيروت)، فنفاجأ أن الجيش الإسرائيلي لا يزال يحتل مواقع فيها، لاسيما محيط مشروع المياه على تل «رب ٣٠». تمر دباباته أمامنا ونشاهد الجنود ينظمون دورية راجلة بين بيوت التل، والطيران الاستطلاعي الحربي يملأ الأجواء ضجيجا وقلقا.

كنا عند يافطة تقول «العديسة تشكر زيارتكم» وأخرى تقول «الطيبة ترحب بكم» عندما مرّ رتل من الدبابات والجرافات الإسرائيلية بالقرب منا على طريق ترابية وسط حقول



● جنود اسرائيليون كانوا لا يزالون يرابطون في أحد منازل الطيبة

الزيتون وبساتين التين والسفرجل ودوالي العنب، كانت المسافة التي تبعد بيننا لا تتعدى الـ ٣٠٠ متر، تثبتنا في مكاننا وحبسنا الأنفاس حتى كدنا ننسى أن هناك قرارا لوقف النار، وان هؤلاء ما كان يجب أن يكونوا هنا أو ربما ما كان يجب علينا نحن أن نكون هنا!

وقفنا نراقبهم وننتظر أن يبتعدوا عنا، حرصنا على أن تكون إشارات الصحافة التي طبعناها على سياراتنا وحتى قمصاننا واضحة. فالوقوع في مثل هذا الفخ في يوم الهدنة خسارة مضاعفة.

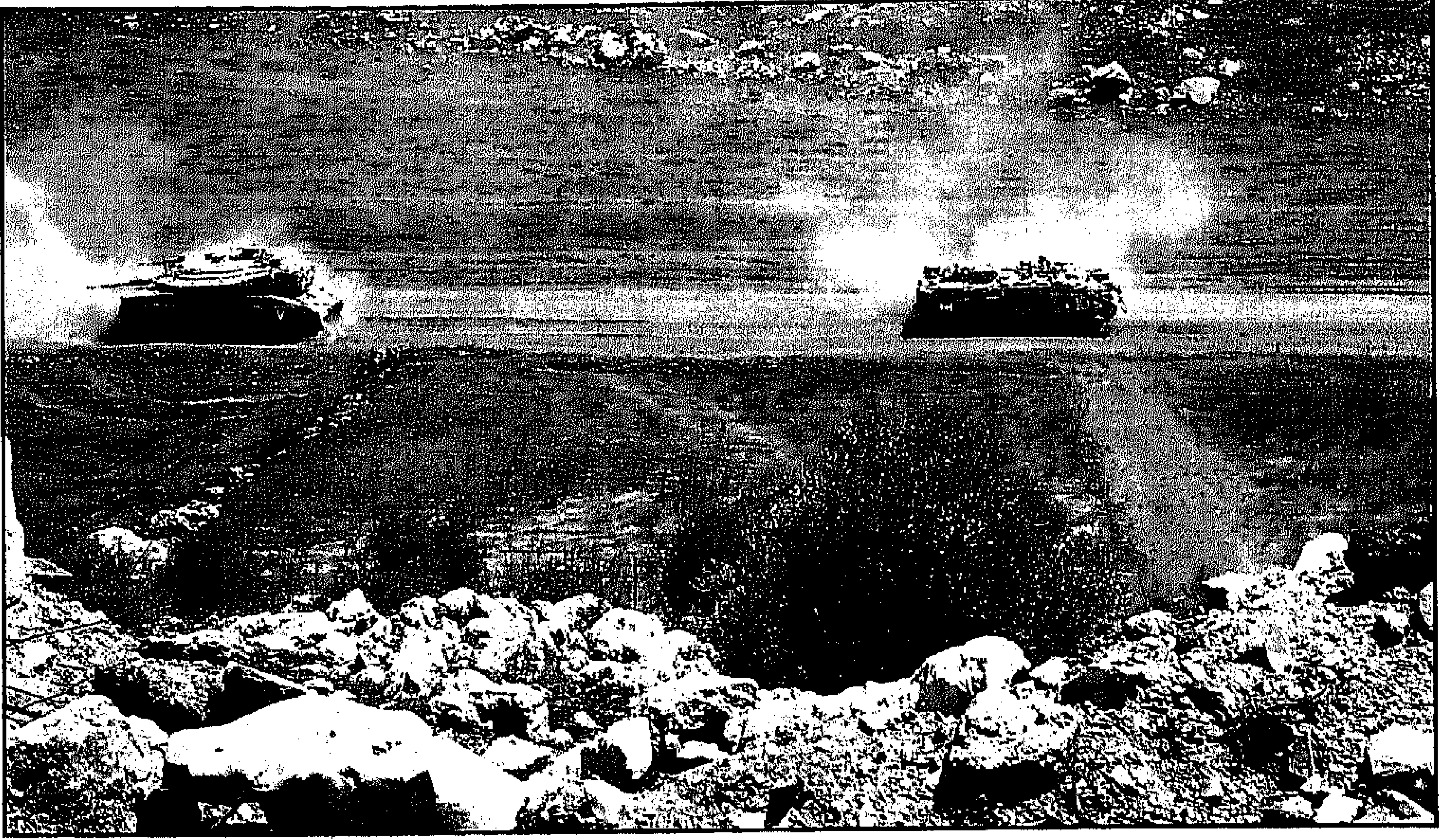
عندما مرّ الرتل بضجيجه وأغبرته وزمجرة جنازيره أدركنا أن الشعور الذي انتابنا لأكثر من عشرين دقيقة كان شعورا متبادلا. فالجنود الإسرائيليون مروا بسرعة. آلياتهم تتقدم جرافاتهم التي كانت تقطر دباباتين معطلتين.

كأنها بلدة مقفرة

كانوا يسحبون آلياتهم من الطيبة عندما وصلنا إليها، نتقدم في ساحة البلدة التي تتوسطها بركة كبيرة مسيجة بأعمدة حديد تقطعت معظمها بسبب القذائف والصواريخ ورصاص المعارك. للوهلة الأولى خُيّل لنا أن البلدة مقفرة من كل حي يرزق، وقد روائح الجثث المسبلة عند مداخل البيوت وجيف الحيوانات النافقة تملأ الجو عبيقا مزعجاً. الركام يكاد يمحو كل آثار الطرق والأرصفة. صدى الدبابات والجرافات الإسرائيلية التي كانت تهدر على الشريط الأزرق (١ كلم من الطيبة) يضفي على المكان بعدا آخر من حرب لم تنته فصولها .

لكن ما إن تركنا السيارة وتقدمنا خطوات حتى تجمع حولنا عشرات الشبان الذين ينتمون إلى المقاومة.

يلتفون حولك في حلقة أمنية لا تعرف كيف



● دبابات اسرائيلية باتجاه مستعمرة مسكاف عام

تفتّك منها. يحرسون الأماكن المحظور تصويرها ويروح بعضهم يوزع الملاحظات والتعليمات الشفوية على الصحافيين والإعلاميين: «هناك جنود إسرائيليون متحصنون في بعض البيوت على المرتفعات، تصوير الوجوه ممنوع صوروا الخراب قدر ما تشاؤون».

جثث مفخخة!

نسألهم عن مواطنين صمدوا نستطيع مقابلتهم فيقولون «هناك الأبطال من عجائز ونساء وشباب مقاومة، لم نترك البلدة ولن نفعل» ثم يستدرك احدهم ويقول «هناك أكثر من ١٥ شهيدا تحت الأنقاض بينهم ١١ مدنيا وهناك جثث اربعة مقاومين بالقرب من «رب ٣٠» لا نستطيع سحبها لأن العدو زنرها بالمتفجرات»!

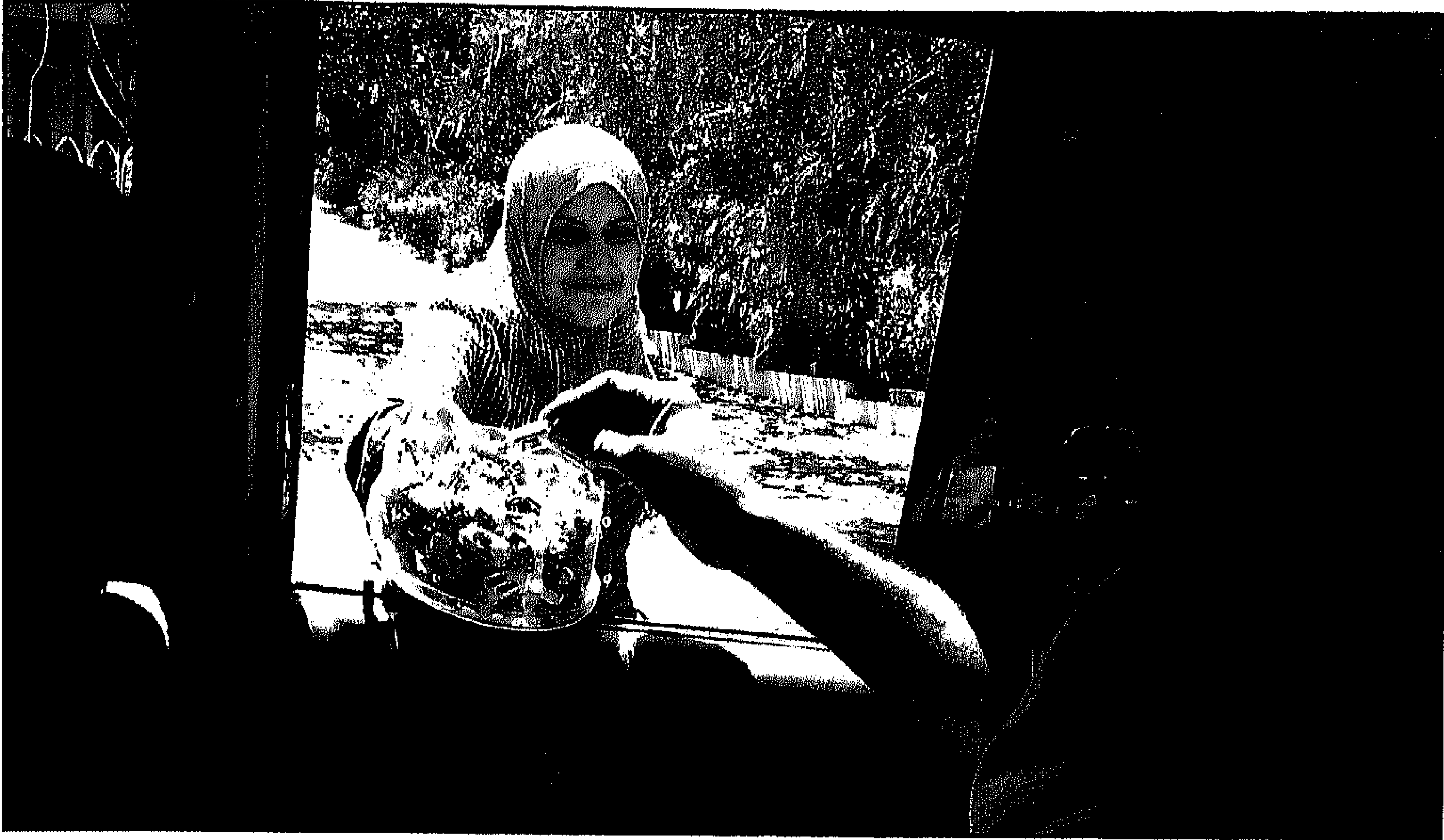
نتقدم باتجاه المنازل، فنلمح ثلاثة اكياس من النايلون تضم جثث الشهداء هاني عبد المرمر وزوجته ناهيا وطفلتهما اية (سنتان)، سقطوا خلال معارك جرت قرب البيوت بين الاسرائيليين والمقاومة.

وفي الجهة الثانية، عناصر للدفاع المدني والصليب الاحمر اللبناني يزرعون المكان ذهاباً واياباً، انهم يتفقدون المنازل المدمرة بحثا عن شهداء دفنوا تحت الركام.

«استطعنا سحب جثث عائلة هاني وثلاثة اخرين بينهم امرأة، لكن لا يزال امامنا ١٥ جثة اخرى»، ينهي مسؤول فريق الصليب الاحمر حديثه ويتوجه للانضمام إلى زملائه الذين بدأوا رفع انقاض عن منزل الشيخ عيسى الحمود وسحب جثته.

هنا دارت أعنف المعارك

نجول في البلدة المنكوبة.. مشاهد الموت والخراب تكاد تصبح عادية.. ننظر شرقا، باتجاه منطقة مشروع الطيبة، حيث دارت



● فاطمة شيت توزع الحلوى في ميس الجبل احتفاء بفشل العدوان

اعنف المواجهات والبطولات طوال ايام العدوان الخمسة والثلاثين.
البلدة مدمرة تقريبا وكذلك طرقاتها وأزقتها وأحياؤها الداخلية ومساجدها، نتقدم على وقع خطوات حذرة تسير بين الشظايا الجارحة والقنابل غير المتفجرة وبقايا صواريخ متفجرة، فعناصر المقاومة منعوا علينا التقدم بالسيارات بعد أن سمحوا لنا بالسير على مسؤوليتنا الخاصة.

لعبة القط والفار مع الإسرائيليين

نسير خطوات في طلعة المشروع، نتوقف برهة ونراقب، نلتقط صورا هنا وهناك للتمويه، نتقدم خطوات اضافية، فكشف موقع الجيش الاسرائيلي بالتحديد داخل المناطق اللبنانية في اليوم الثاني من الهدنة تفصيلا مهما جدا في التقرير الصحفي.

يتخيل لنا في كل حركة نسمعها ان هجوما ما موجه ضدنا، نلتف ونعرف ان ما اخافنا لم يكن سوى حفيف اشجار الحور وصوت خطواتنا فوق اوراق شجر التين اليابس، نتشجع ببعضنا ببعض ونتقدم أكثر حتى نصل إلى باحة قصر البيك احمد الاسعد، حيث كان يستقبل نصف سكان الجنوب في عهد زعامته في النصف الأول من القرن العشرين الماضي.
القصر صار اطلالا بعد ان هجره «ابن البيك أحمد وحفيده كامل». والوقوف في ذلك المكان اعاد إلى اذهاننا التفكير بالسبب الذي من اجله اطلق على هذه البلدة الجميلة المسالمة تسمية «طيبة» فالهواء كان عليلا إلى درجة انك تنسى اننا في شهر اغسطس، والمناظر الطبيعية التي تراها من هناك تمتد من قلعة شقيف ارنون إلى مرتفعات الجولان مرورا بسهل الخيام ومرجعيون.

رشاشات الإسرائيليين

فجأة يخرج ثلاثة جنود اسرائيليين من منزل يعلو سطحه قرميد ارجواني، لا تصدق ان هكذا منزل جميل يمكن ان يختبئ فيه مثل هؤلاء الجنود الهمجيين، يخرج جنديان آخران، يقول زميلي في الوكالة الفرنسية للانباء، المثل يقول: «إذا كان حبيبك عسل لا تلحسه كله»، نفهم قصده اننا اطلنا المكوث في مواجهة الخطر وتعدينا خط الامان الذي طلب منا المقاومون الالتزام به.

نتراجع وعيوننا على تلك المنطقة المطلة على الطيبة، وعلى قمتها يقوم مشروع المياه الذي من المفترض أن يوفر حاجة المواطنين في كل القرى والبلدات الواقعة ضمن القطاع الشرقي، إذاً لا مجال للوصول إلى الغندورية مع بقاء اصحاب الرشاشات المستنفرة حيث رأيناها.

نبحث عن المكان الذي قال لنا المقاومون ان جثث رفاقهم ترقد فيها مفخخة حتى لا يسمح لمحب بدفنها، فنرى فوهات رشاشات صارت باتجاهنا وكأنه انذار اخير لنا على التراجع.

نترك الطيبة ونمر عبر الشريط الحدودي أو ما يعرف بالخط الازرق بمحاذاة كفركلا، ثم نعود ادراجنا.

الفرح والحزن في خط واحد

كنا اخترنا في اليوم الثاني لوقف العمليات القتالية بين حزب الله وإسرائيل التوجه إلى القطاع الشرقي من جنوب لبنان، وتحديدا إلى القنطرة والطيبة ووادي الحجير والغندورية التي شهدت معارك طاحنة خلال العدوان الإسرائيلي الأخير، وهي المناطق ذاتها التي كانت إسرائيل تضع جزءا كبيرا من ثقلها العسكري واللوجيستي للسيطرة عليها في كل عدوان كانت تشنه على لبنان، كما حصل منذ عام ١٩٧٦ حتى عدوان يوليو ٢٠٠٦.

سلكنا الطريق التي تمر من جويا، الشهابية، كفردونين، خربة سلم، السلطانية، بئر السلاسل ومن هناك نأخذ المفرق الذي يؤدي إلى صفد البطيخ، برعشيت، شقرا، ميس الجبل، حولا، مركبا (المواجهة لهونين)، العديسة ومنها إلى الطيبة.

على طول الطريق، تختلط صور النزوح العكسي صعودا باتجاه الجنوب مع صور الفرح الكامن في علب الحلوى التي كانت توزع على المارة يمينا وشمالا، كما تختلط الأغاني الوطنية مع تلاوات من القرآن الكريم، تنبعث الأولى من السيارات المحملة بالمواطنين على اختلاف أعمارهم وبالأغطية والفرش، فيما تنبعث الثانية من سيارات الموتى المحملة بالشهداء لدفنهم في مسقط رأسهم.

الشوق للعودة إلى المنزل

لكن المشهد الموحد هو ذاك الجبروت الذي تقرأ ملامحه في كل وجه تصبّح عليه، أو يلقي عليك تحية الصباح، لم يتحملوا ساعة إضافية بعيدا عن منازلهم، فحملوا ما كانوا

حصلوا عليه خلال رحلة التهجير في المدارس والحدائق العامة .

«ليس المهم البيت ولا العفش ولا المال المهم الكرامة تبقى محفوظة والرأس يبقى مرفوعا» .

قال أبو حيدر علوش ردا على سؤالي عن منزله، لقد كان يملك منزلا كبيرا على أطراف هونين وأمام المنزل أقام ثلاثة محلات يديرها أولاده في أعمال تجارية خلال العدوان لم يبق من المنزل ولا المحلات شيء.

ويضيف «بقينا نحن وبقيت المقاومة، صحيح اللي خسرناه كبير وكلفنا عمرا لإنشائه لكن لو راحت الكرامة راح العمر».

بهذه الروح يرد عليك التحية هؤلاء الذين نزحوا منذ شهر فقط إلى اماكن ما كانوا يتصورون انهم سيقضون فيها ليالي وأمسيات قلقة ونهارات فارغة.

يعرفون عن أنفسهم «بالمنتصرين» ويرفعون شارات النصر امام الكاميرات ومع بعضهم يتبادلون التهاني وتوزيع الحلوى. تنظر إلى امتعتهم وتتخيل ما شاهدته قبلهم في القرى والبلدات وتستغرب هذا الموقف. انهم مستعدون لخسارة الحجر وحتى البشر إذا تطلب الامر، لكن ان يعودوا إلى ما قبل عام ٢٠٠٠ وينسوا طعم فرحة التحرير فهذا ما لا يقبله منك أي من هؤلاء مهما كانت خسارته كبيرة.

كنا نتوقع ان تختلف تصريحاتهم بعد مرورهم في طريقهم إلى الجنوب بالدمار على طول الطريق الممتد من الضاحية الجنوبية لبيروت مرورا بجسور المطار والدامور والزهراني والغازية وغيرها من امثلة النكبة التي اصابت البلد، لكن اقوالهم دخلت ملفات التسجيل واوراق دفاترنا أكثر صخبا واصرارا على الصمود عن تلك قالوها لنا في طريق النزوح ومن غرف المدارس التي لجأوا اليها ومن وراء اسرة جرحاهم في المستشفيات.

أليسوا هم من قاتل بصمودهم اكبر واعنف جيش في الشرق الأوسط؟! يحق لهم التفاخر بصمودهم وقدرتهم الجبارة على تحمل المعاناة والآلام والمكابرة على الجروح، يحق لهم التأفف إذا ما صادفوا زحمة سير في طريق عودتهم إلى ديارهم لكنهم لم يفعلوا، بل وقفوا خارج سياراتهم ينظرون إلى الامام باتجاه الجرافات التي كانت تفتح الطرق أمامهم. لا عودة إلى الوراء حتى لو اضطر الأمر إلى المبيت في الطرق لحين فتح الطريق كما يحدث عند ضفاف النهر.

على طريق ميس الجبل يقف حسين حلاوي وابنه عصام يصلحون محطة الوقود التي اصيبت بشظايا قذيفة، فيما تقف زوجة ابنه فاطمة شيت توزع الحلوى على المارة.. انه فرح العودة إلى حياة السلم ام دحر العدوان، كلاهما مرتبطان بالسياق نفسه.

16/8/06

الخيام (جنوب لبنان)



سجن الخيام سيصبح محمية ليبقى شاهداً

إسرائيل أزالت «متحف» جـرائمها بـ٧٠ صـاروخـاً

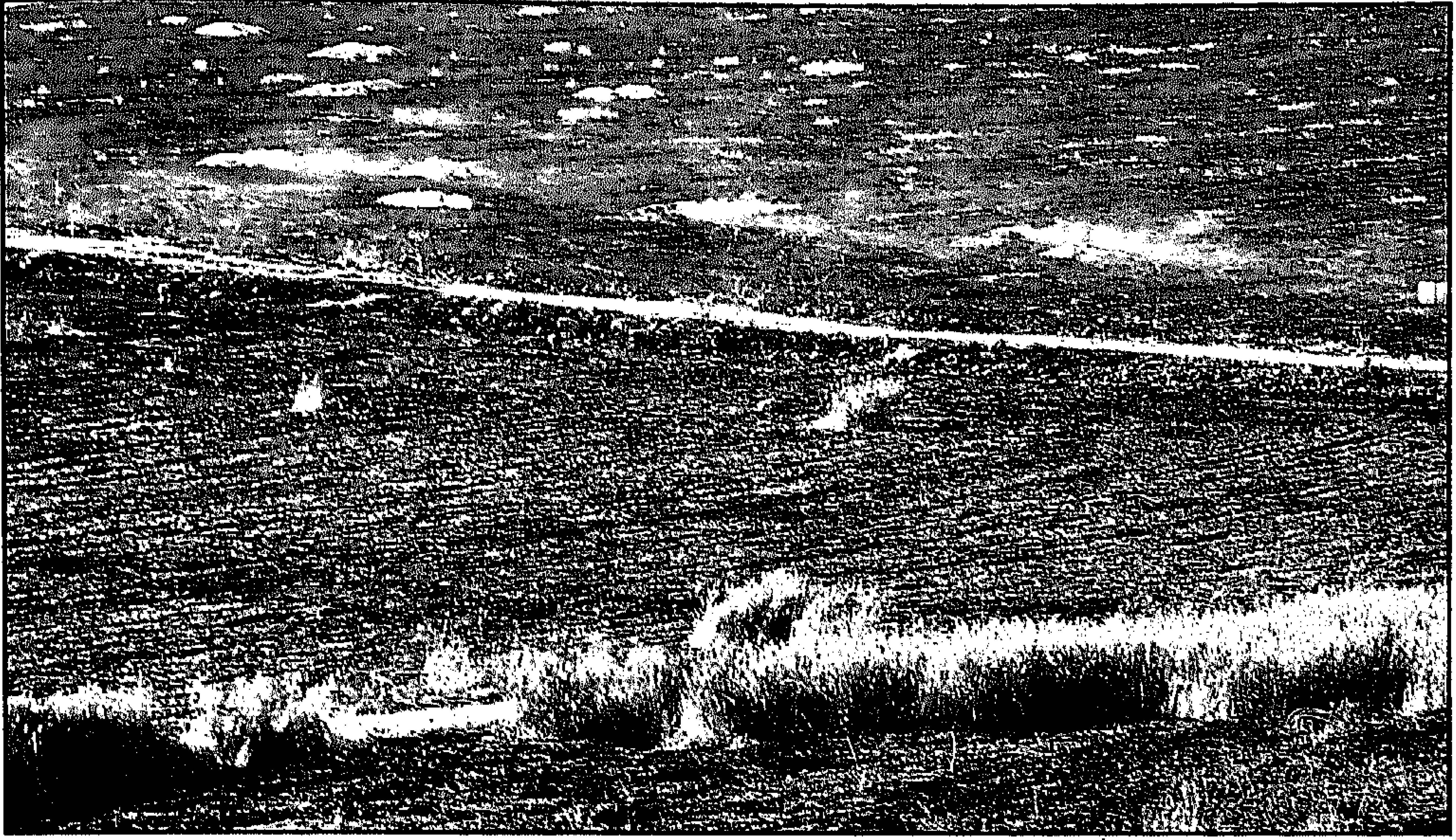


يبكي عبد زرقط (١٢ سنة) بحرقـة شديدة، يشهق، يفرك انفه، يمسح عينيه وخديه المبللين بدموع ساخنة، يمرر اصابعه بين خصلات شعره البني، ينزل يده اليسرى ويدخلها في جيب بنطلونه البيجي اللون، ينظر اليّ مباشرة فتلمع عيناه اللوزيتـان تحت الشمس التي راحت تسحب اشعتها فـوق سهل الخيـام لتغيب شيئا فشيئا خلف قلعة شقيف ارنون البعيدة.

لماذا تبكي؟ سألته فأجابني: «من اجل اللي ماتوا واللي تعذبوا مش حرام يصير معهم كل يلي صار، انا لا احب الحرب ولا الموت ليش ماتوا ليش قتلهم الاسرائيليون؟!».

انهال علي بأسئلة مشبعة بالدموع، كان يتلفت يمينا ويسارا يرفع يده اليمنى إلى مقلتيه محاولا عبثا ايقاف دموعه من الانهمار فوق خديه الغضين.

• معتقل الهمجية في الخيام بعد تدميره



● هكذا بدا سهل الخيام .. ارضاً محروقة

معالم الهمجية

التقيت الفتى عبد وسط ركام ما كان يعرف إبان الاحتلال الاسرائيلي قبل العام ألفين بمعتقل الخيام في جنوب لبنان، كان برفقة والديه، مصطفى وسامية وشقيقته سلوى، جاءوا يتفقدون المكان مع كثيرين من اهالي البلدة والمناطق المجاورة، ليشاهدوا ما آل اليه ما كان في يوم من الايام يمثل ابرز معالم الهمجية الصهيونية التي مورست على ارض لبنان، وتحوّل بعد التحرير قبل ست سنوات إلى متحف يعرّي تلك الهمجية.

لقد حولته عشرات الطائرات الحربية الاسرائيلية خلال العدوان الاخير إلى كومة ضخمة من الحجارة والتراب. أكثر من ١٥ غارة رمت خلالها الطائرات اكثر من سبعين قذيفة وصاروخا في يوم واحد.

قبل العدوان، كان المكان بمنزلة متحف يعرض فيه الكثير من ادوات التعذيب والتنكيل والاذلال الذي كان يمارسه جنود الاحتلال طوال ١٥ عاما بحق أكثر من ٣٠٠٠ لبناني، بينهم ٤٠٠ امرأة، سجنوا داخل زنازينه الستين (جماعية وافرادية) التي كانت موزعة على خمسة مبان، واحد منها كان مخصصا للنساء.

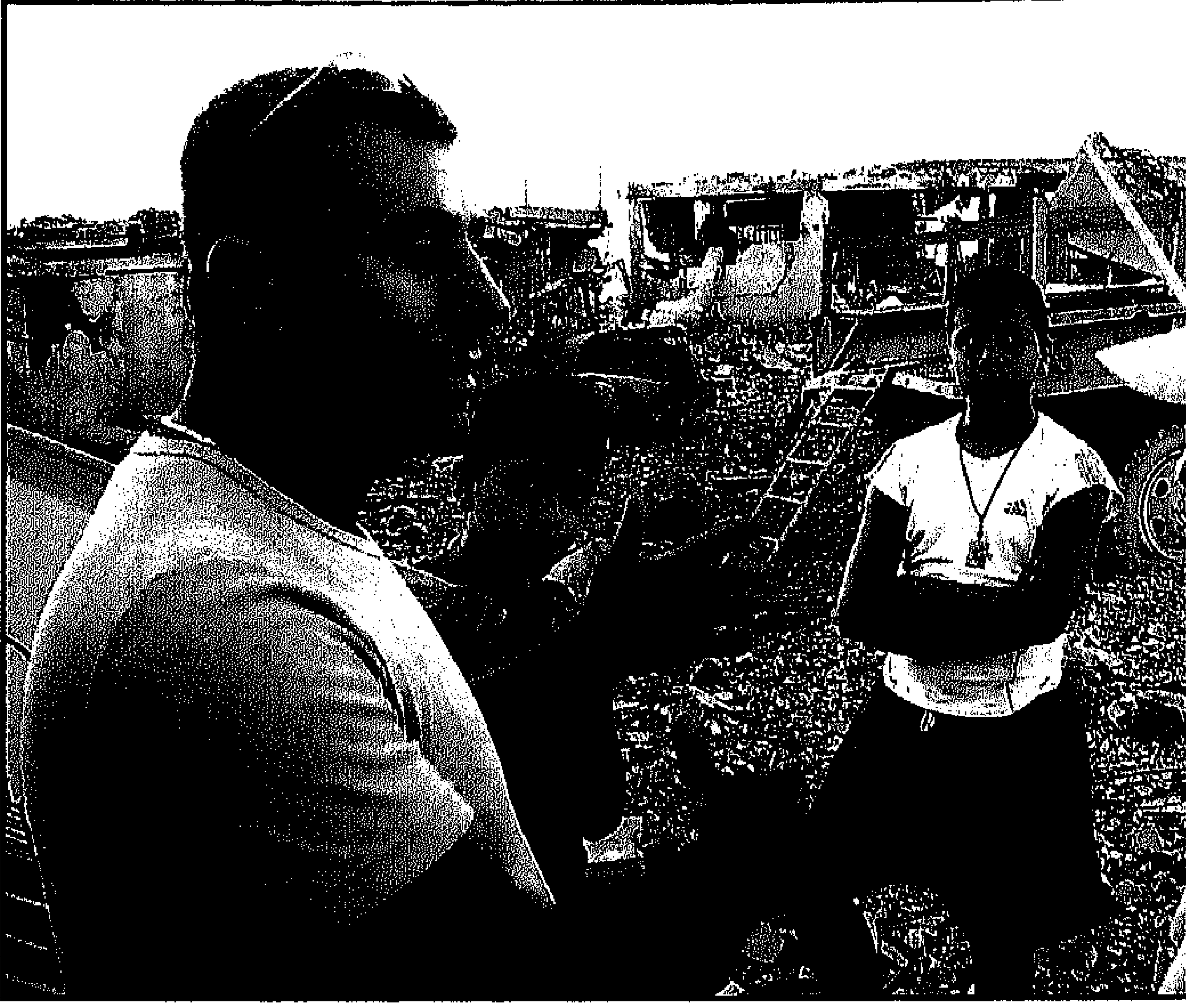
سقط المعتقل في مايو ٢٠٠٠ يوم حرر المعتقلون انفسهم بأيديهم، كسروا اقفال الزنازين وخرجوا احرارا فيما كان السجانون يفرون عبر الحدود باتجاه اسرائيل عبر مستعمرة المطلة المجاورة.

تفجير منهجي

وفي اليوم الثالث من العدوان، اغارت الطائرات لتمحو كل معالم المكان، وتمسح ابنيته بما كانت تختزنه من تاريخ يمتد إلى حقبة الاستعمار الفرنسي، ابان الحرب العالمية الثانية، إلى حقبة الاحتلال

الاسرائيلي وما تلاها، مرورا بايام الاستقلال عندما حول الجيش اللبناني المكان إلى ثكنة عسكرية.

التفجير المنهجي لنصب معتقل الخيام جاء متزامنا مع التدمير المنهجي الذي شنه العدوان الاسرائيلي على البنى التحتية وعلى الجسور والمباني السكنية والمدارس وغيرها من المناطق والاماكن وفق مشروع تدمير وحشي.


● المعتقل المحرر مصطفى زرقط يشرح التجربة القاسية

أرادوا أن يقتلوا الشاهد. فكل شواهد الجنوب تؤكد أنهم المجرمون القتلة.

اعتقدوا انهم بازالة جدران الزنازين التي اطبقت على مئات اللبنانيين، سيمحون اثار همجية احتلال استمر أكثر من ١٩ عاما، وسينتزعون صورة طبعت في اعين الملايين من اللبنانيين والعرب والاجانب الذين زاروا المكان بعد التحرير. لم يعرفوا انهم بفعلتهم الاخيرة رسموا ابعادا جديدة لتلك الصورة لتصبح أكثر وحشية وهمجية سيشهد عليهما هذه المرة العالم اجمع.

محمية العدوان

ابرز ما سمعته من تعليقات الزائرين اقتراحات بالإبقاء على المكان كما هو، وحظر لمس أو تحريك أي شيء من مكانه، البعض تمنى لو تجعل الدولة اللبنانية من المكان ما يشبه المحمية تحفظ التاريخ إلى الاجيال القادمة.

«انا من الزرارية وجئت بعائلتي إلى هنا لاتلو عليهم وصيتي»، قال مصطفى واضاف «وصيتي ان يحفظوا ما يرونه اليوم جيدا في ذاكرتهم وعيونهم إلى الابد حتى لا يفكروا يوما بان سلاما ما يمكن تحقيقه مع دولة تمارس مثل هذا العدوان على شعبنا».

مصطفى الذي يعمل في المانيا جاء لزيارة الاهل خلال العطلة الصيفية قبل بداية الحرب بايام قليلة، لكنه ابى ان يترك الوطن في محنته وقرر الصمود إلى جانب اهله واقاربه ورفاقه.

اعتقله الاسرائيليون عام ١٩٨٣ وساقوه اولا إلى سجن عتليت في اسرائيل، ثم، وبعدما تسلموا معتقل الخيام من جيش انطوان لحد العميل على اثر الانسحاب الجزئي وسقوط معتقل انصار، نقل مصطفى ومئات غيره إلى الخيام.

«كان عمري ١٦ عاما حينها، اما تهمتي فهي انني كنت ادرس مع شهيد من المقاومة في صف واحد.. دخلت السجن وانا لا اعرف الكثير عن اسرائيل مثل الكثيرين غيري، لكننا عندما خرجنا كنا رجالا نعرف عدونا جيدا ونعرف معنى الدفاع عن الارض وحماية الوطن».

قصائد في الصمود

ابتعد واترك مصطفى يخبر عائلته قصة سجنه، وماذا كان يدور بينه وبين السجانين وماذا كان يفعل رفاقه في المعتقل.
يستوقفني ياسر البدوي (٢٥ عاما) جاء من بعلبك (اقصى الشرق) ليزور جده في الخيام، يطلب مني ان ادون ابياتا من الشعر نظمها على عجل في المقاومة وما وصفه بـ«ملحمة الصمود والتصدي»، ثم يضيف «اعتقدوا انهم بتدمير مباني المعتقل سيمحون صورتهم البشعة من عيوننا لكنهم جعلوها أكثر بشاعة واكثر عمقا في ذاكرتنا».
في الاثناء نسمع صوت انفجارين كبيرين، نرتبك، فيقترب منا احد الموجودين بدا انه من مجموعة «العيون المراقبة» التي تجدها في كل مكان وتعرف انهم من المقاومة.
«لا تخافوا»، يقول «الشباب يفجرون الغاما تركها الاسرائيليون، امامنا نضال طويل ضد هذا العدو المقنع».

حرقوا السهل

بلدة الخيام التي تقع على بعد ١٠٠ كلم جنوب بيروت وترتفع عن سطح البحر حوالي ٧٥٠ مترا، شهدت مثل بلدات بنت جبيل وعيتا الشعب والطيبة معارك عنيفة وضارية طوال ايام العدوان الثلاثة والثلاثين، تكبد خلالها الجيش الاسرائيلي خسائر فادحة ليس اقلها تدمير ما لا يقل عن ٢١ دبابة ميركافا (بحسب المقاومة) ظل الجيش الاسرائيلي يحاول سحبها طوال اسبوعين، عمد بعدها إلى احراق كل سهل الخيام بكامل حصاد الصيف وغلته، الامر الذي كلف المواطنين خسائر كبيرة تقدر بمئات الالاف من الدولارات.
هذا السهل الذي يزرع فيه كل انواع الخضار والفاكهة إلى جانب القمح والذرة، صار فحماً اسود تنبعث منه روائح شواء السنابل وحبات الذرة، لم تسنح الفرصة لاصحاب الارض لحصاد الغلة التي كانت تغطي احتياجات قسم من المنطقة.
تنظر إلى السواد الكبير وتسأل عن حال البيوت التي تنتظر على التلال، تقرأ لافتة «الخيام ترحب بكم» تبحث عن الطريق فلا تجد غير اكوام مخيفة من الركام.
عند المدخل الذي اختفت معالمه كليا لا تزال ٢٦ شجرة صنوبر شامخة في الاعالي، تتفاءل قليلا، تتقدم خطوات وترى محطة الوقود الكبيرة وقد تحولت إلى حديد مصهور، تمر دورية للكتيبة الهندية العاملة ضمن قوات الطوارئ الدولية، أسالهم ما إذا كان لا يزال للإسرائيليين أي تواجد في المنطقة، فاسمع جوابين متناقضين «نعم لا» وعندما استفسر يقول لي احدهم «غو باك»

ارجعي ادراجك، لكنه يشير باتجاه تلال الخيام.

لم افهم على أصحابنا الهنود، وقررنا المضي إلى الأمام تاركين خلفنا سياج مستعمرة المطلة الذي أبقاه الإسرائيليون مفتوحا بعدما عبروا من خلاله بعشرات الدبابات الى داخل الخيام.

على الطرف الآخر لافتة تشير إلى «معتقل الخيام» كموقع اثري، كما كان هناك لافتات تدل إلى مواقع منتزهات ومنتجعات وبعض الأماكن الترفيهية مثل «حديقة البركة» و«الجنة لاند» و«المتحف الحربي» و«نبع القبة» و«نبع أبو منصور» بالإضافة إلى الكنائس والمساجد رمز التعايش بين المسلمين والمسيحيين في البلدة.

إذن، الخيام بلدة سياحية تغزل بها الشعراء وكتبوا أجمل القصائد، ولها غنى الفنان مارسيل خليفة قصيدة «سلام عليكِ» كتبها عميد المثقفين اللبنانيين والأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي حبيب صادق.

والبلدة المدمرة اليوم كانت شهدت اعنف المجازر الإسرائيلية، على مدى أعوام طويلة خصوصا عام ١٩٧٦ وعام ١٩٨٢ وما مر على اللبنانيين خلال الاحتلال.

«تفضلوا ادخلوا من هنا انتبهوا من الشظايا الكبيرة».

صوت جاءنا من بعيد بعد طول انتظار وارتباك بخصوص من اين نعبر.

كان حسن سطام عبد الله يقف وسط حقل الذرة ومعه عائلته المؤلفة من زوجة وستة أطفال راحوا جميعهم يلوحون لنا ويهتفون «يا مرحبا، أهلا وسهلا، تعالوا صوروا هنا، في صاروخ كبير لم ينفجر وهناك حفرة كبيرة تتسع لمائة شخص».

سرنا في حقل الذرة، لا نعي أين نضع أقدامنا، هل ندوس الأشواك أم شتلات الزرع، ام ندوس في المجهول فينفجر لغم ما أو قنبلة غير منفجرة.

«اغسلوا التفاح، ضعوا التين في صحن وقدموه للضيوف» راح حسن يوزع الأوامر على زوجته وبناته سوزان وفاطمة وهبة. كان أفراد العائلة وصلت للتو من بلدة تمنين التحتا حيث نزحوا هربا من القصف، وعندما عادوا إلى منزلهم في وسط البلدة وجدوه حطاما فقرروا المبيت في المنزل البستاني لحين تدبير الامر.

الزوجة اعتدال ارادت ممازحتي، اشارت إلى الحفرة الهائلة التي احدثها صاروخ اسرائيلي، قالت: «هنا كان يوجد حمام سباحة والآن كيف سنسبح وكيف سنكسب اللون البرونزي والصيف شارف على نهايته؟!».

اما سوزان (١٤ عاما) فسألتني إذا كانت ستجد اشرطة الاغاني الخاصة بها التي ضاعت بين ركام منزلهم «كان عندي ١٢٣ شريطا كلها اغان جميلة لنجوى كرم وربيع الاسمر وواحد فقط لفيروز بقيت ٣ سنوات أجمعها».

يسمعها والدها فيغضب ويؤنبها على «الأشياء البسيطة» التي تزعل عليها ويقول لي «لا تكتبي ما قالته كلنا فداء للمقاومة».

اما صهره عزيز الحاج فيقول انه خسر ما لا يقل عن ٨٠ الف دولار بعد ان احترق حقله بسبب قذيفة فوسفورية.

وقبل ان اودعهم تتقدم مني هبة (عشر سنوات) وتقول «خالتو إذا لم يصلحوا المدرسة اين سنتعلم؟!».

العدوان الاسرائيلي اعاد لبنان ما لا يقل عن عشرين سنة إلى الوراء ،وها هو غسان رمضان يقود سيارته «الفان» ومعه زوجته واطفاله الخمسة بينما امتعتهم المتواضعة فوق سطح السيارة كانوا عائدين من الطيبة التي وصلوها صباحا آتين من سوريا ليجدوا منزلهم على الارض.

«ذاهبون لتفقد اقاربنا في الخيام ونسأل إذا كان بامكاننا المبيت عندهم إلى حين يفرجها الله علينا».

اسرائيل تستنسخ كل ما في تاريخها من همجية ووحشية في معتقل الخيام.

17/8/06

الليطاني (جنوب لبنان)



الجيش اللبناني ينتشر جنوباً

ترحيب هادئ ونظرات الجنود متفائلة.. وقلقة

بدأ الجيش اللبناني أمس انتشاره على جميع الحدود الجنوبية تنفيذا لقرار حكومي اقرته الحكومة بالإجماع بما في ذلك وزراء حزب الله الذي أعلن موافقته من منطلق أن الأولوية هي لوقف العدوان الإسرائيلي الهمجي الذي أتى على الأخضر واليابس، ولإثبات أن الحزب ما أراد تلك الحرب يوما، كما صرح لـ «القبس» النائب عن كتلة حزب الله في البرلمان اللبناني حسن فضل الله.

فالانتشار الذي بدأت طلائعه مع الساعات الأولى من صباح أمس جاء عقب مرحلة أمنية خطيرة وصعبة للغاية بسبب العدوان الذي استمر لأكثر من شهر وجعل من لبنان «دولة منكوبة» كما أعلن ذلك رئيس الحكومة فؤاد السنيورة..

أبعد ما يكون

كانت الساعة لم تتجاوز السادسة والربع عندما بدأ الصحافيون والإعلاميون، بينهم «القبس»، يتوافدون إلى العبارة الحديد التي بنتها فرقة الأشغال التابعة للواء الهندسة في الجيش فوق



● طلائع اللواء الحادي عشر لحظة عبورها جسر الليطاني الحديدي



● طلائع اللواء السادس لحظة وصولها ميناء صور

نهر الليطاني في منطقة القاسمية بديلة عن الجسر الإسمنتي الذي دمرته غارة إسرائيلية بداية العدوان في الشهر الماضي، كما قطعت غارة أخرى الطريق الزراعية المتفرعة عن الجسر مما أدى إلى عزل صور واقضيتها عن باقي المناطق اللبنانية.

وعند السابعة وعشر دقائق صباحا عبرت أولى طلائع اللواء الحادي عشر شمال نهر الليطاني إلى جنوبه، وتحديدا عند نقطة تمركز اللواء الثاني عشر الذي يحمل شعار «أبعد ما يكون»، وذلك استعدادا للانتشار في المناطق التي غاب عنها الجيش اللبناني منذ عام ١٩٦٩ (منطقة العرقوب)، أو تلك التي غادرها منذ عام ١٩٧٨، على طول الخط الممتد من جويا إلى تبنين وبنت جبيل ومارون الراس فيما سينتشر اللواء السادس المشاة الذي وصل بحرا إلى المنطقة الممتدة من المنصوري وجنوبا باتجاه الناقورة وعيتيت وجسر الحمرا وصعودا باتجاه يارون، اما الثالث، وهو اللواء العاشر، فسينتشر في القطاع الشرقي.

كما يأتي الانتشار وسط مخاوف من مضاعفات قد تؤدي إلى تصادم بين الجيشين (اللبناني والإسرائيلي) بسبب إبقاء الأخير على بعض الجيوب داخل الأراضي اللبنانية (كما هي الحال في الطيبة ومارون الراس والبياضة). فالبعض يتخوف من أن تماطل إسرائيل في سحب تلك الجيوب وتستغلها في استدراج الجيش اللبناني إلى مواجهة أو تحاور مباشر، قد يؤدي بدوره في الحالتين إلى تصادم بين الجيش اللبناني وحزب الله أو بين الحزب والجيوب الإسرائيلية مرة ثانية، بحسب مصدر سياسي مطلع.

وما يعزز مثل هذه المخاوف العتاد المتواضع الذي يتسلح به الجيش اللبناني من جهة

والتطور الذي سيؤول إليه موضوع سلاح حزب الله من جهة أخرى.

لا احتفالات

لم تكن هناك أي مظاهر احتفالية كتلك التي شهدتها المناطق اللبنانية إبان أول انتشار للجيش في الجنوب عام ١٩٩٣ وعام ٢٠٠٠ عندما تجمهر المواطنون في ساعات الفجر الأولى وهم يحملون الزهور والأرز ورشوها على الجنود والضباط اللبنانيين.



● ضابط من اللواء ١٢ في الجيش اللبناني يتفقد جسر الليطاني الحديدي.

لم يكن في الشوارع سوى الشرطة العسكرية التابعة للجيش وبعض الدوريات الخاصة بالقوات الدولية والجسر الحديدي، الذي يبلغ طوله حوالي ٣٤ مترا وعرضه ٤ أمتار، استغرق بناؤه ٤٨ ساعة وأصبح جاهزا عند الثانية والنصف من بعد منتصف ليل الأربعاء/ الخميس، فيما كانت القوات تنتظر وهي على أتم الاستعداد عند جسر الدامور ابتداء من منتصف الليل.

وجوه الضباط والجنود العاملين في اللواء ١١ بدت عليها ملامح القلق والريبة من اي احتمالات قد تكون خطرة. كانت الوجوه جامدة وفي منتهى الجدية والنظرات ثابتة بدون أي تفاعل مع المحيط والتعاطي مع الصحافيين والإعلاميين كان فاترا إلى أقصى الدرجات.

عزاء وتحفظ

لا إجابة عن أي سؤال ولو بإيماءة مهما كان بسيطا ولا معلومات مهما كانت بديهية مثل استفسار إحدى الزميلات عن تعداد اللواء.

في الوقت نفسه، كان بعض المواطنين منشغلين عن الحدث ولو انه أتضح من إجاباتهم أنهم على علم بكل التفاصيل المتعلقة بالموضوع.

في مناطق ومحطات متعددة، وعلى طول الطريق الممتد من القاسمية إلى تبنين، حيث جالت «القبس» تستطلع ردة فعل المواطنين على خطوة الانتشار، كانت هناك عوائل تقيم مراسم عزاء وتستقبل معزين، فيما استمرت حركة عودة المهجرين جنوبا وسط ورشة من أعمال الطرق والترميم وجرف الركام وسد الحفر التي أحدثها القصف والغارات، ما جعل أجواء الحر الشديد تتغلف بالغبار المؤذي والروائح السامة.

مضمون القرار

لكن كل هذا لم يمنع الناس من التعبير



● مواطنون يتابعون مع قهوة الصباح انتشار الجيش اللبناني

بايجابية مطلقة، ولو متحفظة.

ففي حين أكد النائب فضل الله ما كان أعلنه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير من أن الحزب «يرحب بنشر الجيش في المناطق اللبنانية من منطلق أن أبناء هذا الجيش هم أبناء الوطن، والمناطق التي سينتشرون فيها جزء لا يتجزأ من الوطن».

وردا على سؤال حول ما الذي تغير عما قبل يوم السابع عشر من أغسطس قال فضل الله «كنا نخاف على الجيش من احتمال استهدافه من قبل إسرائيل، كانت المشكلة تكمن في مضمون القرار السياسي، فقبل الطائف لم يكن القرار الحكومي السياسي يعرف إسرائيل بالعدو الأول للبنان، ولم يحدد مهمة الجيش بالدفاع عن الوطن ضد هذا العدو اما القرار الأخير فيتلافى هذا اللغط والإشكالية».

ويضيف «بالتأكيد لم يتغير الكثير لكننا في ظل الظروف الأخيرة التي كانت بالغة الخطورة قلنا انه إذا كان قرار انتشار الجيش في الجنوب سيوقف العدوان على شعبنا فنحن موافقون ونرحب اشد الترحيب ونبدي كل الاستعداد للوقوف جنبا إلى جنب مع هذا الجيش لمتابعة مهمتنا التي نشأنا عليها الا وهي الدفاع عن لبنان».

غموض حول سلاح حزب الله

ويستدرك قائلا «بموافقتنا ربما سنثبت للمرة الألف اننا لم نرد، ولا نريد تلك الحرب واننا لا نحارب عن غيرنا إيران أو غير إيران».

ويضيف «وافقنا حتى نحبط أهدافهم السياسية بعدما جعلناهم يتكبدون خسائر عسكرية كبيرة».

ويـرفض الـنـائب فـضل الـلـه الحـديث في موضوع تسليم سلاح حزب الله، قائلا إن «طبيعة المقاومة تختلف عن طبيعة الجيش النظامي والموضوع بدأ النقاش فيه ضمن الحـوار الـوطـنـي وهـنـاك فـقـط يمـكن الاستمرار فيه وحسمه».

هذا الترحيب اقر به جميع عناصر الحزب الذين التقيتهم في أكثر من قرية وبلدة دون التمكن من ذكر أسماء. فالجميع عبر عن تأييد مطلق للخطوة، وأعلن رأيه بانضباط ووعي لافتين، ظهرا أيضا في آراء وردود المواطنين العاديين في تلك المناطق من مختلف الأعمار والطبقات.

علي بدرا (موظف بنك) قال «الانتشار أُمنية كل مواطن فالجنوب جزء من لبنان والجيش لكل الوطن، والشعب كفاه حروبا وتهجيرا».

اما جمال مكي، وهو أيضا موظف، فقد أبدى تخوفا من عودة الحرب بعد كل فترة زمنية ولو انه لم يبد أي اعتراض أو تأفف وقال «إسرائيل ستبقى عدونا وطالما هذا العدو موجود فلن يعيش لبنان بسلام أبدا».

وتدخل ثالث في الحديث طالبا عدم ذكر اسمه ليبدي تشاؤمه ومخاوفه فيما لو تم سحب السلاح من حزب الله وقال «ماذا لو هاجم الإسرائيليون وسلم الجيش اللبناني سلاحه لهم؟! بالتأكيد سيذبحوننا»، في إشارة إلى حادثة اقتحام الجيش الإسرائيلي لثكنة مرجعيون.

اما مريم قرعوني، (مهندسة من كفرا) فقالت «أنا لست سعيدة لان الجيش اللبناني غير مستعد للقتال، ويا خوفي أن تكون خطوة الانتشار محاولة لتحميل حزب الله ثقلا سياسيا يكون بمنزلة فخ له بعدما عجزوا عن إنهائه عسكريا في عدوان من أشرس ما شهده العصر الحديث».

ملاك كريم (٢٩ سنة) من ياطر قالت «الجيش جيشنا وإن شاء الله يرجع لبنان بهمة الجيش والمقاومة».

واكدت مريم هيدروس (٢٧ عاما) من ياطر أيضا «الجنوب جزء من لبنان ويحق لنا أن يكون لنا جيش ونحن بالتأكيد منتصرون على إسرائيل بجيشنا ومقاومتنا».

اما أبو علي قدوح (٧٤ سنة) من قانا فقال «اولمرت رمى علينا مناشير يقول فيها انظروا إلى الخراب لتروا ماذا فعل بكم نصر الله، ونحن نقول له انظر ماذا فعل بكم بوش نحن لدينا جيش ولدينا مقاومة ومنتصرون».

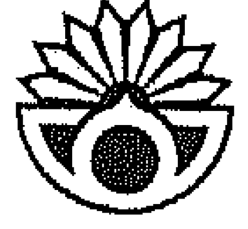
18/8/06

ياطر (جنوب لبنان)



لأول مرة وجهاً لوجه مع المقاتلين

هل تحدثنا مع من أسقط ساعور؟!



«تريدون مشاهدة حطام المروحية الإسرائيلية التي اصطادتها المقاومة في ياطر؟!».

اعتقدت في بادئ الأمر أن الشاب الذي كان يحدثني، من دون أن يعرف اسمي ولا هو قال لي اسمه، يمازحني أو يحاول استفزاز فضولي الصحفي، فالأمر كان حتى ٤٨ ساعة فقط، من المحظورات التي لا يسمح للصحافيين الإطلاع عليها!

كنا، أنا والزميل حسن عمار المصور في الوكالة الفرنسية للأنباء (فرانس برس) قصدنا ياطر في اليوم الأول من قرار وقف القتال بهدف رئيسي هو مشاهدة حطام تلك الطائرة الحربية التي أدخلت تحولا جوهرياً في العمليات الإسرائيلية في لبنان أسفر عن إفساد مخططات الجيش الإسرائيلي للاجتياح البري، الذي طالما هدد به طوال أيام العدوان الثلاثة والثلاثين،



● صناديق المياه المعدنية التي كانت ترميها الطائرات الاسرائيلية الى الجنود المتمركزين في الوديان والتلال

لكن الإجراءات الأمنية المشددة التي كان عناصر المقاومة يفرضونها على بلدة ياطر عموما ومكان إسقاط المروحية خصوصا، حال دون ذلك.

بالطبع، أجبت محدثنا دون تفكير ولا تردد وسألت كيف يمكنني ذلك ومتى؟ فقال «في الحال تعالي معي».

تشاور وتخطيط

التقينا محدثنا أمس في قانا حيث كنا نستطلع آراء المواطنين حول انتشار الجيش اللبناني في القرى والبلدات الحدودية الجنوبية، ركبنا السيارة واتجهنا إلى ياطر، على بعد ٨ - ١٠ كلم من قانا. في ساحة القرية، كانت حركة المواطنين هرجا ومرجا افتقدتهما طوال فترة العدوان.

توقفنا بالقرب من مجموعة شبان جميعهم ملتحون، تعرفهم من النظرة الأولى بأنهم من المقاومة، كانوا يتبادلون الحديث والنكات والضحك، ثيابهم متشابهة تقريبا وكذلك الخواتم الفضية في خنصر كل منهم، كان هناك أيضا أطفال يلعبون بعبوات مائية عليها أحرف عبرية، احدهم قدمها لي لأشرب، قائلا «إنها من غنائم النصر شربها حلال تحلّي».

انزوى مرافقنا مع احدهم بدا لي في سن المراهقة إذ لم تكتمل لحيته بعد، راحا يتهامسان، وبين الحين والآخر ينظران نحونا، بدأ الفتى يتحدث عبر هاتف المناداة «التوكي وكي» بصوت خافت جدا وهو يغطي فمه بكفه حتى لا يخرج الصوت بعيدا.

تقدم إلينا وأشار إلى حافة حائط منخفض، قائلا «استريحا هنا سنتدبر الأمر مع الإخوان المسؤولين».

لم يطل الوقت كثيرا حتى توقفت بالقرب منا سيارة بيضاء اللون نزل منها ثلاثة شبان

تتراوح أعمارهم بين الـ٢٠ و٢٧ عاماً، ثم جاءت سيارة أخرى لونها رمادي يقودها رجل في العقد الرابع من عمره التف الجميع حوله، وبعد دقائق نادى علينا مرافقنا لكي نتقدم وفعلنا.

«أهلا وسهلا يعطيكم ألف عافية» ورددنا التحية بالقول «الحمد لله على سلامتكم».

وتابع «نحن وانتم (الصحافيون) رفاق درب وشركاء في القتال كل على جبهته دوركم لا يقل أهمية عن دورنا وما حققتموه لا يقل قيمة وإفادة عن دحر العدوان».

قلت له «في المرة الماضية اجبرنا على العودة أدراجنا دون تحقيق هدفنا بتصوير الركام والمكان» أجاب «اعذرينا، كان لا بد من تأمين المكان جيدا حفاظا على سلامة الجميع فالجنود الإسرائيليون الذين استقدموا كقوة دفاع وحماية لسحب أشلاء الضحايا كان عددهم كبيرا جدا وظلوا يرابطون في المكان حتى اللحظة الأخيرة وربما إلى ما بعد ذلك ونحن لولا التزامنا بتعليمات السيد (حسن نصر الله) باحترام وقف العمليات لكنا اصطدناهم واحدا تلو الآخر مثل العصافير».

معنويات عالية

كان «القائد» يتحدث بثقة عالية جدا بالنفس، بدت عليه المعنويات الجيدة وكذلك على جميع رفاقه الذين حرصوا على التخاطب معنا بكل لطف وتهذيب ولو بحذر شديد.

«مضطرون لجعلكم تسيرون مسافة طويلة،



● اسلحة العدو وقد اصبحت اجزاء محطمة

ربما أكثر من عشرين دقيقة بقليل»، قال «القائد» وأضاف: «السيارة لا تصل إلى المكان لأنه في تل مرتفع.. شدوا الهمة وتحملوا القليل من الحر مقابل ما سيغني فضولكم».

صعدنا سيارتنا وصعد معنا القائد وسرنا لمسافة كيلو متر واحد تقريبا في الطريق، استوقفنا خمسة شبان كان ثلاثة منهم يحملون أسلحة كلاشينكوف ويرتدون بناطيل عسكرية زيتية اللون وقمصانا قطنية سوداء، كانت هذه المرة الأولى طوال أيام العدوان التي أرى فيها مقاتلين لحزب الله بأسلحتهم بصورة علنية. تقدم احدهم من شباك السيارة ووجه حديثه مباشرة إلى القائد وبدون أي كلمة لنا، سرنا بعدها مسافة لا تقل عن ٢٠٠ متر ثم ترجلنا وتوجهنا صعودا على أقدامنا مسافة عشرين دقيقة تقريبا بين الأشواك

والحشائش اليابسة، ونبات الطيون الذي يميّز صيف الجنوب بأريجه.

.. وأخيرا الحطام

كنا كفوج عسكري في مهمة سرية، القائد يتقدمنا ونحن نتبعه في خط مستقيم .
«هذا ما تصير إليه طائرات العدو إذا ما تجرأت وحاولت النزول على أرضنا»، قال القائد وترك لنا حرية التجول في المكان.
كان حطام الطائرة الحربية ينتشر فوق ارض مساحتها ٢٠٠٠ متر مربع تقريبا التهمتها النيران إلى حد لم تترك غصنا اخضر ولا حشيشا ولا نباتا في المحيط.
كانت الطائرة تحولت إلى قطع صغيرة وكبيرة من الحديد المصهور تختلط مع عتاد الجنود الذين كانوا على متنها أجزاء صغيرة ممزقة ومتناثرة في كل مكان، فجسم الطائرة انشطر إلى آلاف القطع.
حجم الحطام وقطع العظام البشرية التي لا تزال في الموقع تشير الى أن أحدا لم ينج من الهجوم، كما يتضح من بقايا حذاء نسائي وجد بين الركام أن مجندة أو صحافية كانت بين القتلى الذين قالت اسرائيل إن عددهم كان ثمانية، بينما يقدرهم حزب الله بأكثر من ذلك.

«ساعور» و«وعد»

ندور في المكان، ندوس على أشياء ونستفسر عن أخرى ونستأذن بأن يسمح لنا بملامسة هذه أو تلك والمرافقون لا يتأخرون عن الاستفاضة بالشرح والتعليق والتباهي بما حققته سواعدهم.
«إنها طائرة ياسعور- ناقلة جند جوية تتسع لـ٦٤ جنديا من ذوي مهمات الإنزال بكامل عتادهم وأسلحتهم»، قال القائد، وأضاف «الهجوم أريك ما كان يعتمد عليه العدو الإسرائيلي لإنجاح عملياته البرية، المروحية كانت تقل ضباطا كبارا ومسؤولين عسكريين كانت مهمتهم التخطيط لأكبر عملية تقدم بري والانتشار في خمس مناطق ممتدة على أطراف ياطر، كان يمكنهم لو نجحت خططهم أن يقطعوا الهواء والماء عن تلك المناطق».
أسأله عن الشخص الذي نفذ العملية وإحساسي يقول انه هو لكنه ينكر، كما يرفض الإجابة ويقول «المقاومون أسقطوها بصاروخ «وعد» عمرهم من عمر الوعد بالنصر، الحمد لله إننا وعدنا وأوفينا»
ويضيف «إذا كانت هذه الطائرة الهائلة الحجم هي مثال للجيش الإسرائيلي فان هؤلاء الشبان هم مثال لمن واجههم»، مشيرا إلى رفاقه الواقفين إلى جانبنا، ويتابع «احزري من منا فعلها؟ انتبهي، قد لا يكون الجواب بيننا».

الكمين ولحظة الهجوم

كان المقاوم الذي أسقط المروحية قد كمن عند أطراف الوادي أياماً وليالي طويلة لم يترك خلالها مكانه لحظة واحدة، كانوا يعرفون أن الجيش الإسرائيلي سيحاول إحداث أي اختراق للتمهيد للإنزال البري كفاتحة للعمليات البرية في المنطقة.

وكانت الطائرات الحربية أشبعت الجبال والوديان والأحياء السكنية قصفا وتدميرا، كان الكمين المحضّر ليلا لتلك الطائرة ولغيرها من الطائرات في اماكن عدة متفرقة مفاجئا، فالطائرة الهدف جابت السماء مرات عدة في جولات استكشافية وأخرى في عمليات هبوط وهمية حتى أصبحت على ارتفاع منخفض، وفي اللحظة المناسبة أطلق المقاوم صاروخ «الوعد» ليصيبها إصابة مباشرة أشعلت النار في محركاتها، وظلت تطلق شهبا في السماء لمسافة ٥٠٠ متر إلى أن سقطت حيث تناثر حطامها.

ويؤكد «القائد» أن نوع العتاد الذي رصد بين الحطام، وأيضا على مسافات متباعدة حيث كانت الطائرة ترمي مساعدات غذائية وأخرى للدعم، تدل على أن مهمة تلك الطائرة كانت التمهيد للعمليات البرية. كان من بين العتاد حصانان أرادوا استخدامهما لنقل الصواريخ والأسلحة، وأيضا كانت هناك معلبات على أنواعها، وصناديق كبيرة من المياه المعدنية.

ويتابع «العدد الذي استقدم من الجنود لسحب الجثث والمدة التي استغرقوها في العملية يدل على أن حجم الضحايا كبير جدا، ومعلوماتنا المؤكدة أن لا ناجين فيها».

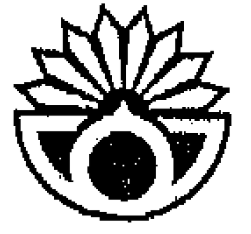
19/8/06

زبقين (جنوب لبنان)



مواقع إسرائيلية متبقية في أماكن منعزلة

الجنوبيون تفاءلوا بطلائع الفرنسيين فجاءتهم أخبار الإنزال في بعلبك



مشهد معبر في بلدة زبقين، التي تسبب العدوان الإسرائيلي في تدمير ما لا يقل عن ٧٥ في المائة من من منازلها وشوارعها وبنيتها التحتية، لقد تجمع عدد من الرجال بالقرب من بسطة تين وعنب وضع صاحبها فوقها مذياعا يبث خبر الإنزال الجوي الإسرائيلي الذي نفذ على إحدى بلدات بعلبك، شرق لبنان، فيما كانت باخرة حربية فرنسية تنزل طلائع قوات فرنسية في ميناء الناقورة، جنوب صور.

«الحرب لم تنته بعد حتى تعود»، قال رضا علي الشيخ وهو يمضغ حبة عنب قطفها من عنقود وأضاف «إسرائيل لن تتركنا بسلام».

كان رضا يعلق على العملية التي نفذها الجيش الإسرائيلي أمس بعد نحو أسبوع من قرار وقف



● يافطة رفعت امام منزل مدمر في زبقين

العمليات القتالية، وأضفى أجواء من الخوف والتوتر على القرى والبلدات الجنوبية، خصوصا تلك المحاذية للشريط الحدودي، التي كانت منشغلة بدفن شهدائها وباستقبال الجثامين الذين تعذر استلامهم من مقبرة «الوديعة» في صور يوم الجمعة .

ورد عليه محمد الذي كان ينفث دخان سيجارته بعصبية «لا إسرائيل ولا غيرها تاركين لبنان بسلام الناس ما لحقت رجعت، أين ستذهب من جديد؟».

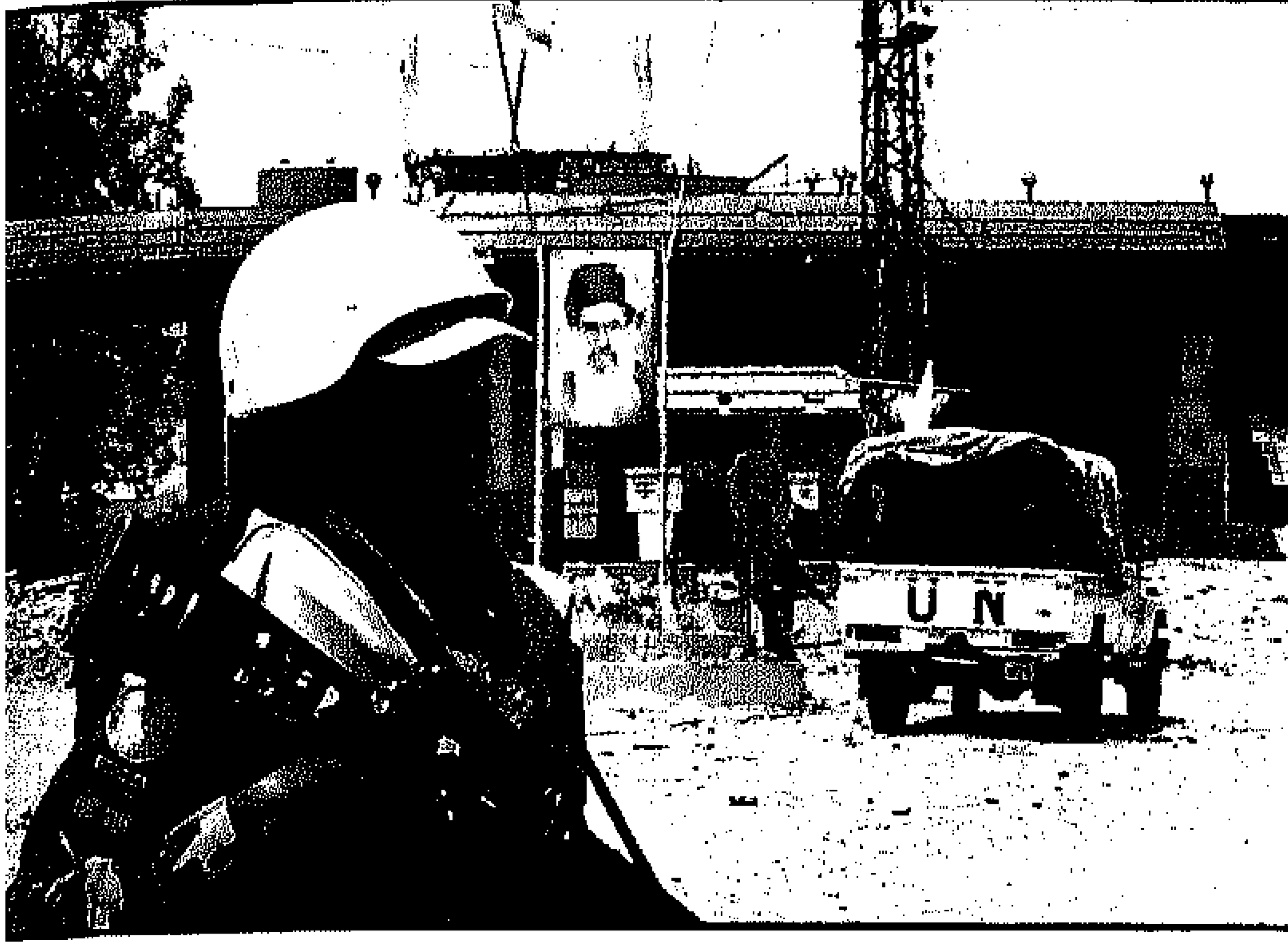
وقال أبو علي صاحب البسطة «ليس إلى أي مكان يبقون هنا جربوا المدارس وجربوا التشرد في الحدائق هنا موت وهناك ايضا لكن الموت هنا اشرف لنا ولهم».

وأضاف أبو علي، الذي كان يكش الذباب من على بضاعته: «لا تهجير بعد اليوم كل من نزح ندم وذاق الأمرّين كيف يترك المرء منزله؟ الواحد منا لا يموت قبل أن تحين ساعته.. الأعمار بيد الله وحده سبحانه وتعالى».

ويجيبه محمد «هذا إذا كان المرء مسؤولا عن نفسه فقط، اما في حال وجود أطفال ونساء فلا بد من البحث عن مكان آمن وهادئ لتؤمن النوم لأطفالك على الأقل».

خمسون عنصر هندسة فرنسيا

في غضون ذلك، وصلت طلائع القوات الفرنسية إلى ميناء الناقورة (جنوبي لبنان)، فيما واصلت وحدات من الجيش اللبناني



انتشارها جنوبي نهر الليطاني، خاصة في المناطق القريبة من الحدود الدولية تنفيذا لقرار مجلس الأمن، ووصلت إلى تخوم مزارع شبعا وحدود كفر كلا ودخلت بلدة الخيام في أقصى الجنوب.

وتضم القوة الفرنسية نحو خمسين من عناصر سلاح الهندسة الذين سيمهدون لوصول الوحدة الفرنسية المكونة من ٢٠٠ عنصر.

ولن تكون هذه الوحدة جزءا من قوات الأمم المتحدة «اليونيفيل» المقرر أن تبدأ انتشارها دعما للقوات الدولية المتواجدة أصلا في جنوبي لبنان تنفيذا للقرار ١٧٠١.

وقال قائد الوحدة بيرتراند بونو للصحافيين أمس مفسرا ما يجري «علينا أن نفهم أن هناك مهمتين مختلفتين: الأولى بإمرة قيادة الأمم المتحدة، والثانية بإمرة القيادة الفرنسية وهذه المهمة تتكون من أربع سفن وفرقاطتين ووحدتين أخريين وتساعد في النقل وتقديم الإغاثة الإنسانية، فضلا عن التواجد هنا لأي ضرورة في المستقبل».

وكان الجيش الإسرائيلي قد بدأ بالفعل

تسليم بعض المواقع التي كان يحتلها في الجنوب إلى «اليونيفيل»، ولكن المقاومة والصحافيين وشهود عيان يؤكدون انه لا تزال هناك جيوب للجيش الإسرائيلي في أكثر من نقطة لبنانية متاخمة للحدود لاسيما في البياضة والطيبة ومارون الراس وقد أشار رئيس الأركان الاسرائيلي الجنرال دان حالوتس إلى أن قواته قد تحتاج إلى عدة أسابيع وربما إلى عدة اشهر لإتمام انسحابها حيث إن ذلك يعتمد على سرعة انتشار الجيش اللبناني والقوات الدولية في المنطقة.

مخاوف الإنزال

وبدل أن يضفي وصول الفرقة الفرنسية المزيد من التفاؤل والانشراح والهدوء في نفوس اللبنانيين، لاسيما العائدين من رحلة التهجير، الذين قدرت الأمم المتحدة عددهم بنحو ٤٠٠ ألف نازح، والمنغمسين في ورشة رفع الأنقاض وجرف الركام، خيّم الخوف والقلق من جديد على هؤلاء بعد إنزال للجيش الإسرائيلي في بعلبك أفشلته عناصر المقاومة.

وتأتي العملية الإسرائيلية في بعلبك بعد ساعات من تحذير الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان «من هشاشة الوضع» في جنوبي لبنان بعد نحو أسبوع من وقف إطلاق النار.

وكان عنان قال إن «الحاجة ملحة للحصول على أول ٣٥٠٠ جندي لنشرهم في الأسبوعين المقبلين»

الاحتلال المعطل

وعلى الرغم من التوتر الذي تسببت به عملية الإنزال الفاشلة واستمرار وجود بعض الجيوب للجيش الإسرائيلي في المناطق المتاخمة للشريط الحدودي، فإن بحرا من العائدين وصل أمس إلى الجنوب لينضموا إلى من سبقوهم قبل أيام وليساهموا في كسر قرار كانت إسرائيل أعلنته أيام عدوانها وهو «منع عودة أهالي قرى وبلدات جنوب الليطاني»، وبعودتهم يكون الجنوبيون قد أجهضوا مشروع احتلال جنوب الليطاني الذي كان يقوم على فكرة «عدم انسحاب الجيش الاسرائيلي من نقاط انتشاره إلا مع وصول القوات الدولية والجيش اللبناني»، بعدما كانوا واجهوه بصمودهم لأكثر من شهر.

وقد أصبح الوجودالإسرائيلي في الأراضي اللبنانية «مقتصرا على بعض الأماكن البرية المعزولة»، بحسب مصادر أمنية في حزب الله التي وصفت هذا الاحتلال بأنه «معطل» عمليا، ولا يكتسب أي قيمة عسكرية، «وهو يتجه نحو التلاشي تدريجيا».

وأشارت المصادر إلى أن عناصر حزب الله والأهالي موجودون حاليا في معظم البلدات والقرى، وان رايات الحزب ارتفعت مجددا في المنطقة الحدودية، لافتة الانتباه إلى أن الجنود الإسرائيليين المتمركزين عند بعض الأطراف الجغرافية «يعيشون حالة من الذعر وينتظرون بفارغ الصبر سحبهم».

القنابل العنقودية والفوسفورية والتفنن في اصطياد البراءة

20/8/06

عيتا الشعب (جنوب لبنان)



مَنْ يسمع صرخة حسن: «ما بدي موت»؟!



● الدمار في البرج الشمالي بعد القصف الاسرائيلي المكثف



«ما بدي موت».

قال حسن حسين سرور (٩ سنوات) للمسعف الذي كان يحاول لملمة أشلاءه في كيس طبي ويربط له قدمه اليسرى إلى لوح خشبي لإصابتها بكسور.

كان حسن يلعب أمام منزله في عيتا الشعب، جنوبي لبنان، عندما انفجرت قنبلة عنقودية أدت إلى إصابته بجروح بالغة في أمعائه ورئته اليسرى وقدمه اليسرى، كما أدى انفجار القنبلة التي خلفها العدوان الإسرائيلي إلى إصابة الأختين سكنة (١٠ سنوات) وزينب مرعي (١٢ سنة) صادف وجودهما على مقربة من حسن حيث تعيش عائلتا الأطفال متجاورتين في وسط البلدة.

كنا في طريقنا من رميش باتجاه الناقورة عندما استوقفنا رجل يصرخ بكل قوته «أطفالي دخيلكم.. دخيل اجريكم.. ساعدوني زينب وسكنة عم يموتوا خذوهن معكم».

كانت سيارتنا تتبع سيارة إسعاف الدفاع المدني وقد واكبناهم إلى رميش حيث ذهبوا لتسليم جثمان شهيد إلى عائلته هناك.

توقف عناصر الدفاع المدني وتوقفنا معهم. كانت إصابة الطفل حسن الأخطر بين الأطفال الثلاثة. فقد كان هو من أمسك بالقنبلة العنقودية التي اعتقدها الأطفال في بادئ الأمر لعبة فانفجرت بهم لتحولهم إلى جروح تنزف دما وألما

بعدما نزفت تهجيرا وحرمانا وفزعا وهلعا.
كانت عائلتا حسن والأختين زينب وسكنة عائدتين للتو من بيروت. كان الكبار مشغولين عنهم في تفقد المنازل وإعادة ترتيب الأشياء بالقدر المستطاع بعدما أدت القذائف والصواريخ إلى تدمير الأبواب والنوافذ في منزل العائلتين.
كان الأطفال يلهون في الهواء الطلق المشبع بروائح الجثث المتحللة واغبرة البارود والرصاص والباطون المحترق والأثاث المتفحم.. اشتاقوا للّعب خارج جدران المدارس والمنازل الضيقة بعدد النازحين.. اشتاقوا للضيعة وجبالها وأزقتها.. اشتاقوا لعمرهم ولخطواتهم الحرة والمتحررة.. ابتعدوا عن أهاليهم، خرجوا من رعاية الكبار فاصطادهم «العدو المقنع» الكامن في القنابل العنقودية والصواريخ غير المنفجرة والشظايا السامة والألغام المموهة التي تركها الاسرائيليون على أرض الجنوب.
انفجرت القنبلة الخبيثة بيد حسن الصغيرة ففجرت أمعاءه وأخرجتها إلى أمام عينيه الطفوليتين، مزّقت قدمه وأوقفته عن الركض والاحتماء بحضن أمه إيمان التي انهارت وغابت عن وعيها عندما رأت فلذة كبدها وقد تمزقت أحشاؤه.

«ماما مش عم شوف!»

تفجر العدو المقنع قتلا جديدا وأصاب عيني زينب التي أغمضتهما على وجع وراحت تبحث عن أمها بالصوت واللمس «ماما وينك يا ماما.. مش عم شوف شيء.. خذوني لعند ماما».
إلى أين يا زينب؟! وأختك سكنة التي كنت قبل دقائق فقط تمسكين بيدها وتجريان معا إلى عند ابن الجيران حسن تريدان رؤية ماذا كان يلعب من دونكما، سكنة أيضا تريد أمها وتريدك أيضا وتريد الحياة مثل حسن ومثل كل أطفال لبنان والعالم.
لم تدرِ زينب وسكنة أن حسن كان يلعب بالموت هو أيضا. لم يدر أن ما وجده لم يكن أبدا تعويضا عما خسره من ألعاب وأدوات تسلية ودفاتر وأقلام تلوين داخل منزله المدمر، بل كان موعدا مع آلة الحرب الخبيثة التي لا تعرف التفريق بين كف طفل عائد من التهجير إلى العيش بسلام وبين يد مقاتل.

لا تخاطر بحياتك

فبعد الانتصار على العدوان والدمار والغارات فان هذا العدو يحاول ببغيه أن يترك آثاره الهمجية من خلال رميه للقنابل العنقودية والأجسام الغريبة المتعددة الأشكال كالألعاب وغيرها.. هذه القنابل التي رمتها الطائرات والمدافع طول فترة العدوان تركت لكي يستكمل العدو مجازره.
«ابتعد عن الألغام والقنابل العنقودية والأجسام المشبوهة، فالسلامة العامة واجب وطني لا تخاطر بحياتك في مكان مشبوه قد توجد ألغام في أي بقعة شهدت معارك عسكرية».
إرشادات حرص الجيش اللبناني وحزب الله وغيرهما من الجهات المهتمة على

توزيعهـا بشكل بروشـورات أو إذاعيـا عبـر التلفزيونـات والراديـوات، دون أن يكون لذلك فائـدة في إبقـاء حسن وزينـب وسكنـة بعيـدين عن الخطـر والإصابـة والمعاناة.

فالألغام والقنابل العنقودية متعددة الأشكال والأحجام قد تكون مموهة على شكل ألعاب للأطفال أو موزعة عشوائيا في الأراضي الزراعية، وليس فقط في المراكز العسكرية ومحيطها كما تقول الإرشادات.. خطرها بالغ، وانفجارها قد يؤدي إلى الموت.. ومن كُتبت له الحياة فقد يصاب ببتر في رجليه أو يديه أو بتشوه أو بإعاقة دائمة.

قبل اقل من ٢٤ ساعة أصيب المواطن أحمد محمد عبد الله شقير (٣٧ عاما) بجروح في انفجار قنبلة عنقودية من مخلفات العدو الإسرائيلي، في بلدة زوطر الغربية، ونقل إلى مستشفى الشيخ الشهيد راغب حرب في تول للمعالجة حيث أجريت له الإسعافات اللازمة.

وفي بلدة دير قانون النهر، استشهد المواطن علي عز الدين بعد تنشقه دخان قنبلة فوسفورية إسرائيلية، في حين عثر أهالي بلدات الشهابية، وجويا، والمجادل، على أشكال ألغام تحتوي على صواعق خلفية تنفجر في حال تحريكها، إضافة إلى قنابل عنقودية تهدد حركة المواطنين، وهي من مخلفات العدوان الإسرائيلي.

كان حسن يرتجف بين يدي المسعف الذي كان يحاول جمع أمعاء الطفل في كيس طبي خاص.. لم يكن يرتجف من الخوف بل من انخفاض درجة حرارة جسمه بسبب نزيف داخلي، وكانت سكنة تنظر مصدومة إلى هذا المشهد الغريب البعيد عن استيعابها.

«ليش هيك بطنك يا حسن؟!» سألت سكنة ببراءة مطلقة وهي تضع يدها على جبينها الذي لفه لها المسعف بضماد وشاش ابيض لم يحل دون نفاذ الدماء إلى خارجه.

وسألت زينب مرة ثانية «وين ماما؟!» وجاء صوت الأب متهدجا «هلق بتجي ماما أنا بابا يا زينب حبيبتي وهيدي أختك سكنة إلى جانبك».

لكن والدة زينب وسكنة تركت فوق سرير في بيت الجيران ومعها بعض المواطنين راحوا يرشون ماء الزهر على وجهها لمساعدتها على استعادة وعيها وتماسكها، وحده الأب ركب سيارة الإسعاف إلى جانب ابنتيه فيما لم يعرف شيء عن والدي حسن الذي عبثا حاول المسعف إقناعه بإبعاد يديه عنه وتركه يعمل بهدوء.

حسن، الطفل الذي أراد اللعب.. فقط اللعب.. قال للمسعف بصوت متألم وحزين حزين حزين: «ما بدي موت».

حسن ورفيقتاه في اللعب مع الموت يرقدون الآن في مستشفى جبل عامل في صور، فيما العدو المقنع يبحث بين القرى والبلدات عن عيون بريئة يسرق منها النظر، وعن أياد غضة يزرع فيها الألم، وعن رفاق زينب وسكنة لمنعهم من اللعب تحت شجرة الزيتون والتين وقرب البركة وأمام دكان الساحة وعند مفرق الوادي.

21/8/06

مرجعيون (جنوب لبنان)



أسبوع مر.. وقلق جنوبي لمحدودية انتشار الجيش وتباطؤ الدوليين

خيام في «الخيام».. مشروع للصامدين وليس للاجئين



يصدر قرار وقف القتال وتصمت المدافع، فتبرز ذيول الحرب ومضاعفاتها على السطح بدون رتوش أو مصطلحات الصمود والمقاومة وغيرها من المفردات التي كانت تخفف، بعض الشيء، من قسوة المعاناة اليومية للعدوان المشبع بالقتل والتهجير والتدمير.

أسبوع مر على وقف العدوان الإسرائيلي ولا تزال ذكرى الغارات الجوية والقصف البري والبحري تلمع في الأذهان موتا ودموعا وحزنا وآلاما، ولا يزال صداها يصدح في الآذان صراخا وأنينا ونداءات ضائعة في الهواء لا تصل إلى أحبة ضائعين في مصير مجهول.

يخرس المدفع ولا تستكين الأوجاع. تبدأ حرب من أنواع جديدة ومختلفة وعلى جبهات متعددة: في مقلتّي أم تبكي فوق نعش فيه ما تبقى من فلذة كبدها، وفي خطوات طفل صار يخاف اللعب حتى لا يغضب والده الملوع من فقدان ولد آخر بانفجار قنبلة عنقودية بين ركام تعب العمر.

دير ميماس
Deir mimas

● دورية للجيش اللبناني عند مفرق دير ميماس

ذيول الحرب موجودة حتى في ورشة اعمار وبناء ما دمر عن بكرة أبيه، وتصطدم بأكثر من حاجز متفجر ليس اقلها التهديدات الإسرائيلية المتكررة بالإعداد لجولة أخرى من العدوان، وكان آخرها اشاعات تقول ان وزارة الحرب الإسرائيلية من منح حزب الله ٧٢ ساعة لتسليم الجنديين الإسرائيليين الأسيرين والا تبدأ الحرب من جديد.

وليل امس اعلنت اسرائيل عن انها قتلت ثلاثة من مقاتلي حزب الله في اشتباك جرى في قرية شمع، القريبة من الناقورة.

هذه التهديدات لم تكن مفاجأة بالنسبة للبنانيين عموما، والجنوبيين خصوصا، الذين لم يستريحوا حتى الآن من تحليق الطيران الحربي في أجوائهم من حين إلى آخر، وتنفيذ غارات وهمية، عدا عن تواجد طائرات الاستطلاع الحربية بشكل شبه مستمر، إضافة إلى تقدم دوريات عسكرية، راجلة في أراض لبنانية بين الحين والآخر كما حدث ليل الأحد - الاثنين عندما اخترقت قوة إسرائيلية الشريط الحدودي عند نقطة تل النحاس المحاذية لبلدة كفركلا، الأمر الذي اضطر الجيش اللبناني إلى إقامة نقطة تفتيش متحركة في مكان التسلل بهدف ضبط الحدود.

اللواء العاشر التابع للجيش اللبناني والمفترض أن يبسط تواجده على كل مناطق القطاع الشرقي لم يستكمل انتشاره، ولا يزال تواجده محصورا في ثكنة مرجعيون وفي بلدة الخيام، حيث باشر عناصر اللواء تفجير نحو ١٨ قذيفة خلفها العدوان. كما يتواجد الجيش حاليا في مزرعة المجيدية (٦٠٠ متر عن الحدود) وأيضا عند تقاطع تل النحاس - كفركلا.

كما أن عملية الإنزال في بعلبك الأسبوع الماضي لا يزال تأثيرها في الجو العام مقلقاً حتى اللحظة.

«اليونيفيل» لم تنتشر بعد

وكان مقررا أمس أن تبدأ قوات الطوارئ الدولية «يونيفيل» انتشارها في الجنوب تمهيدا لانتشار الجيش اللبناني، بيد أن تواجد هذه القوات لم يتغير بعد عما كان عليه قبل العدوان، على الرغم من وصول عدد محدود منها إلى الناقورة.

نقطة التواجد الدولي الوحيدة في القطاع الشرقي هي في بلدتي ابل السقي وحاصبيا، حيث يوجد لهذه القوات مركز مراقبة فقط تنطلق منه دوريات قليلة إلى عموم المنطقة الحدودية التابعة لقطاع مرجعيون، وتتواجد في نقطة أخرى في الناقورة وثالثة في صور.

تأخر انتشار اليونيفيل يخيف المواطنين ويضعهم في خانة الاضطراب والتردد في العودة الفعلية الى قراهم، والمباشرة في إعادة الاعمار وتأمين سبل الاستقرار حتى أن بعض المواطنين سأل «القبس» ما إذا كان عدم مجيء القوات الدولية يعني انسحاب الجيش اللبناني من المناطق التي وصل إليها، وبالتالي عودة الاعتداءات الإسرائيلية إلى ما كانت عليه قبل قرار وقف القتال مع حزب الله؟

في الأثناء، لا يزال لعناصر حزب الله تواجد مكثف في عموم قرى وبلدات

الشريط الحدودي، هذا التواجد وان كان غير مسلح فإنه فعال من الناحية العملية.
فالعناصر الحزبية المدنية تلقاها في كل مكان بين الأحياء وعلى طول الشريط الحدودي وفي التلال وبين البساتين والحقول يتنقلون في دوريات اما راجلة أو على دراجاتهم النارية.
لا يتحدثون إلى احد، وإذا سئلوا ردوا على السؤال بما قل ودل. يكتفون بمتابعة ما يجري على الأرض بالمراقبة النظرية فقط وتسجيل التقارير.
هذا التواجد لا يزعج أحدا على الإطلاق بما في ذلك الجيش اللبناني. حتى ان الأشغال المتعلقة بعملية إعادة الإعمار تركها الحزب إلى مجالس البلديات المتواجدة في القرى والبلدات، وأوكل الى عناصر مدنية تابعة له مهمة تولي التنسيق والمساعدة والتعاون وتقديم ما يلزم، كما أن الحزب ترك للهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية والتطوعية حرية المبادرة والعمل باستقلالية في أي مكان يجدونه مناسبا.
وبذلك يكون الحزب قد أوفى بوعوده لهذه الناحية. لقد اخذ عملية إعادة البناء على عاتقه من دون أن يكون قد صادر مكان احد، أو أن يكون تفرد بالهيمنة على ورشة الإعمار كما كانت التوقعات.

خيام في الخيام

خيام في الخيام واحدة من الحلول التي تقدمت بها نقابة المهندسين اللبنانيين لمساعدة العائلات التي خسرت منازل وأملاكا في هذه البلدة الجنوبية الحدودية.



● دورية لليونيفل في وادي «رب ٣٠»

وفكرة نصب خيام في بلدة الخيام (١٠٠ كلم جنوب بيروت) ليس المقصود منها تحويل هذه البلدة الجميلة الواقعة على سهل مرجعيون في القطاع الشرقي من لبنان الجنوبي إلى مخيم، بل على العكس تماما: يريد المهندسون العاملون في النقابة، ومعهم عدد كبير من المهندسين المعماريين المتطوعين من شتى أنحاء العالم العربي والغربي، تأمين عودة سريعة للنازحين قسرا عن ديارهم، وذلك بتأمين ما يشبه «مربط خيل» لمن يريد تعمير منزله وفي الوقت نفسه لا يملك مكانا آخر يقيم فيه، كما قال لـ«القبس» المهندس حبيب صادق.
فالخيم المقترح نصبها في البلدة أو توزيعها على من يريد تعتبر نموذجية من حيث المواصفات الخاصة بالعيش اليومي، فهي مصنوعة من مادة عازلة للحرارة والماء، فيها فتحات للتهوية وفيها أيضاً مغاسل وتمديدات للأدوات الصحية مع معالجة

فورية لمياه الصرف الصحي، وهي متوافرة بعدة أحجام تتسع لعائلة، كما تتوافر بأحجام كبيرة تصل مساحة الواحدة منها إلى ٩٠ مترا مربعا. ومثل هذه الأخيرة يمكن تحويلها إلى ما يشبه المستودع لتخزين آليات العمل والأدوات الخاصة بورش التصليح والاعمار وما إلى ذلك القائمة حاليا في البلدة وجوارها حتى لا يبقى انتشارها على جوانب الطرقات وبين المنازل عائقا يحول دون تسهيل حركة السير وتنقل المواطنين بيسر وراحة. كما يمكن تحويل الخيم الكبيرة إلى سوبر ماركت مؤقتة تلبي حاجات الناس بعدما دمرت معظم المحلات التجارية والدكاكين في البلدة أو تضررت.

تعميم النموذج

وبلدة الخيام ليست المكان الوحيد الذي ستنفذ فيه نقابة المهندسين اللبنانيين مشروعها الذي يصب في إطار التسريع في عملية إعادة البناء والإعمار، بل سيطال أيضا بلدة بنت جبيل وضاحية بيروت الجنوبية في الدرجة الأولى، كون هذه المناطق الثلاث هي الأكثر تضررا من العدوان الأخير من حيث حجم الدمار والتخريب الذي لحق بالمنازل والبنى التحتية وشبكة الطرقات.

وعمل النقابة لن يتوقف في الخيام وبنت جبيل والضاحية الجنوبية عند حد توزيع الخيم، كما يقول المهندس صادق، «بل هو ليس إلا البداية. الخيم ستكون محطة استراحة مؤقتة لمن يريد البقاء في البلدة والإشراف على إعادة بناء منزله».

ويضيف «هدفنا وضع خطة استراتيجية لإعادة التخطيط تسبق الاعمار، خصوصا في هاتين البلدتين النموذجيتين من حيث العراقة وكبر المساحة وكثافة السكان ومكانتهما الثقافية وتاريخهما المقاوم».

ويتابع صادق «عملنا هو وضع حجر الأساس لعمل بعيد المدى هدفه حل مشكلة آنية هي التدمير الكبير الذي ألحقه العدوان الإسرائيلي، وحل مشكلة طويلة الأمد. هدفنا التخطيط لجعل مثل هذه البلدة مؤهلة ليعود إليها اكبر عدد ممكن من أهاليها عبر التخطيط لإقامة شبكة طرقات نموذجية وتمديدات لشبكات الكهرباء والمياه والهاتف ومرافق صحية وهي بالمناسبة مدمرة منذ الاحتلال عام ١٩٨٢ وازدادت خرابا وسوءا بعد العدوان الأخير».

التخطيط قبل الإعمار

«نعمل كي لا تنفذ عملية إعادة الإعمار الجارية بنموذج الترقيع أو البناء فوق الخراب أو زيادة السوء سوءا»، قال المهندس صادق وأضاف «نعي في الوقت نفسه انه لإنجاح مثل هكذا مشاريع نموذجية لا بد ان تنفذ بوجود أهالي البلدات وأصحاب البيوت والأراضي، لذلك كانت فكرة الخيم أو السكن المؤقت داخل البلدة بالقرب من المنزل داخل الحقل أو البستان المهم أن تكون بوجود صاحب الأرض والحق».

ويلفت إلى أن التمسك بعملية إعادة بناء نموذجية سببه ما سجلته آلات المسح

وقياس مستوى التلوث في معظم البلدات والقرى التي طالها العدوان والتدمير شبه الكامل.

ويشرح «رصدنا في أكثر من مكان مستويات عالية جدا من التلوث الإشعاعي سببه تلك النماذج من الصواريخ والقذائف التي اطلقتها الطائرات الحربية، فأصابت التربة ومحطات تكرير المياه وشبكات المياه حتى المجاري التي تصب في الأنهر».

تحفظات على الخطة

وكانت مبادرة نقابة المهندسين، التي ستبدأ فور ترتيب آلية لتوزيع الخيم حسب الحاجة وتحديد اماكن مناسبة لنصبها، قد لقيت معارضة من بعض الأطراف لا سيما رئيس بلدية الخيام الحاج علي زراقط الذي رد على سؤال «القبس» حول الموضوع قائلا: «لن نسمح بتحويل الخيام إلى مخيم. الفكرة غير مجدية من أساسها. سنواجه متاعب كبيرة وانتقادات كثيرة عداك عن المشاكل الفنية التي ستظهر، منها المجاري والأمراض وغيرها».

من أجل حياة أجمل مما كانت

لكن الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي حبيب صادق، وهو من أبناء بلدة الخيام ولعب دوراً بارزاً في تنظيم المساعدات للمهجرين في مختلف المناطق. فقد دافع عن الفكرة قائلا: «سنعمل المستحيل لمساعدة من يريد العودة ولو لساعات ولا يملك مكانا يبيت فيه، وفي الوقت نفسه لن نسمح بتشويه الخيام ولا بنت جبيل ولا أي مكان في الجنوب. سنعمل يدا بيد، العمار مع المهندس، مع المثقف، مع الكاتب، مع الفلاح، مع رب العائلة ومع العائلة كلها لنعيد الحياة كما كانت وأجمل مما كانت عليه. سنعيد بناء ما تهدم ونعيد ترتيب ما فاتنا ترتيبه من قبل. سنزرع الحياة في الخيمة أولا تمهيدا لعودة سريعة إلى منزل آهل بسكانه وزهوره».

22/8/06

مارون الراس (جنوب لبنان)



في مارون الراس ورب ثلاثين ووادي الحجير

هنا كانت أعنف المعارك.. وحوار صامت بين الصحافيين والجنود الإسرائيليين



نحن والإسرائيلي جيران!

هكذا كان حالنا - نحن الصحافيين - أمس في بلدة مارون الراس (جنوب لبنان)، حيث لم يكن يفصلنا عن الجنود الإسرائيليين سوى امتار قليلة.

فالجنود لا يزالون متمترسين بكامل عتادهم وأسلحتهم في أكثر من منزل في البلدة الواقعة في القطاع الأوسط من الجنوب (٣ كلم عن الشريط الحدودي) رغم مرور أكثر من أسبوع على قرار وقف القتال وانتشار الجيش اللبناني في أكثر من بلدة وقرية محاذية للشريط حتى بلدة تبنين.

البلدة المدمرة والمهجورة

مارون الراس، التي يقع فيها مركز مراقبة تابع للقوة الهندية العاملة ضمن قوات الطوارىء

● مواطنون جاءوا يتفقدون منازلهم في مارون الراس



● مارون الراس القرية المنكوبة

الدولية «يونيفيل»، هجّرت اسرائيل كل أهاليها دون استثناء، وهدمت أكثر من ٧٥٪ من منازلها. ولم يستثن القصف شيئا حتى مساجدها، فقد شهدت البلدة معارك عنيفة جدا بين مقاتلي حزب الله والجيش الإسرائيلي منذ الأيام الأولى للعدوان واستمرت حتى الأيام الأخيرة إلى أن سقطت وعبرت منها الدبابات والآليات العسكرية الإسرائيلية آتية من مستعمرة الحمرا والقرى السبع إلى يارون وبنت جبيل ورميش، حيث تمركزت لأيام عدة.

لكن بعد قرار وقف إطلاق النار وانسحاب الإسرائيليين من معظم المناطق التي كانوا احتلوها، فانهم ابقوا لهم جيوبا في أكثر من موقع على طول الشريط الحدودي وقد تكون مارون الراس الأهم بينها والأكثر حساسية، لموقعها الاستراتيجي.

فالموقع يشرف على كل منطقة بنت جبيل وأقضيتها، ويواجه تلة مسعود الشهيرة والمهمة في العمليات القتالية، كما يواجه تلة برعشيت التي تشرف على المنطقة ذاتها من الجهة المقابلة.

الدبابات مرت من هنا

الأهالي حذرونا من التقدم إلى ابعد من مداخل البلدة «لا يزالون هناك ولا احد يعرف أين يختبئون بالتحديد»، قال لنا عبد الكريم سرور وهو يلملم أشياء متناثرة حول منزله المدمر عند أول طلعة البلدة.

وأضاف «نسمع خطواتهم في الليل ونعرف أنهم يقومون بدورية راجلة لكن أحدا منا لا يجرؤ على الخروج والمراقبة، نخاف أن يطلقوا علينا النار، وسبق لهم ان فعلوها قبل أيام عندما أطلقوا النار باتجاه مواطنين

كانوا يتفقدون الضيعة».
البلدة مقفرة إلا من عدد قليل جدا من أمثال عبد الكريم الذين جاءوا يتفقدون كرومهم وما بقي بين ركام منازلهم.
على جانبي الطريق أكوام مكومة من ركام المنازل يبدو أن أحدا ما عمل بجرافته على إزاحتها من منتصف الطريق لفتحه. قد تكون الجرافات تابعة لحزب الله أو البلدية أو أي جهة أخرى من المشاركين في أعمال إزالة الدمار وفتح الطرق.
وقد تكون الجرافات إسرائيلية تسهيلاً لحركة جنودها. فقد اخبرنا مواطن التقيناه بالقرب من مهنية بنت جبيل الواقعة عند مثلث عيترون - بنت جبيل - مارون الراس أن الأهالي «يسمعون صوت جنازير دبابة تمر بالقرب من منازلهم تتبعها خطوات تبدو كأنها لجنود».


● جندي إسرائيلي يراقب من داخل منزل يبعد ٣ أمتار فقط عنا

الإسرائيليون في المنازل

لاحظنا آثار المجنزرات على طول الطريق صعودا من المثلث باتجاه بلدة مارون الراس، لكن لم نستطع تحديد ما إذا كانت حديثة أم أنها لا تزال هناك منذ أيام العدوان والمعارك الحامية التي دارت عند أطراف البلدة وبين منازلها وعند مدخلها الرئيسي.
لم يمنعنا الخطر من التقدم صعودا. لم يستوقفنا أحد، ولم يعلق في أذهاننا من تحذيرات المواطنين لنا سوى الخبريات المتعلقة بأوصاف المنازل التي قالوا لنا ان الجنود الإسرائيليين يقيمون فيها ويبيتون ليلهم.
إذاً البلدة لا تزال تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي فالجيش اللبناني لم يصلها والمركز الوحيد لليونيفيل في المنطقة هو مركز مراقبة لا أكثر ولا اقل.
في وسط البلدة منزل كبير بني من الحجر الأصفر ومكوّن من طابقين لفتت نظرنا الأحرف العبرية التي كتبت على جدران المنزل من الجهات الأربع إلى جانب رسومات كاريكاتيرية، فهمنا منها أنها



● بعض اغراض الجنود الاسرائيليين تركوها وراءهم

تتناول، في موضوعها، الحرب وحزب الله وأمينه العام السيد حسن نصر الله، من الواضح أن من خطها كان يعمل بكثير من التأني وفي أوقات مختلفة.

دخلنا البيت.. كل شيء يدل على أن إقامة هؤلاء كانت طويلة. مئات من العلب التموينية وعبوات المياه الفارغة متراكمة هنا وهناك، إلى جانب أشياء كثيرة مثل المناديل الورقية والمجلات والصحف العبرية وعبوات مراهم خاصة للوقاية من الشمس وأخرى للجروح والحروق وأدوات الشاي والقهوة وترانزيستور وما إلى ذلك.

كذلك هناك بقايا رصاصات وقذائف فارغة مما يدل على أن الجنود كانوا يديرون معركة من هذا الموقع، والى جانبها ثياب عسكرية ممزقة خاصة بالجيش الإسرائيلي وضمادات للجروح عليها آثار دماء وأكياس خاصة بالأمصال مما يدل على أن جرحى سقطوا في تلك المعارك.

استباحة غير محدودة

واضح أن الجنود كانوا يستبيحون المنزل بدون أي رادع. الأثاث محطم بوحشية، ومحتويات الخزائن والأدراج منثورة على الأرض في فوضى عارمة. الأسرة والفرش مقلوبة رأسا على عقب وبعضها استخدم لإقفال النوافذ، والأبواب الداخلية ثم تغطيتها بالشراشف وببقايا ثياب مدنية خاصة بسكان المنزل، لعزل أي رؤية من الخارج لما كان يجري في الداخل.

ومن ينظر إلى المنزل (الموقع) يخيل إليه أن من كان يعيث فيه خرابا وتكسيرا لم يكونوا جنودا جاءوا ليحاربوا في ارض اغتصبوها، بل مجموعة من الشبان المتهورين جاءوا



● لغم من بقايا العدوان المحتل

ليتسلوا ويفرغوا كبتهم العدواني على كل ما في المنزل من أثاث وهيكل ومحتويات.

الجدران الداخلية طليت بالرسومات الكاريكاتيرية المختلفة وبتعليقات مكتوبة بالأحرف العبرية، فهمنا أن بعضها يطال الأمين العام لحزب الله بالشتائم، وأخرى تتوعد بقتل أطفال لبنان، وثالثة تمجد اسم الفرقة التي كانت متواجدة في المكان.

وهناك خربشات تدل على أن الإعداد لقصف بلدة ما أو قرية كان يتم بالشرح للجنود وعناصر المدفعية على الحائط فقد شاهدنا رسومات بيانية خاصة بالإحداثيات التي يستخدمها الجنود لقصف موقع أو نسف منزل.

استراحة التحرير المحتلة

لدى النظر إلى محيط المنزل (الموقع) تعرف أن الجنود الإسرائيليين لا يزالون يترددون إلى المكان فبقايا الطعام تبدو طازجة نوعا ما وهناك بقايا عناقيد عنب واكواز التين الطازجة التي يبدو أنهم قطفوها من الأشجار المحيطة بالمنزل في الصباح.

وبمراقبة الموقع تدرك أيضا أنهم موجودون في أكثر من مكان وأكثر من منزل لكنهم لا يظهرون على الملأ إلا متى أرادوا هم.

تقدمنا أكثر، وتحديدا باتجاه «استراحة التحرير» الشهيرة التي تقع عند أعلى نقطة من مارون الراس وتشرف على القرى السبع التي كانت إسرائيل ضمتها إليها إبان حرب الـ٤٨.

أقيمت هذه الاستراحة مباشرة بعد التحرير من الاحتلال الإسرائيلي عام ٢٠٠٠، وصارت مزارا سياحيا ورمزيا لعموم أهالي الجنوب ولبنان وحتى السياح، لما تتمتع به

المنطقة من موقع جغرافي في غاية الروعة والجمال وبطقس جميل للغاية.
«استراحة التحرير» اليوم، وبعد مرور ست سنوات، تقبع بالقرب من المحتل بعد أن تعرضت لكثير من القذائف أدت إلى تكسير كل الزجاج والسقف والأثاث وبعض الجدران.

حوار طرشان

في المنزل الملاصق تماما للاستراحة يقع منزل على شكل فيللا جميلة جدا لمحنا من خلف احدى النوافذ يدين عسكريتين تمسكان بمنظار عسكري فأدركنا أننا تحت المراقبة المباشرة وعلى بعد أمتار قليلة فقط.
تقدمنا باتجاه حديقة المنزل فتجمع على الفور ثلاثة جنود بأسلحتهم بالقرب من صاحب المنظار، فيما ظهر على النافذة الأخرى جنديان بأسلحتهما وثالث يمسك بجهاز إرسال بدأ يتحدث عبره بالعبرية.
سألناهم عما إذا كان بامكاننا التقدم أكثر متعللين بهويتنا الصحفية.. لا جواب.
تقدمنا أكثر وقلنا بصوت عال اننا صحافيون ونريد معرفة السبب الذي يبقيهم هنا رغم قرار وقف القتال ووجوب الانسحاب من الأراضي اللبنانية، لا جواب.
قلنا إنهم جنود، ولا بد من الحديث مع الضابط، واشرنا بإصبعنا على كتفنا علامة النجوم التي يضعها الضباط الإسرائيليون، وأيضا لا إجابة.
ظننا أن السكوت علامة الرضا، وأنهم طالما بدوا لنا خائفين إلى هذا الحد فان باستطاعتنا التقدم أكثر داخل حديقة المنزل.
لكن ما إن خطونا داخل بوابة الحديقة حتى سمعنا صوت «اخذ الأقسام» من أسلحة أوتوماتيكية نظرنا إلى حيث كان الجنود يقفون نصفهم الأول خلف الجدار ونصفهم الآخر واضح لنا وقد اخرجوا فوهات بنادقهم خارج النافذة بعد أن صوبوها باتجاهنا.
لماذا؟! سألنا ببرودة أعصاب، وأضفنا ان كل ما نريده هو تصويرهم عن قرب ومعرفة لماذا يخرقون قرار وقف النار ويبقون هنا.
وأخيرا رفع لنا احدهم يده بإشارة تطلب منا التراجع فورا والعودة من حيث أتينا.
حاولنا التصرف وكأنه لم تصلنا الرسالة وبقينا حيث نحن، لكن صوت «سحب الأقسام» من البنادق أرعبنا هذه المرة، خصوصا انه جاء متزامنا مع رفع نبرة من كان يتحدث عبر جهاز الاتصالات، فيما كانت فوهات الرشاشات الاوتوماتيكية موجهة صوبنا بإصرار عدواني. كان لا بد من الانصراف لضمان السلامة قبل فوات الأوان.
كنا توجهنا إلى مارون الراس عن طريق الخيام - مرجعيون - القليعة - برج الملوك - العديسة - الطيبة - مركبا - حولا ميس الجبل - بليدا - عيترون.

وادي الحجير

وكانت لنا محطة قبل مارون الراس في وادي الحجير، حيث دارت معارك عنيفة

أيضا تكبد فيها الجيش الإسرائيلي خسائر كبيرة في الأرواح وخسر عدداً غير قليل من الدبابات والآليات العسكرية (باعترافه) ولا تزال آثار تلك المعارك موجودة على الأرض من خلال بقايا الآليات العسكرية المحترقة وجنازير الدبابات التي يبدو أن الجنود سحبوها بعد أن دمرتها المقاومة، كذلك من خلال الكثير من الآثار التي تركها الجنود المهزومون خلفهم ليس اقلها الألبسة العسكرية الممزقة والملطخة بالدماء دليل أنها كانت لجرحى.

ولهذا الوادي تاريخ يتوج بطولات المقاومة اللبنانية طوال فترة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان الذي استمر أكثر من ١٧ عاما وكان للمقاومة من الوادي طريق او معبر استراتيجي لتنفيذ القسم الأكبر من عملياتها التي كانت تشنها ضد مواقع جيش الاحتلال وضد دورياته الراجلة والمجنزرة.

.. وفي رب ثلاثين

وما شاهدناه في وادي الحجير تكرر أمام ناظرنا في رب ثلاثين المتفرع من بلدة الطيبة التي صمدت طوال فترة العدوان وكانت المعارك الأشد التي شهدتها تلك المنطقة تدور في تلة رب ثلاثين حيث اعترف الجيش الإسرائيلي بخسارته لأكثر من ١٦ دبابة من نوع ميركافا بالإضافة إلى سقوط عدد غير قليل من القتلى والجرحى آثار دمائهم لا تزال موجودة على الأرض وكذلك بقايا الإسعافات الأولية التي استخدمت لتضميد جراحهم.

وقبل وصولنا إلى موقع المواجهات روى لنا سكان البلدة مشاهداتهم اليومية، خصوصا في الليل لدوريات إسرائيلية راجلة بين المنازل وعلى الطرقات الداخلية.

«لا نعرف من أين يأتون»، قال حسين بركات (صاحب محطة للغاز في البلدة) تعرضت للنهب والتخريب على يد الجنود الإسرائيليين.

وأضاف حسين «قبل يومين جاءوا بدبابتهم وبدلوا أفراد الدورية وقبل أن تنسحب الدبابة أمام نظرنا شاهدنا الجندي الذي كان يقود الدبابة وكأنه يعرف أن المحطة لي فعاد بدبابته إلى الوراء ظل يرجع حتى دمر باب المحطة وقسما من الواجهة».

وتدخل جاره كمال بركات ليروي لنا كيف دخل منزله ليجد جميع جدرانه ملوثة بالدهان الأصفر والأخضر كان قد اشترى عبواتها قبل الحرب ليدهن بها منزله من الخارج وإذ بالجنود الإسرائيليين يفرغون جام غضبهم وحقدهم بتخريب أثاث المنزل وجدرانه بالألوان العشوائية وكتابات تشتم اللبنانيين وحزب الله وشعارات موجهة إلى اللبنانيين تقول: «انظروا ماذا فعل بكم نصر الله وكيف قتل السوريون رفيق الحريري».

كل شيء في رب ثلاثين تعرض للعدوان، مدرسة حبيش والأراضي الزراعية وحتى كروم الزيتون والصبير.

23/8/06

القنطرة (جنوب لبنان)



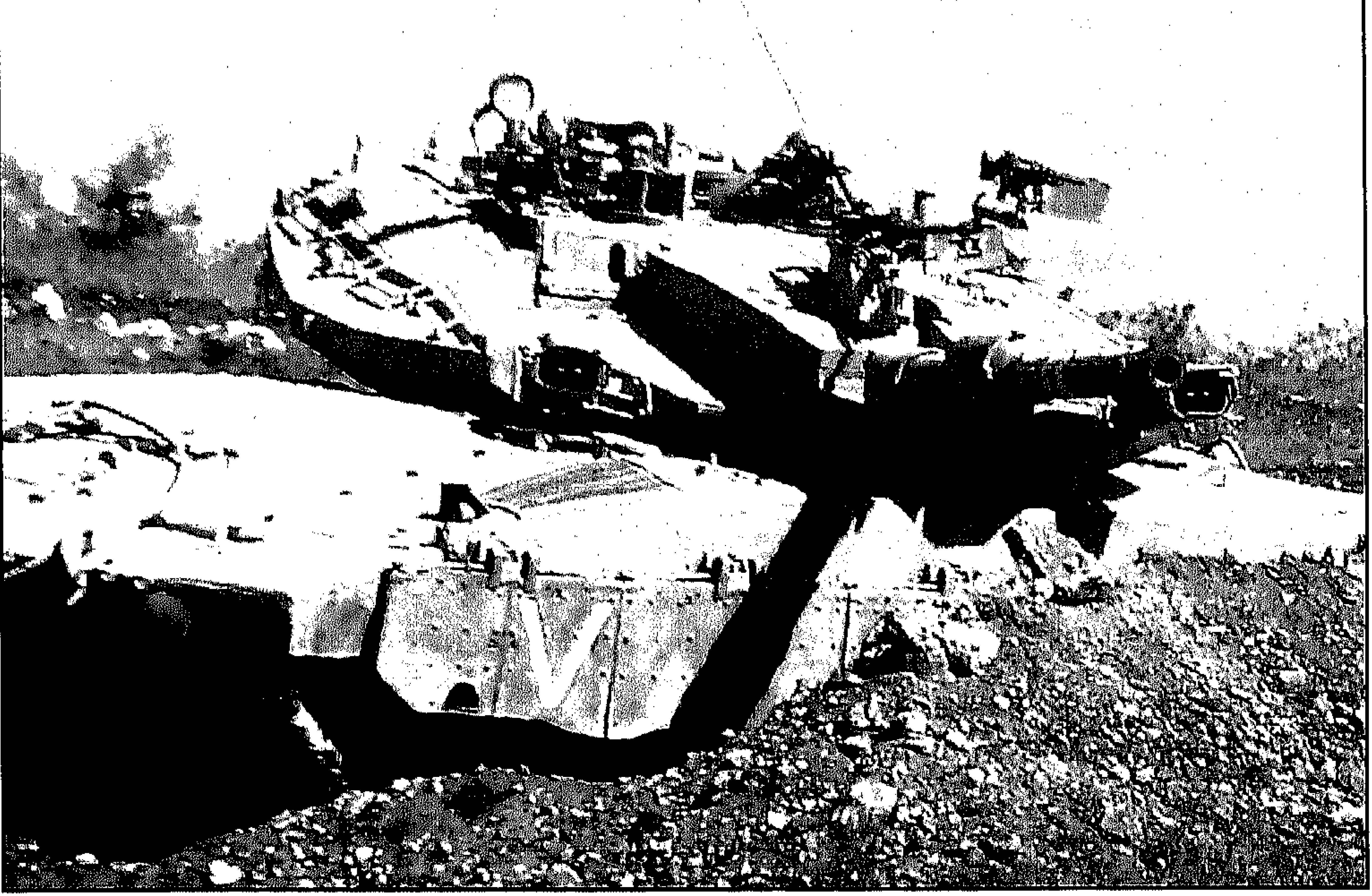
كيف ستمضي الحاجة منيفة آخر سنواتها؟!

محمد وحسن حسين شقيقان من بلدة القنطرة (جنوب لبنان) اختطفهما الجنود الاسرائيليون من على طريق فرعي للبلدة صباح أمس لعدة ساعات، قبل ان تتدخل القوة الهندية العاملة ضمن قوات الطوارئ الدولية لاطلاق سراحهما.

دبابة ميركافا تتمركز داخل الاراضي اللبنانية، وتحديدا على طريق الوزاني (١٥٠ مترا عن الحدود) وتهدد سلامة المارة، فيما الجنود المرابطون في داخلها يلوحون للصحافيين باشارات غير اخلاقية.

آلية هامر اسرائيلية تتقدم داخل الحقول اللبنانية في بلدة المطلة والجنود يقيمون حاجزا طيارا.

● الحاجة منيفة صولي امام منزلها المدمر في بلدة الطيبة



● دبابة ميركافا على طريق الوزاني.. ويبدو الجندي الاسرائيلي وهو يراقب تحركات المواطنين اللبنانيين

هذه بعض النماذج على ما بات يعرف بـ«نقاط الابتزاز» التي يقيمها الجيش الاسرائيلي عند الحدود الجنوبية، التي تموضع فيها العدو بعد عمليات انزال جوية في المرحلة الاخيرة التي سبقت قرار وقف القتال.

كان الشقيقان محمد وحسن يتجولان بسيارتهما المرسيدس العنابية اللون بين حقول الزيتون عند اطراف المطلة مع ثلاثة اخرين من شبان البلدة يجمعون الخردة التي خلفتها الدبابات والاليات العسكرية الاسرائيلية المدمرة، عندما فاجأهم حاجز طيار اقامه جنود اسرائيليون عمدوا الى اختطاف الشبان اللبنانيين بعدما اجبروهم على ركن السيارة بين اشجار الزيتون حتى لا يثيروا اي شكوك.

وبعد ساعة أطلق الجنود سراح ثلاثة منهم وابقوا الشقيقين قيد الاحتجاز حتى افرج عنهما بواسطة اليونيفيل.

تأثيرات نفسية و«عملية»

مثل هذه الممارسات ومعها الطلعات الجوية للطائرات الحربية وتحليق طائرات الاستطلاع بدون طيار معظم الوقت في الاجواء اللبنانية، تخلق جوا من القلق وعدم الاستقرار ينعكس سلبا وبطريقة مباشرة على عملية اعادة الاعمار وازالة اثار الدمار والحرب، وبالتالي عودة النازحين الى ديارهم وممارسة حياتهم بالشكل الطبيعي والآمن.

فبعد عشرة ايام على دخول قرار وقف القتال بين حزب الله واسرائيل قيد التنفيذ، فان اهم بنود القرار الدولي ١٧٠١ لم تنفذ بعد وهي انتشار قوات طوارئ دولية في القرى والبلدات الجنوبية على ان يتبعها



● مواطن يطالع بقايا صاروخ اسرائيلي

انسحاب الجيش الاسرائيلي بشكل كامل من جميع المناطق التي احتلها، تمهيدا لانتشار الجيش اللبناني هناك.

وفيما تبدو المقاومة في حال انتظار ريثما يكتمل تشكيل القوات الدولية، وهي تلتزم اقصى درجات ضبط النفس، يستمر الجيش الاسرائيلي في افتعال التعديات تلو الاخرى مستغلا «نقاط الابتزاز» على احسن وجه، على امل ان تلاقيه الادارة الاميركية باستجابة سياسية تتمثل باختيار الدول التي تتلاءم مع المزاج الاسرائيلي للمشاركة في قوات اليونيفيل، وتمنح ايضا، فرصة ميدانية للنيل من «صيد ثمين» في صف المقاومة، يستعيد من خلاله الاعتبار المعنوي لجنوده الذين انهزموا في لبنان.

وترى مصادر معنية في التهديد الإسرائيلي المتكرر بجولة ثانية من العدوان «تهويلا» يفسر حاجة تل أبيب الماسة الى اي انجاز للتعويض عن الهزيمة.

وتضيف: «ان حكومة ايهود اولمرت تريد ان توحي للداخل الاسرائيلي انها تتصرف من موقع المنتصر، وليس من موقع المهزوم، وبالتالي فان التهديدات بمواصلة العدوان، هدفها جعل الرأي العام الاسرائيلي بعيدا عن التفكير في المشكلة الحقيقية، خصوصا بعد تشكيل لجان التحقيق الإسرائيلية في الاخفاقات في لبنان، بالاضافة الى الضغط على المجتمع الدولي المواكب لحركة تنفيذ القرار ١٧٠١ من اجل ان يضع آليات تحقق للاسرائيلي ما لم يستطع ان يحققه ميدانيا، ولا من خلال مضمون القرار».

ضياع العمر

ماذا يقول المواطنون في هذا الشأن؟

المواطنة منيفة صولي (٧٥ عاما) كانت

تجمع ما بقي لها من منزل العمر المدمر كليا بفعل صاروخ اسرائيلي في بلدة الطيبة عندما قالت لي «سأذهب للعيش في منزل ابن شقيق زوجي لم يبق من العمر اكثر مما مضى والوضع لا يسمح بإعادة بناء البيت وتجديد اثاثه، خصوصا ان منزل ابني عبد الله المجاور لنا دمر هو الاخر».

منيفة كانت تتحدث بهدوء وطيبة غير متناهية الى ان جاءت على ذكر ابنها عبد الله ومنزله المنهدم.

قالت والدموع في عينيها، «تعالي نذهب الى بيت ابني وصوريني هناك، الدمار اكبر هناك، المصيبة أشد، ابني في الغربة ولم ير منزله بعد، كان يبعث المال الى والده العجوز ونحن ندير بالنا على العمار، المجرمون لم يمنحوه ولو يوما ليهنأ به».

قصة الحاجة منيفة ما هي الا مثال على مئات القصص المشابهة.. اصحابها يعيشون تارة في الطيبة وتارة في مارون الراس او بنت جبيل او ميس الجبل او ضاحية بيروت الجنوبية او في غيرها من عشرات المناطق التي طالها التدمير شبه الكامل.

هؤلاء المنكوبون الذين دفعوا ثمن الحرب من ارواحهم وممتلكاتهم وامنهم واستقرارهم، يدفعون ثمن تداعيات هذا العدوان اليوم من اعمارهم.

فالحاجة منيفة التي قالت ان زوجها عجوز ستمضي ما تبقى لها من العمر مهجرة في بيت قريب لها في البلدة، بينما كان من المفروض ان تقضي هذه السنين معززة مكرمة هانئة في منزل العمر ان لم يكن في منزل ولدها المحرومة من قربه بسبب الهجرة الى حيث لقمة العيش.

كل ما بقي من منزل منيفة.. مراطبين زجاجية كانت على رفوف المطبخ، الزاوية الاقل تضررا نسبيا من القصف. في واحد من تلك المراطبين قليل من السكر، وفي الآخر شاي أو فلفل أو ملح أو مربى وما الى ذلك، وضعتها الحاجة فوق بعضها داخل طنجرة من الالمنيوم ومعها ابريق شاي من الستانليس حملت منيفة اغراضها وقبل ان تخرج من بين الدمار ابدلت فردتي حذاء مختلفتين كانت تنتعلهما، بحذاء سحبته من تحت الركام.

لم ندرِ كيف هربنا

«الله بعث لي بهذا»، قالت منيفة وبسمة حياء على وجهها واضافت «الله يفضح اسرائيل مثلما فضحتنا كنت اسير بين الناس بفردتي حذاء مختلفتين لانه لم يكن بيدي حيلة العين بصيرة واليد قصيرة وعندما تركنا البيت لم ندر كيف خرجنا وبأي حال هربنا».

شيء آخر لم تنس البحث عنه واخراجه من تحت الركام انه «طراحة الحاج ومسنده يحتاج الى شيء يريح جسده النحيل فوقه وهذا افضل من ان نستخدم اغراض الناس».

استوقفت منيفة ابن الحارة محمود الذي صودف مروره بسيارته امام اطلال منزله كان محمود هو الاخر يتفقد بيتا مدمرا «يا

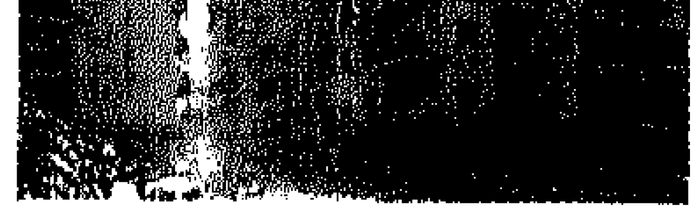
اباري وين رايح؟ وصلني مع هل الاغراض الى بيت سلفي الله بيساعدك وبيفرجها عليك وعلى اهلك».

بقيت الحاجة منيفة تتلو الدعوات الواحدة تلو الاخرى لمحمود الذي حمل اشياء جارتهم الطيبة بكل طيبة خاطر ثم ساعدها على ركوب السيارة وانطلق بهدوء بين اكوام الحجارة المبعثرة على الطريق من بقايا منازل دمرت عن بكرة ابيها في هذه البلدة المنكوبة.

منيفة كانت تدعو بالخير لمحمود، والاخر ساعدها بدون اي تردد والسؤال: من يدعو للحاجة وزوجها بشيخوخة امنة بعيدة عن التشرد والتشتت والهجران والاشتياق والحنين؟ ومن يساعد محمود وهو شاب في مقتبل العمر على شق طريق مستقبل ليس فيه ركام ولا يحيط به الدمار ولا تعترضه مشاكل؟!

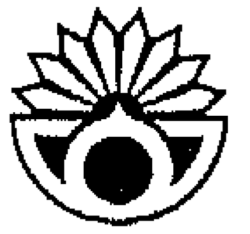
3/9/06

(بيروت)

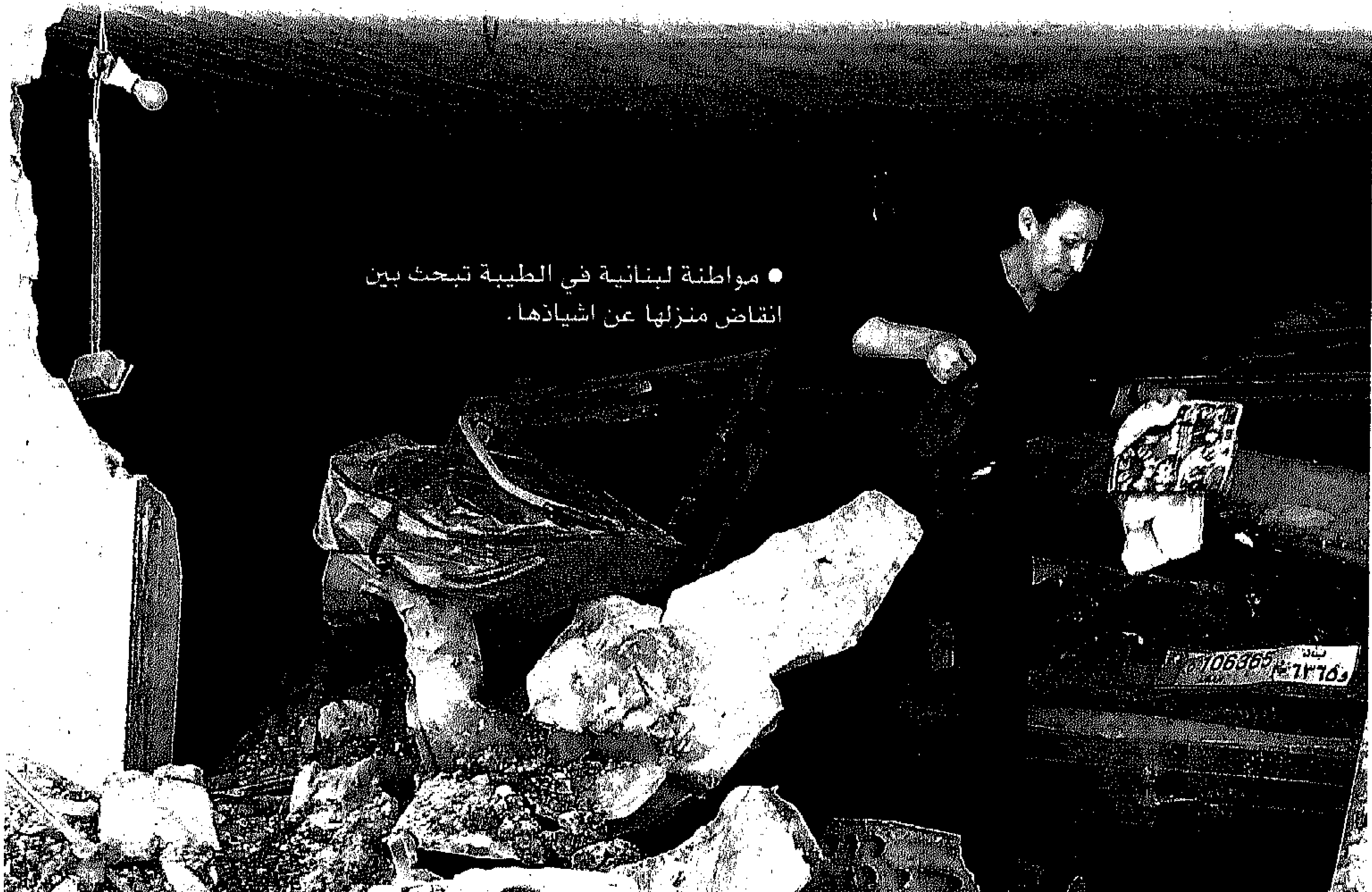


لبنان المجروح في خاصرة جماله يتمسك بنبض التفاؤل

■ المنكوبون يبحثون بين الركام عن ذاكرتهم ويستعيدونها حتى لو كانت ستارة غرفة أو مفتاح منزل



تخرج من قلب العاصمة بيروت المكتظة بسكانها وبالعائلات النازحة إليها من كل صوب من لبنان بفعل العدوان الإسرائيلي الأخير وما تركه من دمار هائل أبقى الآلاف بلا مأوى. تدخل أطراف الضاحية الجنوبية، تضطر للتنقل من ركام إلى آخر ومن حفرة إلى ثانية وثالثة وعاشرة والى ما لا نهاية. تسرع المسير لعل هذه المشاهد المحزنة، لا بل المبكية والمفجعة والمحبطة، تخف وطأتها قليلا. تسير في طريق المطار الدولي وأنت تغادر هذا البلد المجروح، لا بل المطعون في خاصرة جماله وازدهاره ونبض فرحه القصير، يخال إليك أن السفر سيمسح عن عينيك أغبرة الصور المفعمة بالموت والتهجير والمآسي، فتكتشف انك كلما ابتعدت عن الحدث ازدادت تلك الصور التصاقا بك وكأنها تأبى أن ترحل وحيدا من دونها، وترافقك مظاهر الحرب حتى باب مطار رفيق الحريري الدولي.



● مواطنة لبنانية في الطيبة تبحث بين انقاض منزلها عن اشيائها.



• جهاز كمبيوتر من بين الانقاض املا ان يكون صالحا للاستعمال

فالإعلانات المصورة عن السياحة والتسوق والمهرجانات الصيفية الثقافية منها والفنية والرياضية، التي كانت حتى يوم ١٢ يوليو تزين شوارع العاصمة وتشتد كثافتها خصوصا على طول طريق المطار وفي الاتجاهين، استبدلت بأخرى تتشابه مع الأولى من حيث الحرفية في انتقاء الموضوع ونقاوة التصوير وبهرجة الألوان إلا أنهما على طرفي النقيض من حيث الموضوع.

بين الأمس واليوم

صور الجميلات والمصطافين والسياح والمتصعلكين حلت محلها صور لأشلاء أطفال مجزرتي قانا - ٢ ومروحين وغيرهما من المجازر، ومهجري مارون الراس ويارون وباقي القرى والبلدات الجنوبية.

إعلانات فنادق الخمس نجوم وشاليهات البحر وشواطئ الشمس وملاعب المصايف اختفت ورفعت مكانها ملصقات كبيرة عن دمار ضاحية بيروت الغربية وبنت جبيل وعيناتا والخيام وعيتا الشعب وصريفا وغيرها.

الشعارات التي كانت تمجد الاقتصاد الحر وتشجع رجال الأعمال على الاستثمار في لبنان والاستفادة من الخدمات المصرفية انقلبت رأسا على عقب وصارت تنادي العالم للتبرع من اجل إيواء المشردين وإعادة النازحين إلى منازلهم وإعمار ما كان، قبل أقل من شهرين فقط، يجذب أكثر من مليون شخص بين سائح ومغترب.

طائر الفينيق

وبين لوحات التراجيديا هذه تبرز أقوال

وشعارات، لا تقل صدقا وشفافية عن الصور، تذكرك بأن لبنان مثل طائر الفينيق يحيا من بين النيران، تمسح دمعة انحدرت تأثرا وتترك ابتسامة صغيرة ترتسم بخجل فوق شفتيك، وكأنك تريد ألا تصدق غير ذلك.

تتلمس هذه الابتسامة بطرف أصابعك لتتأكد ما إذا كانت لا تزال هناك فتتذكر تلك المرأة وهي تقف مع ابنتيها وولدها الصغير أمام ركام بناية في بئر العبد كانت قبل أسابيع تضم منزلهم، لا بل حياتهم بكل ما كان فيها من لحظات فرح وحزن وبكاء وضحك وكسل وعنفوان وولادة ووفاة.

أبحث عن وجه تلك المرأة بين صور الركام والشعارات ونداءات الاستغاثة، وأعود إلى شارع الساندريلا وبناية الربيع التي كانت مكونة من سبعة طوابق حولها الطيران الحربي الإسرائيلي بثوان معدودة إلى تل من الركام والرماد.

أجدها جاثية على ركبتيها تبحث بين الدمار عمّا يكون قد سلم من الهمجية ولو كان ملعقة أو غطاء مخدة أو ستارة غرفة الجلوس أو فردة حذاء أو طرفا من ثوب زفافها.

البحث عن الذكريات

كانت تغطي انفها وفمها بقناع أبيض بسيط للتخفيف من الروائح والاغبرة الثقيلة المؤذية، والى جانبها تجثو ابنتها الكبرى تتصفح دفترا فيه علاماتها المدرسية بينما أختها الأصغر تتمعن في البوم صور العائلة. كن جميعهن يبحثن عن ذكرياتهن وبينهن وقف أصغر أفراد العائلة ينظر تارة إلى أمه وتارة إلى البوم الصور بين يدي أخته التي كانت تشرح له مناسبة كل صورة، وتارة إلى أخته الأخرى وهو يستفسر عن سبب حزنها وما إذا كان له علاقة بالمدرسة، وترد الأخت بهدوء وكأنها تحدث معالجا نفسيا لا أخا يافعا "طالما حلمت أن اخرج من هذا المنزل عروسا وأعود إليه مع أولادي لزيارة جدهم وجدتهم».

بانوراما تلك العائلة المنكوبة تتكرر مشاهدها في كل شبر من الضاحية، وتعرف أنها تتكرر أمام كل منزل دمره العدوان الإسرائيلي في مختلف المناطق اللبنانية خصوصا في الجنوب.

فبعد رحلة التهجير والعودة إلى الأطلال بدأت عمليات رفع الأنقاض. والمواطنون الذين تحملوا القصف الجوي والبري والبحري طوال ٣٣ يوما بلياليها بصمود وكبرياء وشجاعة استثنائية أبوا أن يتركوا للهمجية ذاكرتهم.. تجمعوا في اللحظات الأولى من قرار الهدنة حول منازلهم وأبنيتهم ينتظرون الرافعات والجرافات لتبدأ عملها، ويبدأوا هم بانتشال ما يمكن إنقاذه، فالمنزل ليس جدرانا وأثاثا بل أيضا حياة بكل ما تختزنه من ذكريات ووقت وروائح وظلال وأسماء وزوار وأحداث.

برج الأحلام والطموحات

كبار وصغار نساء ورجال تعاونوا على سحب سجادة من بين الأسقف المتراكمة فوق بعضها. مسحوا الغبار عن قطع الثياب الممزقة بفعل الشظايا والزجاج، واحتفظوا

بها. أزالوا الصور من إطاراتها وخبأوها. لملموا أوراق الكتب من بين الحجارة وصفوها بعضها فوق بعضها تمهيدا لإعادة تجميعها.
كانوا يلتقطون عرق جبينهم الذي لا يجف، ويستعيدون ما يعينهم على بناء برج جديد من أحلامهم، وطموحاتهم لا تكون مفصولة عن ذكرياتهم ولو بمفتاح باب لم يعد موجودا، فتلك البيوت عمرها أجيال بعض أهلها بالكاد استمتع بها وبعضهم الآخر لم يرها، كما أن بعضها خسر فردا أو أكثر من سكانه إن لم يكن جميع سكانه.

إلى مطار رفيق الحريري

يصدمك خلو طريق المطار من المارة، رغم وعيك أن حربا شرسة شلت هذا المرفق الحيوي لأكثر من شهر، بعدما استهدفت مدرجاته وأمنه بعشرات الصواريخ والقذائف. في العادة كان هذا الطريق الأكثر ازدحاما، خصوصا في فصل الصيف، وخصوصا أيضا أن على أطراف المطار تقع أكثر المناطق السكانية اكتظاظا، ولاسيما برج البراجنة والاوزاعي.
لكن الطريق خال والمسافة التي كانت تستغرق أكثر من نصف ساعة قطعناها بأقل من خمس دقائق.
تقف لثوان فقط عند حاجز التفتيش الخاص بالجيش اللبناني وبعده تسمع صفارة شرطي السير الذي كان هو الآخر هادئا على غير العادة، فلا نرى زحمة سيارات تربك عمله ولا مسافرين كثرا يعصون أوامره وإرشاداته بعدم عرقلة المرور وإقفال المداخل.
طيران الشرق الأوسط هو الوسيلة الجوية الوحيدة للخروج من لبنان اليوم بسبب الحصار الذي لا تزال إسرائيل تفرضه على كل المرافق اللبنانية منذ بدء العدوان، وحتى بعد قرار الهدنة وانتشار الجيش اللبناني في مناطق الشريط الحدودي الجنوبي ووصول عدد ليس بقليل من القوات الدولية عملا بالقرار ١٧٠١.

التوقف في عمان

وفي رحلة مغادرة بيروت إلى الكويت، كان لا بد من التوقف في عمان تنفيذا للشرط الإسرائيلي باعتباره معبرا مؤقتا حتى رفع الحصار على رحلات طيران الشرق الأوسط، وهو شرط وصفه الكثير من اللبنانيين بأنه يثير تساؤلات، بينما يصر آخرون على أنه إجراء روتيني هدفه التزود بالوقود المفقود حاليا في بيروت.
وبين هذا الرأي وذاك، تمضي الرحلة وسط أجواء تحمل تداعيات الحرب وما رافقها من ممارسات عدوانية ضد البشر والحجر والهوية والانتماء والأمن والسلام والتنمية والاستقرار.
ذيول الحرب ترافقك إلى الجو، وتهبط معك في مطار الملكة علياء، ووجوه المسافرين التي تختلط فيها تعابير الفرح بالنجاة والشوق لمن رحل، تكتسي حلة مختلفة ما إن يفتح باب الطائرة حيث تبدأ المناقشات الهامسة حول هوية الأشخاص الذين دخلوا من الباب وراحوا يتجولون بين مقاعد الركاب دون أن يوجهوا

كلمة إلى احد ودون أن يتركوا مجالا لأي احد بطرح أي سؤال.
«إنهم من الشرطة الأردنية يفتشون الطائرات الخارجة من لبنان والعائدة اليه بحثا عن أسلحة أو عناصر مشبوهة».

حاجز أم وقود ؟!

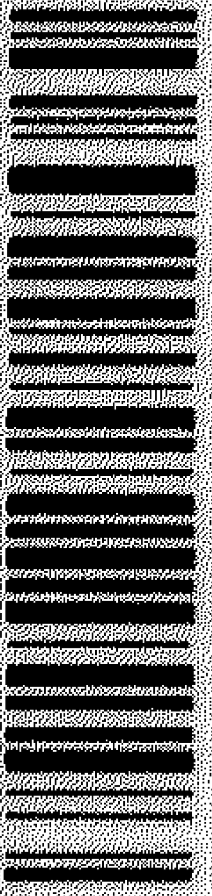
آراء ومواقف ملتبسة يتشارك فيها الركاب مع طاقم الطائرة الذين يصرون بدورهم على أن التوقف في الأردن هو للتزود بالوقود، حيث منحت الحكومة الأردنية لبنان عرضا مغريا أما تفتيش الحقائب التي شعر بها المسافرون فتسحب خارج موقعها في أسفل الطائرة «فهو إجراء روتيني يتم في كل مطارات العالم»، بحسب إحدى المضيفات التي عبثا حاولت تهدئة خواطر مسافر راح يشتم ويلعن الساعة التي وافق على السفر فيها عبر هذه الخطوط.
«كان اشرف لي البقاء بين أهلي والصمود وسط الخراب والمعاناة من انقطاع الماء والكهرباء والطرقات على التعرض لمثل هذا الإذلال».
ورد عليه مسافر آخر «ماذا باستطاعتنا أن نفعل؟ أن نبقى محاصرين بعيدا عن مكان عملنا وبدون عوائلنا؟ إلى متى تستطيع الصمود بدون راتبك؟ احمد ربك يا شيخ أنهم فتحوا لنا هذا المنفذ لنتابع أعمالنا ومصالحنا والكرامة تحفظها لقمة العيش الكريم، لا الحصار وسط الجوع والموت».
نقاش لم يتوقف رغم إغلاق باب الطائرة ومناداة قائدها على طاقمه بالاستعداد للإقلاع.
وبينما كانت المحركات تعمل بأقصى سرعتها كان قائد الطائرة يكرر على مسمع المسافرين شكره لهم لتحملهم الانتظار لحين تعبئة خزانات الطائرة بالوقود، وهو ما كان قائد الطائرة مهد إليه أكثر من مرة لحظة الإقلاع من مطار بيروت.
تصل الكويت وتسمع عبارات التأهيل والمباركة بالسلامة، والأسئلة المتعلقة بأحوال من تركت خلفك، وما صارت إليه الأماكن التي زرتها أو كنت فيها. تنهال التعليقات والاعتراضات والمطالبات والاستفسارات والتخمينات، والاهم من كل هذا وذاك، الأمنيات بما يريده الجميع أن يصير إليه لبنان، وكأن لسان حالهم يقول «لا نريد تصديق أن ما حدث صار بالفعل، لا في الكوابيس».



خلال حرب العراق كان لدينا وقت كاف للاستعداد، فيما اخذنا العدوان الاسرائيلي على لبنان على حين غرة. ومع ذلك، فقد كان لا بد من تغطية الحرب بكل تفاصيلها وقسريتها وشجونها، ووحشيتها لانها شكلت صدمة وأسى للعديد منا، سواء على لبنان ام على ذكريات غالية على الكويتيين.

لقد اتخذنا القرار السريع بالتغطية الميدانية، وتلاقت رغبتنا في ارسال مراسل الى الخطوط الامامية في الجنوب مع حماس الزميلة منى فرح للتوجه الى هناك.

لقد أمنت هذه المهمة الشاقة، انطلاقا من مدينة صور، في كل اتجاهات الجنوب اللبناني، تغطية مميزة لـ «القبس». واستكملت سجلا طويلا وحافلا للزميلة منى في التغطية الميدانية في العراق، وأثمر جهدها سلسلة تحقيقات تنبض بالحياة والصدق، نقدمها في هذا الكتاب لتكون شاهداً وتوثيقاً، ليس فقط على الجريمة الاسرائيلية، بل ايضا على ارادة الصمود لدى لبنان وشعبه.



لوحة الغلاف للزميل
عبدالوهاب العوضي